

الإتجاه الفكري للشعر في الخليج العربي



تأليف

الأستاذ الدكتور: مسعد بن عيد العطوي

الألوكة

www.alukah.net

الإتجاه الفكري للشعر في الخليج العربي

تأليف :

الأستاذ الدكتور: مسعد بن عيد العطوي

ح

النادي الأدبي بمنطقة الجوف، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطوي، مسعد بن عيد

الاتجاه الفكري للشعر في الخليج العربي. / مسعد بن عيد

المطوي - سكاكا الجوف، ١٤٢٦هـ

٣٣٨ صفحة، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك -٤-٩٧١٠-٩٩٦٠

١. الشعر العربي. الخليج العربي. نقد أ. العنوان

ديوي ٨١١،٩٥٣١ ١٤٢٦/٧٠٦٠

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٧٠٦٠

ردمك -٤-٩٧١٠-٩٩٦٠



الفهرس

الموضوع

المقدمة

تمهيد عن الأدب في دول الخليج

● الجزيرة ومكانتها

● تنقل الشعراء بين دول الخليج

● لمحة عن أدب الخليج

مصادر الفكر الأدبي

مدخل لمصادر الفكر الأدبي

أولاً: المصدر المكاني

ثانياً: الدين الإسلامي

الشاعر مؤرخاً

ثالثاً: الفكر الاجتماعي

● تمهيد

● الزواج

رابعاً: الوطن

الوطن وقضاياها

المال

خامساً: التطور والتعليم

المعارك الانتخابية

الجنديّة

المخترعات

سادساً: الطبيعة

● الليل

● القمر

● البحر

- معالم من الطبيعة
- الريف
- سابغاً، الكون والإنسان
- الكون
- الإنسان
- الموت
- الاغتراب
- القلق
- الذكريات
- الحلم
- الوجدان الذاتي
- الاتجاهات الفكرية
- الاتجاه الإسلامي
- الاتجاه القومي العربي
- الاتجاه الوطني
- الاتجاه التأملي
- المراجع

المقدمة

الحمد لله المدير العالم بالأشياء ظاهرها وباطنها، الذي اصطفى الإنسان بخاصية المعرفة والعلم، ونصلى على سيدنا وقائدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم وبعد .

فقد كان لي تواصل مع الأدب الحديث بعامة، وأدب بلادنا بخاصة عن طريق الأبحاث المتواصلة والقراءات المتلاحقة والمحاضرات والندوات، وغيرها من سبيل المعرفة .

لذلك استحوذ عليّ هاجس البحث المتأمل المتكامل حول الشعر السعودي، فقد حاولت رصد الفكر الذي ينبجس عنه الإبداع على أطره المختلفة المتوازية التي تلتئم تحت ظلال الفكر الإسلامي والاتجاه القومي، والاتجاه الوطني، والاتجاه الوجداني والاتجاه الاجتماعي، وأشكاله الفنية .

وكانت لي مساهمة برصد بعض موضوعاته، فخصصت الموضوعات الاجتماعية بكتاب هو «المجتمع في الشعر السعودي» كما أصدرت كتاباً عن الإتجاه الوجداني هو «الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية» ولم أقف عند الفكر والموضوع وحسب، وإنما مكثت طويلاً عند الشكل كما يتضح من اقتران الدراسات الاجتماعية والوجدانية بالدراسة الفنية في الكتابين السابقين، ولدي الرغبة الأكيدة لمواصلة البحث لكي أخرج كتاباً آخر عن الاتجاه الفكري في الشعر السعودي. ثم بدر لي الأيّقنصر ذلك على الشعر السعودي، وإنما رغبت في دراسة الشعر في الخليج العربي فمكثت ردهاً من الزمن أجمع المصادر والدواوين الشعرية لشعراء الجزيرة العربية وتواصلت مع قراءة الإبداع الشعري حتى رأيت أن أظهر هذا الجهد في كتاب «الاتجاه الفكري في شعر دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية» .

يعيش الإنسان تجسيداً لبيئته الطبيعية والفكرية، ولكل مكان خاصية، ولكل أمة سماتها الثقافية، ولكل أمة غاياتها الفكرية وهناك فيئات غلبت عليها الاتجاهات الدينية، ومنها الجزيرة العربية مصدر الأديان السماوية استهلالاً بنوح، وعاد قوم هود، وصالح وقومه ثمود، وشعيب الذي خرج في مدين وما ذكر عن إبراهيم وإسماعيل، ويعقوب وأبنائه عليهم الصلاة والسلام .

وكذلك ترسخت الديانة البوذية في الهند، وترسخ عدد من الأديان في المدن مثل مكة المكرمة، والمدينة المنورة وبيت المقدس في فلسطين، وروما في أوروبا، ولكن عوامل الانسلاخ

من الدين كان لها تأثير على بعض المدن (فروما) مع تواجد البابوية فيها لم تكن ذات التزام أكثر من غيرها وأما الجزيرة العربية فلها خاصيتها المناطة بأفئدة أهلها فقد جمعت بين تأثير المكانة وتأثير الأرومة العربية، وتأثير اللسان العربي، وتلك مؤهلات أهلها لحمل الراية الإسلامية، وهي موروثات أعتقد أنها من الأمانة التي حملها الإنسان. والجزيرة كانت بمنأى عن التواصل مع الآخرين مما صيرها أبعد عن المتغيرات والأخذ بها.

ونحن الآن لا حجاب ولا سدود، ولا أستار بين الجزيرة والعالم بأسره وبحضاراته وثقافته بل بأهدافه وغاياته، لكن إنسان الجزيرة لا يزال يستشعر حمل الأمانة الريانية. وما أعظمها من مسؤولية، وما أجملها فهي تحمل الحق والخير والجمال للبشرية، غير أننا نعتز أن الزحف الثقافي أخذ يسليخ بعضنا عن هويته، فهيمنة الفكر الذي لا هوية له حالت بين بعض أبناء الخليج وهويتهم ذات المحافظة والأصالة.

وعندما يقارن العقلاء والمفكرون بين الشرائح الاجتماعية في الخليج، فيجدون التفاوت بين رسوخ الالتزام لشريعة، وخواء الغاية والهدف عند شريحة أخرى، يجد أن الملتزمين بمبادئهم هم شعاع الأمة، وهم قوتها وهم قواعدها الراسخة، وهم موازين الاعتدال، بينما أولئك الذين تحللوا يتذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فليس لهم ريادة، والشرائح ذات الأهداف والغايات السماوية هم أولئك الذين يأخذون بالحكمة من حيث ولوا وجوههم ومن حيث هي متواجدة شرقاً أو غرباً، وأعني أنهم يأخذون بالحكمة المجردة، أما أولئك الذين يأخذون بالمظاهر المحسوسة الشكلانية للسلوكيات والألبسة، وتموجات الأفكار فإنهم لا يملكون موازين الاعتدال، ولم تذهب من مخيلتي محادثة زميلين من أعضاء هيئة التدريس اشتركت معهما في لجنة من اللجان وكان الجو أكثر حرارة، وكانت أعمالنا تتطلب النزول إلى الأرض كثيراً فقال صاحب الأدب لزميله صاحب علم الاجتماع الذي تذر من ملابسه الضيقة ما رأيك لو لبست الثوب لتسهل عليك الحركة فرد عليه أستاذ علم الاجتماع قائلاً أتريدني أن أتنازل عن مبادئتي؟! فإذا كانت الملابس أي شكلها وهيئتها من المبادئ الأساسية أو الأسس الاجتماعية فتلك طامة كبرى، ومثلها في الشكل الأدبي، والشكل الثقافي، والسلوكيات المستوردة، التي لا تفضل القيم الراسخة في ماهياتها المجردة.

إن كثيراً من الملتزمين أكثر انفتاحاً فهم يملكون القابلية للحوار والجدل، وهم يقبلون التغير

في الأزياء والأفكار، ولا يمانعون من توازيها معهم جنباً إلى جنب لاسخرية ولا لمز وبلا معارضة للشوايت.

بينما الآخرون أكثر انغلاقاً، فهم يرون أن فكرهم هو الأوحد والأولى بالأخذ به ويجهضون فكر غيرهم.

إذاً فإن المعادلة تقوم على الاعتدال والوسطية، فالتقبول والرفض خاضع للشوايت من المعتقدات وخاضع للتأمل والعقلانية، ونحن في الأدب نقبل سائر الاتجاهات لكن هناك شريحة رافضة للقديم لقدمه والموروث لأنه إرث، فمن المعاب أن يغلب اتجاه فني على وطن بأكمله، وينسلخ من الاتجاهات المتطورة على الأسس القديمة الآخذة بالصالح من الجديد، بينما نجد أن كثيراً من أهل الثبات يتواصلون مع الاتجاهات الحديثة ويأخذون بكثير من مبادئها، فأبي الفريقيين على صواب!؟

إن غلبة الاتجاه الواحد الذي لا يقوم على غاية سامية لها جذورها الراسخة بل تنزع إلى نفي القديم والأخذ بجديد لاثبات له أمام العقلانية إن هذا الاتجاه دليل على خواء وإن عقليته الهجومية على كل موروث أو عقلي عقلية مضطربة وإن الأسس التي استمد منها تكون هائجة مائجة خاضعة لفلسفات أو هي نسمات من فلسفات، لم يرض عنها الغرب أنفسهم، وهؤلاء المستغربون لم يدركوا الفكر الغربي الذي يتعامل بعقل برهاني قابل للحوار للمسارات المختلفة.

وإنما كوننا سلطوية فتاكة، فأنت حين تقرأ أستاذهم أدونيس تقرأ لداعية من الدعاة الملتزمين الذي يحمل عقيدة واحدة يتفانى من أجلها ومع هذا يعيبون على الآخرين مناقشة كل حديث وإصدار البيانات فيه.

فالذي أتمناه ألا يبادر كل من الاتجاهات إلى الرفض المباشر، كرفض القديم لقدمه، أو رفض الجديد لجذوته، وإنما يظهر ذلك في قوالب الثوابت ثم في قوالب العقلانية المتأمله التي تحمل فكراً نيراً ثم محاولة لصهر هذا الفكر وتشريحها وفرز الصالح والاطالح.

إن تأمل أن يخلص الفكر في جزيرتنا من تبعية الاضطراب الذي زلزل الفكر وصير الأمة في زلزلة أشغلتها بالتعارض والتضاد عن البناء، ولا اخفى خشيتي من ركوب كثير من أبناء الجزيرة أشرعة الدعاة المشككين بألوان ثقافية جديدة في مظهرها لكنها متواصلة مع المظاهر التي تكون الشائبة الفكرية، بقصد الانسلاخ من الثوابت، بينما نتمنى لأبناء الجزيرة

أن يكونوا مركز اعتدال، وألا يكونوا إمعات وإنما تنشأ عقلية قابلة للحوار التأملية الذي يدرك ما وراء السحب الفكرية فهل هي أمطار صافية أم هي أمطار ملوثة تتضح (بالحمضيات القاتلة).

والمفكرون الذين جالوا في دهاليز الفلسفات الغربية والشرقية، وعادوا إلى الفكر الإسلامي والعربي قاصدين النقض والتنقيص خرجوا بإشكالية جديدة هي القناعة برسوخ الفكر الإسلامي، فانظر إلى فلسفة طه حسين، وماذا كتب عن التاريخ الإسلامي في آخر عمره، وانظر إلى العقاد الذي تتلمذ على الفلسفة الإنجليزية، وماذا أنتج من فكر إسلامي، وانظر إلى محمود نجيب زكي وكيف أمكن العودة إلى الفكر الإسلامي وكذلك فإن الشاعرة نازك الملائكة تعلن إلحادها حتى ذهبت إلى أمريكا وطُلب منها محاضرة عن المرأة في القرآن فتذكر أنها أعرضت عن الإلحاد ولم تمض سنتان حتى التزمت بالصلاة ومثلهم مصطفى محمود وخالد محمد خالد صاحب رجال حول الرسول صلى الله عليه وسلم، وغيرهم الكثير والكثير. والبحث عن الحق في الأدب مطلب للعقلاء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين من رجال الدين، ليس في المجتمع الإسلامي فحسب وإنما في سائر الأمم وعبر القرون السالفة، وعند الفلاسفة والمفكرين المعاصرين فمثلاً يرى أفلاطون وجود «الإلهام الشعري ليوفظ النفوس، ويسمو بها، ويربي الأجيال^(١)» بل إن أفلاطون يدعو للرقابة الفكرية والتربوية على الأدباء والشعراء «ينبغي أن نراقب الشعراء، وأن نجعلهم يبرزون في إنتاجهم صورة الخلق الخير، وأن نمنعهم من إبراز الوضاعة والانحلال الخلقي والتبذل، وكل ما تكون طبيعته شريرة حتى لا ينشأ حراسنا بين صور الرذيلة، فتتجمع في نفوسهم الباطنة كتلة كبيرة من الشر من غير أن يشعروا، ينبغي أن نبحث عن فنانيين يستطيعون بقوة النبوغ أن يتبعوا طبيعة الشيء العادل الوقور، فيستطيع الشباب أن يستقي الخير من جميع منابعه^(٢).

والناس أحوج ما يكونون إلى تلقي القيم، وغرس الفضائل، والشعر يلامس الأحاسيس البشرية، فهو وسيلة لإثارتها، وإثارة الانفعال الذي يدفع بالإرادة إلى العمل، والفلاسفة يرون أن الشعر يزيد العقل وعياً، وينمي الفكر، ويفرس الأخلاق، ويدفع إلى سرعة الاستجابة، لكثرة المتلقين له من المجتمع، ويرون أن الموهبة والعبقرية هي أقدر على إدراك ماهية تلك الفضائل، ومن هؤلاء العباقرة الشعراء، مما يوجب عليهم الالتزام بتوجيه المجتمع (فالفضيلة النظرية

(١) أبو حنيفة، الالتزام في الشعر العربي، ١٨.

(٢) د. الفت محمد كمال نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ١٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الأولى

العظمى والفضيلة الفكرية العظمى، والفضيلة الخلقية العظمى، والفضيلة الصناعية العظمى، إنما سبيلها أن تحصل فيمن أعد لها بالطبع، وهم ذوو الطبائع الفائقة العظيمة القوى جداً، فإذا حصلت هذه في إنسان يبقى ما بعد هذا أن تحصل الجزئية في الأمم والمدن... فإن الذي له هذه القوة العظيمة ينبغي أن تكون به قدرة على تحصيل جزئيات هذه الأمم والمدن، والشاعر يتبع المعلم والمرشد عند الفلاسفة، وقد أشار الفلاسفة الإسلاميون إلى دور الشاعر^(١).

والفيلسوف (ديدور ١٧١٣ - ١٧٨٤م) يرسخ ارتباط الأدب بالحياة وأن يكون مستمداً من الواقع فالعمل الأدبي «ينبع من الواقع» ويستمد منه عناصر وجوده العامة^(٢).

بل إنه يعلن أهمية الفكر الأدبي، ويشدد على ضرورته، فالعمل الفني الخالي من المضمون الفكري لا يعتد به من وجهة النظر الاجتماعية ولو اشتمل على قيمة فنية كبرى، فالفنان مطالب بأن يجعل الفضيلة محبة، والرذيلة منكراً، وبأن يختار موضوعاته، ويبدع بفرشاته لوحات جديرة بأن تحرك المشاعر، وتهذب النفوس، وهو أيضاً يناهض انحلال الأخلاق، وهوى الطائشين وانغماسهم في اللذات، بتصوير فضائل الحياة العائلية الوطيدة، وبأن يحترم الحقيقة لأن الحقيقة وحدها هي الخالدة، وهي التي تستحق التمسك بها^(٣).

ويرى سارتر في وجوديته أن كل إنسان - شاء أم أبى - ملتزم في هذا العالم الذي نحن فيه «مبحرون» هو في كل غمار المعمة من الرأس حتى القدم ومهما يفعل، فإنه موسوم معرض للخطر حتى في أنأى خلوة له^(٤).

ونحن لما نستشهد بآراء الفلاسفة لا نجعلها الحجة القاطعة، وإنما نقول: إن الفلاسفة العقلاء أيدوا الاتجاه الفكري الذي ينبع من فكر الأديب وتكوين مفاهيمه الذهنية وفي قمتها المعتقد الديني الصافي، وليس هناك أصفى وأنقى من الإسلام وتكليفه بالجهاد كل حسب جهده وطاقته، ومن أجلها شرع الجهاد النفسي الذي يدفع إلى مسارب الخير الكثيرة، ومنها الجهاد بالكلمة بل رأى بعض الفقهاء له ليجمعوا بين الجهادين ويقول سارتر في الكلمة الأدبية «الكلمات مسدسات عامرة بقذائفها، فإذا تعلم الكاتب، فإنما يصوب قذائفه، في مكنته الصمت، ولكنه إذا اختار أن يصوب، فيجب أن يكون له تصويب رجل يرمي إلى أهداف لا تصويب طفل يغمض عينيه، ويطلق الرصاص على سبيل المصادفة من غير أن

(١) المرجع السابق ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٢) أبو حافة، الالتزام في الشعر العربي ٢٢ .

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق ١٦ .

يكون له غرض سوى السرور بسماع الدوي»^(١).

ومحمد حسن عواد من أوائل الأدباء في بلادنا الذين حاولوا فلسفة الشعر ومفهومه فارتفعت أصواتهم بإبداعهم الفني من مقالات وشعر إلى الخوض في واقع الحياة ومعتريها، والدعوة إلى أن يحمل الإبداع الواقع الحي فينقله، ويوجهه بالفكر المستير، ويصور محاسنه لتحذني، ويصور شروره لتجتنب، وهو بهذا يدعو لئن يكون الأديب رائداً في مجتمعه، ومن الإنصاف أن نقول: إن العواد اتخذها فلسفة ومنهجاً.

وقد بدأت حركة التجديد ببعض الآراء النقدية لخليل مطران في عام ١٣٢٥هـ - ١٩٠٨م وأول ديوان ظهر يحمل طابع هذا اللون طبع في عام ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م، لعبد الرحمن شكري، وتبعه ديوان المازني عام ١٣٢٢هـ - ١٩١٢م، وأخرج العقاد ديوانه الأول عام ١٣٢٥هـ - ١٩١٦م، وأكثر هذه الدواوين كتبت لها مقدمات نقدية تدعو للمذهب، وتجسد هذا المذهب بظهور مجلة الديوان ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م، ونحن لما نتتبع تاريخ مذاهب التجديد الأدبي بعامة، والشعري بصفة خاصة في بلادنا نجده بدأ بنشر قصائد محمد حسن العواد عام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٢م فهو متقارب مع ظهور كتاب الديوان والواقع أن الأدباء السعوديين كانوا على صلة بالإصدارات التي ظهرت في مصر وأنهم يتلقون الصحف التي تحمل المعارك الأدبية بين مدرسة المحافظين والمجددين العقاد وصحبه، وقد ظهر صداها عند الأدباء الشباب، مثل محمد حسن عواد، ومحمد سرور الصبان، ومحمد عرب، وحمزة شحاتة، وحسين سرحان، وحسين عرب، ومحمد حسن فقي، وهذا الاتجاه أخذ يتميز باتجاهه الفكري الجديد الذي يجعله في مواجهة خصوصية مع خصومه من مدرسيه المقلدين السابقين مثل الأسكوبي، ومحمد العمري، وخليل براده، ويجعله يواكب مدرسة المحافظين مثل محمد بن عثيمين والغزوي، وابن بليهد وفؤاد شاكر، بل يتعرض لها أيضاً بالنقد.

وقد كانت الإصدارات الأدبية الأولى تجمع بين هذه الاتجاهات مثل كتاب «أدب الحجاز» لمحمد سرور الصبان الذي أصدره ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م، والإشارات النقدية في كتب المعرض التي صدرت في عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م، وأكثر الكتب مواجهة يحمل انفعال الحركة هو كتاب (خواطر مصرحة) لمحمد حسن العواد الذي صدر عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م.

ويقترب من التواصل السعودي اتصال الأدب الكويتي والأدب في سلطنة عُمان، والبحرين، والإمارات العربية، وقطر، كما سيتضح من الإيجاز عن كل أدب.

(١) أبو حافة، الالتزام في الشعر العربي ١٥

تمهيد عن الأدب في دول الخليج

- الجزيرة ومكانتها.
- تنقل الأدباء بين دولها.
- لمحة عن أدب كل دولة.

تلح جغرافية الجزيرة في كل زمان على التأثير في التركيب الاجتماعي على مستوى الفرد والأسرة والقبيلة أو الدولة، ولا ريب في أهمية الدولة أو قيام الدول في الجزيرة، وقد قامت حضارات والذي يُرجح أن الجزيرة أكثر خصباً، وتنبع فيها أنهار تحولت إلى أودية ذات عيون ثرة، وكونت واحات عديدة، وفي تلك المرحلتين وجود الأنهار، وخصوبة الأرض وتدفق العيون يكون ذلك ممهداً لتكوين الدول فالإمارة ضرورة للمدن للري والبناء الحضاري، وقد قامت دول كبرى في الجاهلية الأولى كقوم عاد، وثمود، وطسم وجديس، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الأخدود.

وهؤلاء لم يعتمدوا على الرعي، ولا على الارتحال بل ابتنوا بيوتاً من الأحجار، وليس أدل على ذلك من المعالم الكبرى التي نجدها على سفوح الأودية، فالمشاهد يرى تراكم الحجارة في سفوح الجبال السفلى، وبجانب نهاية التلاع حين تنزل من الجبل، وترى معالم الحجارة المصنعة فوق قمم الجبال حينما تتسع تلك القمم وتمتد طويلاً بل رأينا معالم الزراعة فوق القمم المنبسطة وأرضها صالح للزراعة وهي تسقى من هطول الأمطار، وتتكاثر تلك في شمال الجزيرة الغربي ففي حرة العويرض وحرة الرهاة، وحسمى الكثير منها، ومثل ذلك بالقرب من قرية (قرية) في أطراف حسمى الشرقية، وجبال روافة على منتهى حرة الرهاة من الجهة الشمالية الغربية، وتتكاثر تلك المعالم على طريق غزوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وهو الطريق التجاري بين الشام والمدينة المنورة.

وعندما جفت الأنهار، وشحت العيون، قامت دول لكنها أضعف كثيراً ومنها دولة الفساسنة ودولة المناذرة، ودولة كندة، وتلك الدول قامت على التفاعل بين الحياة الرعوية والحياة الحضرية.

والجزيرة بفقدانها الأنهار، وتناقص العيون، وتصحر الواحات، لم تحتل قيام نهضة المدن الكبرى في العهد الإسلامي الأول، ومن الأدلة على هذا أن العرب تكاثروا في المدينة الجديدة الكوفة، وتكاثروا أيضاً في البصرة، الأمر الذي دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لنقل عاصمته إلى الكوفة، وإلا لو كان هناك مدن متكاثرة السكان أقرب منها إلى مكة والمدينة المنورة لانتقل إليها ومن قبله لتكاثر الناس فيها.

وطبيعة الجزيرة هذه جعلتها مصدر بشري يتدفق على البلاد المجاورة عبر الأحقاب، فإن انعدام المدن يولد العصبية القبلية، والعصبية القبلية تحمي الناس بقدر وتدفعهم إلى الهجرة

بقوة، وقيام الدول أحياناً في العهود الإسلامية يؤدي إلى استقرار الأمن ومن ثم كثرة السكان، ففي العهود السعودية بعد الألف قلت الهجرات الجماعية، وإنما تكون فردية وظهرت الرحلات المنظمة المسماة (العقيلات) التي تتجه إلى الشام والعراق، وتعود بعروض التجارة والأغذية.

والجزيرة المعاصرة قريبة من ذلك حتى من الله عليها بقيام الدول، واكتشاف (البتترول) المتمثل في الأنهار الجوفية في باطن الأرض، فدعمت قيام الدول، ودعمت التحضر، ودعمت البناء الفكري والعمراني والزراعي والصناعي، وعاد الرفاه للجزيرة، لعل الله سبحانه وتعالى أن يثبت هذه الحالة الخيرة.

وإن القيم الموروثة بجماعة من الجماعات تترسب في التكوين الذهني للفرد والمجتمع، وتتسرب في سلوكياته، وتطراً عليها طوائري تلائم مع الزمانية والمكانية، والتأثير والتأثر، ولكن ما هي القيم ذات الرواسب الثابتة التي يبقى محورها الإرتكازي ماثلاً مهماً طراً من موجات فكرية وسلوكية؟

إن علماء الاجتماع والدارسين للنص الأدبي، والمتبحرين في علم النفس الأدبي يستكشفون في شأيا تحليلهم التواصل التراثي عبر الأحقاب الزمنية في المجتمعات وتلك القضايا الممتدة بجذورها، إمّا للقناعة بها عقلياً وإمّا لاحتمية البيئة المكانية وإمّا لالتزامية المجتمع، ودفاعه المستमित كيما يصد المؤثرات الخارجية، فهو يستشعر روح التحدي الدائمة.

والذي أميل إليه إن ثوابت المجتمعات التي لا فكاك منها تخضع للمعتقد الديني الذي انفرس في نفوس المجتمع، وتواصلت تربيته من خلاله، ويحمل قناعة فكرية لا تسقطها عملية المقارنة الفكرية بما يعارضها من الأديان أو من يحاول هدمها من فكر أو إلحاد.

ونحن ندرك أن المنتمين للديانات السماوية النصرانية واليهودية عبروا على جسر العلمانية في أزمانهم الحديثة وكونوا حضارتهم المادية لكن هل اختفت الديانة من الروح الفردية والروح الجماعية؟ كل مثقف يدرك ثباتها، وكل صاحب وعي يدرك معالمها وإن تظاهر الفرد أو المجتمع أو الإعلام الدولي بتغييبها.

وأما اليهودية، فقد أعلنت التزامها وتعصبها على الملأ، فعادت إلى الكنيسة، والمتعصبون هم الذين يوجهون السياسة لدولتهم الباغية، ولم يؤخرهم عن سائر الأمم المتقدمة، ونحن نشهد هذا ومع ذلك فإن هناك من يُعرض بالتزامية أهل الدين الإسلامي، وتبعيتهم، ورسوخ

الانتماء وتحكمه في الفرد والمجتمع وهي المؤطر لحركة الفكر، وهو الحكم للاتجاه السلوكي. والذي يتكشف للباحث أن الثوابت الريانية الخالية من التأويلات العقلية البشرية القائمة على التعصب هي الأثبت؛ لأن العقول التي منحها الله الصفاء هي القادرة على تجلية الحقيقة الريانية التي يهدف إليها النص التوقيفي، ومن ثم اجتماع الدين وقيام العلماء أولئك هو الذي يثبت الدين وجداناً وعقلاً.

ومن الثوابت المناهج العقلية التي تقوم على الموضوعية وبناء الفكر العقلاني التأملي في مسيرة الحياة المعرفية، وإصلاح الحياة المادية وبناء المعرفة التجريبية التي تتواصل مع مسيرة الحياة الفردية والاجتماعية ولا تتعارض وهي لا تتعارض حتماً مع صحيح الأديان. ومن الثوابت التي يقنع بها المجتمع ويتفاعل معها، يتأثر بها قوة وضعفاً، تلك التظيرات العقلية التأملية البشرية التي تتعلق بالإدارة البشرية فإن الأمم إذا رُزقت بعلماء ومنفذين يرسخون حرية الفكر وإصلاح الهرم البشري، ويعملون على ثباته، ويطبقون المؤسسات الإصلاحية المعرفية والاستراتيجية، التي تبني العقول النيرة، وتهيئ العالم والخبرات الاستشارية، فإن البقاء للأصلح وهل الثوابت الدينية، والتراكم المعرفي التجريبي، والتراكم العقلي التأملي، والرصد البياني السلوكي، تخالف الانتماء للدين أو القومية أو الوطنية أو الإقليمية. وهل هذه ذاتها تتعارض وتشير متضادة أم تتوائم وتتلاحم تتآزر؟

تلك أيها القارئ هي مشار الفكر، وموجه العمل، ومصدر الاختلاف تظيراً وتطبيقاً فالإجابة عليها سهلة المنال لكن التنفيذ يقوم على الاختلاف ويولد الاختلاف فكل منا يدرك أن عملية التواءم والمصالحة، ومراعاة مقتضى الأحوال، والمقاصد الشرعية، تقترب من الاعتدال، وكل مجتمع أو فرد قادر على الاعتدال، فهو المجتمع الذي يكتب له البقاء والاستقرار والنماء والتطور، ولكن المصادر المختلفة لبناء العقول المنقذة والمنظرة وتصادمها هو الذي لم يرسخ قاعدة منهجية صلبة لتطور الأمة العربية في عصرنا الحديث.

مكانة الجزيرة العربية:

تحتل الجزيرة مكانة مقدسة في نفوس المستلهمين للشريعة الإسلامية عرباً وعجماً، وهم أيضاً يكون التقدير لأبناء الجزيرة العربية فهم حاملوا راية الإسلام، ولغتهم اللغة العربية، وهم الذين يحملون معتقدتهم الإسلامي، وتراثهم العربي، والتواصل بين المكان البيئي،

والإنسان له خاصية تجعل من حياته الصحراوية، وبدأوته الصافية مصدر إنقاذ وإحياء الروح الإيمانية، وقد اعترف المفكرون من أقطار متعددة بمكانة الجزيرة في مستهل القرن الرابع عشر، فعندما وقعت المواجهة بين العنصرية التركية وأستبعد العرب من سلطة التنفيذ والتشريع، وتأخرت الأقاليم العربية، وأراد الأتراك تترك العرب بزراعة مدارس تعلم التركية، وحصرت الوظائف الصغيرة على من يتعلمها فقد دعا عدد من المفكرين الإسلاميين ومنهم عبدالرحمن الكواكبي إلى مؤتمر إسلامي عقد في مكة (أم القرى) عام ١٣١٦هـ (١٨٩٩م) بمناسبة موسم الحج، وتأسست من أجل جمعية دعيت «جمعية أم القرى» وقد ضمت مندوبين من أكثر المدن الإسلامية، أعضاؤها: السيد الفراتي (الكواكبي نفسه) والفاضل الشامي، والبلغ القدسي، والكامل الأسكندري، والعلامة المصري، والمحدث اليمني، والحافظ البصري، والعالم النجدي، والمحقق المدني، والأستاذ المكي، والحكيم التونسي، والمرشد الفاسي، والسعيد الأنجليزي، والمولى الرومي، والرياضي الكردي، والمجتهد التبريزي، والعارف التتاري، والخطيب القازاني، والمدقق التركي، والفقهاء الأفغاني، والصاحب الهندي، والشيخ السندي، والإمام السيني، وكلها أسماء مغلقة لكنها تدل على البلاد التي يمثلونها، ولقد تدارست الجمعية في اثني عشر اجتماعاً ما عدا اجتماع الوداع، أمور المسلمين ومشكلاتهم السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية، وأسباب تهقرهم، ووسائل نهضتهم وأسس هذه النهضة، موضعت للخروج من الأحوال السيئة جملة من المبادئ والقرارات، وتركزت الأنظار طوال جلسات المؤتمر على العرب ودورهم في ذلك، واعتبارهم أكثر المسلمين استعداداً للقيام بالنهضة، وفي هذا ما فيه من توجيه القومية العربية للحلول محل الترك في زعامة المسلمين، ويتضح ذلك عن القرار رقم ٦ الذي اتخذته الجمعية، ومن أبرز ما ورد فيه: «أن الجمعية بعد البحث والتدقيق والنظر العميق في أحوال وخصال جميع الأقسام المسلمين وخصائص مواقعهم والظروف المحيطة بهم واستعدادهم وجدت أن لجزيرة العرب وأهلها، مجموعة خصائص لايقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً وأن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض.. لذلك رأت الجمعية أن تربط آمالها بالجزيرة وما يليها وأهلها ومن يجاريهم وأن تبسط لأبصار الأمة ما هي خصائص الجزيرة وأهلها العرب عموماً وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الجنسي ولأجل إيضاح أسباب مثل الجمعية إلى العرب فنقول:

١- «الجزيرة» هي مشرق النور الإسلامي.

٢- «الجزيرة» فيها الكعبة المعظمة.

٣- «الجزيرة» فيها المسجد النبوي وفيها الروضة المطهرة.

٤- «الجزيرة» أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة المدنية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقاً وأفريقيا غرباً.

٥- «الجزيرة» أسلم الأقاليم من الأخلاط جنسية وأدياناً ومذاهب.

٦- «الجزيرة» أبعد الأقاليم من مجاورة الأجانب.

٧- «الجزيرة» أفضل الأراضي لأن تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والمزاحمين نظراً لفقرها الطبيعي.

٨- «عرب الجزيرة» هم مؤسسو الجامعة الإسلامية لظهور الدين فيهم وكذلك من تبعهم من العشائر القاطنة بين الفرات ودجلة والنازحين إلى أفريقيا.

٩- «عرب الجزيرة» مستحکم فيهم التخلق بالدين لأنه مناسب لطبائهم الأهلية أكثر من مناسبتة لغيرهم.

١٠- «عرب الجزيرة» أعلم المسلمين بقواعد الدين لأنهم أعرقهم فيه ومشهود لهم في أحاديث كثيرة بالمتانة في الإيمان.

١١- «عرب الجزيرة» أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأييده والفخار به والعصبية النبوية لم تنزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وأفريقيا.

١٢- «عرب الجزيرة» لم يزل الدين عندهم حنيفاً سلفياً بعيداً عن التشديد والتشويش.

١٣- «عرب الجزيرة» أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص بدوية.

١٤- «عرب الجزيرة» أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والأمهات والزوجات فلم تختل عزتهم.

١٥- «عرب الجزيرة» أقدم الأمم مدنية مهذبة بدليل سعة لغتهم وسماحة حكمتهم وأديهم.

١٦- «عرب الجزيرة» أقدر المسلمين على تحمل قسوة المعيشة في سبيل مقاصدهم، وأنشطتهم على التغرب والسيارات لبعدهم عن الترف المذل أهله.

١٧- «عرب الجزيرة» أحفظ الأقوام لجنسيتهم وعاداتهم، فهم يخالطون ولا يختلطون.

١٨- «عرب الجزيرة» أحرص الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال وإباء الضيم.

١٩- «العرب على الأطلاق» لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن

الكريم من أن تموت.

- ٢٠- «العرب» لغتهم هي اللغة العمومية بين المسلمين البالغ عددهم ١٠٠٠ مليون.
- ٢١- «العرب» لغتهم هي اللغة الخصوصية لمئة مليون من المسلمين وغير المسلمين.
- ٢٢- «العرب» أقدم الأمم أتباعاً لأصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية.
- ٢٣- «العرب» أعرف الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية.
- ٢٤- «العرب» أهدى الأمم لأصول المعيشة الإسلامية.
- ٢٥- «العرب» من أحرص الأمم على احترام العهود عزة، واحترام الذمة إنسانية، واحترام الجوار شهامة، وبذل المعروف مروءة.
- ٢٦- «العرب» أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً في الدين، وقوة المسلمين فإن بغية الأقوام لقد أتبعوا هديهم ابتداءً، فلا يأنفون من اتباعهم أخيراً^(١).
- يستلهم أهل الجزيرة الامتداد الديني ولا يرضون به بديلاً، هو يعمق الانتماء بالوطن لأهل الخليج العربي وقد استشرف الشعراء تلك الجذور قبل قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية بما يقارب من نصف قرن فالشاعر محمود الأيوبي يرسخ فكرة الانتماء للجزيرة ويجعل دعائم الانتماء تقوم على شرف المكان للجزيرة، وكونها الموطن الأول لإصل العرب، والدعامة الثالثة هو التلاحم مع الدين الإسلامي، ومن هنا تكون الوطن الأثيل الشامخ الذي لا ينضب معينه، ولا يدانيه وطن آخر فالشاعر يقف عند معالم المكان أولاً:

حب تعمق في الحجي وتنفسي
للقلزم الزخار غريباً مجلسي
للبصرة الفيحاً لببيت المقدس
وبعرضها وطني العظيم ومأنسي
ولجدها عزمي الذي لم ييأس
وإذا وصلت حمى الإسود فعرس
غنى به للعسزروح الأليس
فيها وغنى الشام لحن الأنضس^(٢)

وطني الجزيرة من هواها، في دمي
فمن الخليج إلى الإمامة مربعي
من حضرموت إلى الشام مواطني
فجزيرة العرب الأبوة بطولها
إني لأحفظ حبها في مهجتي
سر في صحاراها وبين حُزونها
أقرب سلام الود والحب الذي
صدح العراق وإنه من قلبها

(١) أبو حافة، الالتزام في الشعر العربي ١٢٩ .

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ديوان الملاحم العربية، جمع محمد الربيع ١٦٢ .

وتتقارب الجزيرة مع سائر الأوطان من الناحية المكانية، ولكن زاد حب هذه الديار كونها، منزل الوحي، ومنها أشرق الضياء من جنبات مكة المكرمة، وفيها شع ضياء القرآن النازل من السماء على الأرض المباركة، فتلاحم المكان وتلاحمت معه الروح والفكر، المصطفى بصفاء الإسلام، فهو خير منقذ للبشرية من لاذ به نجا من التيه والضياغ، يقول الشاعر عن الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

أوحى إليه كتابه محمد	فخر الخليفة والبشير الأشوس
ولخير خلق الله ما إن رمت من	ورد لعقلك ورده لم يطمس
المصطفى الهادي لأعظم حجة	من هذب الدنيا بأكرم مدرس
لا تعطني غوستاف أو ديكارت أو	رينان، بل ثب للحديث الأنفس
ارشف رضاب الحق من إعجازه	واسكن براح علومه إن لم تسي
ودع الأواخر واجن شهيد بيانه	وانهج إلى السلف الكرام الرؤس
فهم البدور وهم خلاصات الوري	وسواهم في وهمه كالمفلس ^(١)

يبتهج كل شاعر في الجزيرة بتألق ضياء الإسلام في الحجاز وكأنه يستلهم تداعي العرب للجهاد في عهد الخلفاء الراشدين، فأسلافنا العرب كانوا مصابيح الخير على الكون حين امتلأت قلوبهم بهج الإيمان، فجاهدوا كي يخرجوا البشرية من عبادة العباد، وما دونهم من الأشجار والأحجار إلى عبادة رب العباد، فهذا الشاعر يوسف عبداللطيف أبو سعد من ضفاف الـ عليج يبتهج بمطلع النور من إقليم الحجاز:

بزغ الفجر في الحجاز وأسفر	واضمحل الظلام والجهل أدبر
وسمما المجد في روابيه طراً	وانثنى في بروده يتبختر
والزغاريد جلجلت في سماه	كل فح عن المشاعر عير
فرحة عمرت قلوب البرايا	صورت في الوجوه أحسن منظر
وتهادى الجمال والأرض تشوى	كل طرف رنا إليها تحيّر
عم أرجاءها رخساء وفير	كل زرع نما وبها خير أثمر
وتجلت (أم القرى) في حُلاها	بمحيا من البشاشة يفتر

(١) المرجع السابق ١٦٢ .

وتعالى في الجو صوت ينادي: ولد (النور) فالأزاهير تنثر
ولد المصطفى الأمين فتبهي يا روابي الحجاز، فالصبح أسفر
وتداعى إيوان كسرى هشيماً وهوت للحضيض أبراج فيصر
وارعوى الشرك في ثرى كل صقع ثم وثي في مشيه يتعثر
إنه رأى النور أبلجاً يتسامى أرجع الطرف خاسئاً يتحسر^(١)

والجزيرة العربية مأوى أفئدة كل عربي، فأرومته تنتهي إليها، ولسانه يتواصل معها، وهي مهبط قرآنه، ومنزل وحيه، ومكان هجرة رسوله، ومنها ارتفعت رايات الجهاد، وفيها بنت تراثه، ومكونات ذهنه، فهي فخار كل عربي وهي الموطن الحالي لأبناء الخليج العربي المتواصلين مع مكوناتها الذهنية والحسية، فالشعراء يفاخرون بها ويتفاخرون بانتمائهم لها. وبمكانتها الخالدة ويشدو الشاعر محمد جدع بالجزيرة على لسان كل فرد فيها فيقول:

نحن أبناء الجزيرة
قد سمونا بالعالي
أرضنا أرض الرسالة
فهي نور قد تجلى
يشهد التاريخ أنا
قوة تحمي العشيرة
ولنا أحسن سييره
وهي للعليا نصيره
وهدى أهل البصيره
قد رعينا كل جيره

إن دعانا المجد نضديه بأرواح كبيرة
لا نبالي في سبيل الحق أهوالاً خطيرة
ولنا العزم وأخلاق لنا نضيرة

نفتدي الحق ونحامي
ورسول الله فينا
ووقانا من شرور
فأقمناها حضارا
إننا نفي تراثاً
نُسمع الدنيسا دويأ
كل من يبغى منيره
ساد أمجاداً منيره
وغايات حقه ييره
ت وأفضالاً وفيره
بنفس منيره
ببطولات مستشيريه

(١) يوسف عبداللطيف أبو سعد، أغاريد من واحة النخيل ص ١٤، ١٥.

نحن شعب سار في الدنيا بنور وبصيره
ملاً الدنيا سناء واتجاهات كثيره
ونشدنا ذروة الأمجاد سعياً في الجزيرة
فبلغنا ما نشدناه بقاء وذخيره

لا بعدوان وغدر مثل صهيون الحقييره
شعبنا أكبر منها بمزاياه الشهيره^(١)

ولما لاح كيان الوحدة الخليجية بإعلان التعاون بين دول الخليج في المنظمة الحديثة دول مجلس التعاون العربي في الخليج. استبشر الشعراء خيراً، ففاض إبداعهم بشعر يصور أهداف وغايات أبناء الجزيرة، وتطلعهم للوحدة والتكامل والتآزر، فلا قوة لهم إلا بالتكامل الإداري والاقتصادي، بعد الالتزام بالدين الإسلامي بقول سالم باعطب عن دول مجلس التعاون في محاوره على لسان أفراد هذه الدول:

هذي يدي فـمـمـد يداً يا عاشق الشط البهيج
واهتف معي نحن الفدا نحـمـي ثرى هذا الخليج
أرض الهدى مهد الجدود نبع السنن من القدم
رفعت بهما كل البنود خفاقة فوق القمم

المجموعة:

اليوم نحن والغدا في أفقها نعم النسور
أرواحنا طبول المدى تبني إلى المجد الجسور
كويتي:

توحدت بصدرها شعوبنا فأنجبت بحضنها لنا الأمل
وأشـرقت بنورها دروبنا فأيقظت نفوسنا إلى العمل
وصفقت لسعيها قلوبنا وعانقت طموحها بلا وجل
المجموعة:

نحن قبل اليوم إخوة جـمـع الدين خطانا
والهـمـدى أوثق عـرـوة رفع الأوطان شـمـانا

(١) محمد جعد، المجموعة الشعرية الكاملة، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

وروي الأرض أمــــــــــــــــانا

زرع الأنفيس قــــــــــــــــوة

عماني:

ونرفح راية الإشــــــــــــــــسراق

تعاوناً فسارت تعرف البشرية قوافلنا

وظافت بالني الأحــــــــــــــــداق

تعاوناً فزقت موكب النشوى سواحلنا

قطري:

أروت لهــــــــــــــــفة الأعــــــــــــــــماق

تعاوناً وفاضت سلسلاً عذباً مناهلنا

وهامت بالعلــــــــــــــــى الأعــــــــــــــــناق

تعاوناً وثارت وثبة كُبرى معاقلنا

وطررز نورها الأفــــــــــــــــاق

تعاوناً وظافت بالسنى الهادي مشاعلنا

بحريني:

شموع المجد تشرق في شواطئنا

سفين الخير تبهر من مرافئنا

وفي الأفاق سحر من لآلئنا



سعودي:

تعالوا نقيبوا التاريخ أعواماً واحقاباً

تعالوا نزرع الأوطان بالعرفان البابا

تعالوا نصرأ العلياء آثارا وأسبابا

تعالوا نشعل الطرقات للأمجاد طلابا

تعالوا أرضكم عين فكونوا ثم أهدابا

تعالوا نبعث الإحسان بين الناس أطيابا

كويتي:

وشاهد زفاف العلى للخليج

توقف قايــــــــــــــــلاً قطار الزمن

وعطر خطاك بأحلى أريج

وبارك كــــــــــــــــفاح بناء الوطن

مسيرة شعب أبي أمين

لقصد حمل الموج في صدره

قصائد تروي خطى المخلصين

والقى على الرمل من ثغره

شموع تضيء جبين السنين

وذابت على الأرض من سحره

عماني:

هنا مسقط رأس العز والشمم
هنا التاريخ يحكي نهضة الأمم
هنا فيض من الإيمان بالقيم
أحلت قومها الأحرار في القمم
قطري:

في طريق الوحدة الكبرى مضيئا
وعلى نهج من التقوى التقينا
وارتشفنا الحب صدقاً وارتوينا
نحن صيرنا الخطى للمجد دينا
وتركناها دليلاً علينا



إماراتي:

نحن وحدنا المسيرة
وتركنا المجد سيرة
وتحدينا المنايا
عماني:

نحن بالإسلام صنا
ولنا التاريخ غنى
والخليج الحار أرض حى
صاحت الصحراء مرعى
بحريني:

كان حلماً فأحلنا ذلك الحلم حقيقه
وعرفنا المجد سعياً وعرفناه طريقه
ومضيئا نجمع الأحلام لم نفضل دقيقه
وتركنا الجهد والآثار في الدرب وثيقه^(١)

(١) أحمد سالم باعطب، عيون تمشق الشعر، ١٢٩ هـ

«وللأمة العربية، كونها جماعة بشرية صاغتها عوامل تاريخية محددة، بناؤها الثقافي الموحد، ثقافتها الواحدة، وليست هذه الثقافة تلك التي خرج بها العرب الأقدمون من جزيرتهم وقرمز بها الإسلام قفزة تطويرية هائلة، وإنما تلك العناصر الثقافية متفاعلة مع الأبنية الثقافية الموروثة للمنطقة، ومتفاعلة مع ثقافات الأمم القديمة والوسيط والحديثة. هذا البناء الثقافي العربي الواحد له طوابعه الطبيعية والقومية والإنسانية الواضحة كأى بناء ثقافي لأي أمة من الأمم، وينتظم البناء الثقافي كل الصيغ الدينية والفلسفية والعلمية والفقهية والقانونية والسياسية والإبداعية وينتظم كل السائد من الأعراف والعادات وأنماط السلوك وما يفسرها من مثل عليا وقيم.

وحاولت بعض الاتجاهات الفكرية والقوى السياسية أن تقيم تناقضاً وهمياً بين ما هو موروث إقليمي وإبداع محلي، وبين ما هو موروث وإبداع قومي، لكن هذه المحاولة تفشل أمام التطور التاريخي الفعلي، فالواقع أن الموروثات الثقافية القديمة والإبداعات الإقليمية والمحلية لا تتوارى في ملاسبات التناقضات الراهنة. بل أنها تزدهر لأن هذه التناقضات تؤدي إلى ازدهارها، ثم يحل التناقض في الصيغة العربية الجديدة، من هنا فإن ازدهار الثقافات والإبداعات الإقليمية والمحلية يساعد على التفاعل الثقافي القومي الصحي والصحيح ومن ثم، فإنه يساعد على نضج البناء الثقافي القومي الواحد، إن هذه الثقافة والإبداعات الإقليمية والمحلية ذخائر ثرية للثقافة العربية الواحدة»⁽¹⁾.

إن التوزيع الإقليمي للأمة العربية ودول الخليج العربي حتمي أن يكون على هذه الشاكلة، فمن بديع الرأي وصوابه، أن تكون فكرة البناء الداخلي لكل دولة يكون متآزرأ مع الدول الأخرى، ويشي الشاعر أحمد باعطب بقصيدة، تحكي حال كل فرد من أبناء الجزيرة وتواصله مع الماضي المجيد، وتعلقه بدينه الإسلامي الحنيف، وتطلعه للغد المشرق الذي يحمل أمانة التراث:

لا تسلم عن نسبي إني حفيد الشهداء
عربي مسلم يخضق بالنور لوائى
قد حملت الحب إخلاصاً إلى كل سماء
أرضعتني الشمس إصراري وعزمي وإبائي
عانقتني في شموخ وارتوت من كبريائي

(1) الأدب العربي تعبيره من الوحدة والتنوع المقدمة لعبدالمعتم تليمة، مركز دراسات الوحدة العربية.

قبلت جبهة نصري وتفتت بمضائي



اولا تبصر في قلب السماوات ضيائي؟
وجبيني مشرق يروي انتصارات وفائي
حين جف الصبر واعتلت ينابيع الفداء
واستبد اليأس يلهو بدموع الأبرياء
ايقظتني صرخة الأمس وماجت في دماي
أركبتني صهوة الإعصار في جوف العراء



لا تقل لي إن أمسى لم يعد صرحاً منيعاً
نخراً أقت به الأحقاد في الوحل سريعاً
لم يعد للطهر ينبوعاً وللأرض ربيعاً
لا تحاول قتل أمجادى فرادى وجموعاً
إن أمسى لم يزل يشرق في الكون بديعاً
قدسى النور سمحاً يزرع الأفق شموعاً



يا أخي إن لفنا ياس السنين القاحلة
والنهي بين السراديب زهور ذابله
وارتمينا نعزف الشكوى ظنوننا باطله
وحنايانا جراح داميّات قتاتله
لا تخف قد يبعث الشوق رحيل القافله
ويزور الفيث احضان الحقول الماحله



لا تقل لي إن أمسى في دجى الفوضى تلاشى
إنه مجدي وحاشا أن يهون المجد حاشا
نحن لا نطلب يوماً بالبطولات رياشا
لن نعيش العمر سياحا جياعاً وعطاشا

نلحق الهم قنوطاً نعشق القيد افتراشا

تفتح النار ذراعها فننكب فراشا^(١)

يشكل الشعر نيض حياة الشعوب، وينقل معاناة الفرد منهم الذاتية، تلك المعاناة التي تتعانق مع الروح الجمعية، فالشاعر عمران محمد عمران يكشف عن حياة الأمل اليأس للفرد العربي المسلم فأمانيه تعثرت، وأحلامه نضبت، وأضحى لا يصدق بمقالات الإعلام، والصحافة ورجال التنفيذ، وإنما استشعر الفرد العواصف الهوجاء، والريح المحرقة، والتيارات المدمرة، فلا قدرة له على الأنس والحياة الهادئة، وإنما هو في صخب وموج متحرك وعواصف قاصفة، فالفرد يستحضر الويلات التي تجتاح العالم العربي والإسلامي في كل مكان.

ومن اليأس والعشار حراب!	ملء كفي من الحياة سراب
س، وقال الوري عفته «الذئاب»!	الأماني العذاب أودعت الرم
بل هشيماً تذروه هوج غضاب	والربيع الطروب بات عبوساً
مثلما يعقب الزهور تباب!	والنسيم العليل عاد سموماً
وجنان الحي جفاها السحاب	والقدير النمير صار أجاجاً

وأضحى الفرد لا يصدق بالأقوال المستهلكة للمنفذين الذين يعدون بالوحدة العربية، بأقاويل ولا أفعال، فالواقع مشحون بالخصام والخلاف والحروب المدمرة بين الأخوة، حتى المؤتمرات والمعاهدات لا ثبات لها ولا مصداقية، وإنما هي بروق صيفية أو سراب صحراوي لا تجد لها أثراً.

فطرينا لها، دهانا مُصّاب	كلما قيل: «وحدة العرب لاحت»
ه، فتقسو على مناه الصعاب	كالمحب الهيمان يرمى «ليلا
ويذيب الضؤاد منها التهاب	«فرقة، تبعث الشجون تباعاً
في ماقي..! واعتراني اكتئاب	شهد الله كم تحجر دمي
ورمتني في مهجتي الأوصاب	كم صلتني - في غنوة الليل- نار
ساء تسري، وقد حواها الإهاب	لم تكن حسرتي سوى الحسرة الخر
ق؟ بل أين الإخاء؟ أين الكتاب؟	أين العهود.. أين المواثي

(١) عيون تعشق السهر، أحمد سالم باعطب ص ٢٧، ٢٦ .

وا.. وارتدت رغائبنا الأوشاب
وهم! والدهر هازئ مـعطاب!
م، ودينا هي الضنى والعذاب!
عُرب ما اتفك يعتريه، الضباب
من وحوك الخصام... فهو نهاب (١)

باعدت بيننا الدسائس والأهـ
فمشينا على القنادنجوس دالـ
حرّ قلبي من واقع ملؤه الشؤ
ليت شعري... أين المفرة فأفق الـ
مكرته الأوهام.. والكيـدُ والميـ

تنقل الشعراء بين دول الخليج العربي؛

الملوك والأمراء في الخليج ينتمون إلى العرب الأوائل وقد تأثروا بتراثهم المشحون بالقيم السامية التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، والكرم، والفروسية والشجاعة، وكان الشعر هو الجذوة التي تشعل تلك القيم، وتثير كوامن النفوس، ويسعى إليها الكبير والصغير، فهم شعراء بالفطرة، مع تفاوت تنامي الموهبة الشعرية عندهم ومع بزوغ النهضة المعاصرة، وظهور المملكة العربية السعودية، والإمارات في الخليج فإنهم أحيوا التراث العربي وأحيوا فكرة العواصم الثقافية العربية في زمن الحمدانيين في حلب، وأسرة آل منقذ في شيراز، وآل عمار في طرابلس، ثم ملوك الأيوبيين من بعدهم.

فكانت أبواب ملوك وأمراء تلك الدول تستقبل العلماء والمفكرين والأدباء ويجزلون لهم العطاء وأوضح ظاهراً بارزة عند الدولة السعودية، وسلطنة عُمان، ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر، والبحرين، وإن قلت عند أمراء الكويت المتأخرين مما جعل كثير من الشعراء الكويتيين يولي وجهته نحو السعودية والبحرين وقطر.

ومن أوائل الشعراء الذين حكى التاريخ تنقلهم عند السلاطين في الخليج العربي الشاعر محمد بن عثيمين المولود عام ١٢٧٠هـ في السلمية من قرى اليمامة، فقد انتقل في مستهل شبابه إلى البحرين وقطر وعُمان، لكنه مكث كثيراً في قطر والتحق بحاكمها قاسم بن ثاني وتوثقت صداقتهما، ومدحه الشاعر ومدح غيره من الأسرة ثم التحق بأسرة آل خليفة في البحرين فمدحه الشاعر وأكرمه الأمير عيسى بن علي آل خليفة، ثم انتقل إلى السعودية عندما استولى الملك عبدالعزيز على الأحساء عام ١٢٣١هـ ومدح الملك وأبدع في شعره حتى أصبح رائد الشعر الحديث في الجزيرة العربية^(١).

(١) عمران العمران، الأمل الظامي، ٢٢٢.

(٢) محمد بن عثيمين، العقد الثمين، تحقيق سعد الرويشد ١١.

ومنهم الشاعر عبدالعزيز بن حمد آل مبارك المولود عام ١٢٧٩هـ في الهضوف بالأحساء، ارتحل إلى البحرين ونزل على حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ومكث فيها رداً من الزمن يدعو إلى إحياء الشريعة السلفية ثم انتقل إلى دبي وحاكمها الشيخ مكتوم بن راشد وقد اشتهر الشيخ عبدالعزيز بعلمه ودعوته وشعره في أرجاء الخليج وجنوب العراق ثم ذهب الشيخ إلى الكويت بدعوة من مبارك الصباح، ودرس في المدرسة المباركية^(١).

ومنهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل عمير المولود بالأحساء (١٢٩٣ - ١٣٧٧هـ) وانتقل إلى البحرين ومدح حاكمها حمد بن عيسى آل ثاني. ومن الشعراء الذين تنقلوا في ربوع الخليج العربي وإلى كثير من البلدان العربية الشاعر مبارك العقيلي (١٣٠٠ - ١٣٧٤هـ) فقد ولد في الأحساء، وانتقل إلى العراق ثم عاد إلى مسقط ودبي وعاش مع أهل الأدب والوجهاء^(٢).

ومنهم: الشيخ عبدالعزيز الرشيد (١٣٠١ - ١٣٥٨هـ) ولد في الكويت وتلقى علومه الابتدائية فيها ثم سافر إلى الأحساء ومنها إلى المدينة المنورة وتولى منصب الإفتاء فيها لمدة سنتين، غير أن كثرة حاسديه فرضت عليه مغادرتها بين دموع أهلها ومشايخه من طلابه وتلامذته فتوجه إلى الأحساء ثم ما لبث أن هجرها إلى الآستانة، وهناك التقى بالصفوة المختارة من رجال الفكر وعلماء الإسلام أمثال الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) والشيخ عبدالقادر المغربي، فتفتحت عاطفته القومية^(٣).

الشاعر الكويتي: أحمد بن خالد المشاري (١٣٠٤ - ١٣٦١هـ) شاعر مطبوع، شهيم الأخلاق، حر الرأي، كان من أنصار عبدالعزيز الرشيد ومن الذين تأثروا بمدرسته.

سافر إلى البحرين والعراق والهند، وفي الهند استقر وعمل موظفاً لدى الشيخ قاسم آل إبراهيم زهاء أربع وأربعين سنة، غير أن صلته بالكويت لم تكن منقطعة فكان يرسل أدبائها وأصدقائها، ويزورها بين حين وآخر، ولم أجد من آثاره غير ما أثبتته الشيخ ابن الرشيد في تاريخه، توفي في الكويت عام ١٣٦١هـ^(٤).

وصقر الشبيب واصل تعليمه في الأحساء والشاعر حجي بن قاسم الحجي مكث طويلاً في السعودية ومنهم محمود شوقي الأيوبي، ومنهم داود الجراح (١٣٢٧ - ١٣٧٧هـ).

(١) عبدالفتاح محمد الحلو، شعراء هجر ٢٨٢ -

(٢) خالد الزيد، أدباء الكويت، ١ - ٩٧ -

(٣) خالد الزيد، أدباء الكويت ١٠٢١ -

يفتح أمراء الخليج أبوابهم لسائر الشعراء من العربية ولا سيما الشعراء من الخليج، وذلك لعلمهم وثقافتهم، وحبهم للأمجاد العربية يقول أحد الشعراء عن الأمير شخبوط:

كأني إذا نزلت على شخبوط نزلت على المهلب في عُمان

ومن المكثرين في الترحل الشاعر خالد الفرج (١٣١٦ - ١٣٧٤هـ)، فقد ولد في الكويت وانتقل إلى الهند، وتعلم الإنجليزية، ثم عاد وقد كتب عنه خالد الزيد كتابة نعتها مصدراً من مصادر حياة الشاعر فقال: «وفي سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م، زار البحرين لبعض المهام، فأعجب بأدبائها ونهضتها الفكرية، فاستضاف حماها وأغرم بها، وصادف وجود (الدواسر) وهم أبناء قبيلته، وأصله الذي ينتهي إليه في مساكنهم بمدينة (البيديع)، وهي مدينة تقع على بعد ساعتين من المنامة عاصمة البحرين. فأخلوه ضيفاً عليهم، وكان حاكم البحرين آنذاك هو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وقد اشتهر بعدله ونزاهته، ولقد قال فيه المرحوم أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» «أما العدل فقد كان غالباً معززاً في عهده، والحق يقال إن الشيخ عيسى نفسه لم يظلم إنساناً في مدة حكم استمر خمساً وخمسين سنة».

ولقد كانت حياة خالد الأدبية في البحرين غنية ثرة، لتوفر الحرية له وانبساط باله هناك، فشارك في مجال النهضة الفكرية بها، وكان وهو في الهند على اتصال ببعض الصحف العربية في مصر وغيرها، وقد استطاع أن يقنع المرحوم أمين الراجحي صاحب جريدة (الأخبار) المصرية لفتح صدر جريدته لفضح أعمال الإنكليز في البحرين والخليج العربي، وقد كتب الشاعر مقالات عن مساوئ الاستعمار الانكليزي وندد به، ولما توفي أمين الراجحي في ٧ رجب سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م، رثاه الشاعر بقصيدة تدل على الأسى العميق وجلل المصاب في وفاته، وأثره على الشرق العربي والخليج بصفة خاصة.

وأذكر (الأخبار) نبراس الهدى حين تنقض على الظلم شهاباً

أرجفت من (مصر) في تقريعها (طايي البحرين) نقداً واحتساباً^(١)

ثم عاد إلى الكويت لكنه لم يمكث طويلاً حتى هاجر إلى السعودية.

ومنهم الشاعر محمود شوقي الأيوبي (١٣٢٠ - ١٣٨٥هـ) الذي ولد في الكويت وتقل بين العراق والشام وعمل في العراق، ثم عاد إل الكويت وانتقل إلى الحج واتصل بالملك عبدالعزيز وبعث به إلى أندونيسيا ومكث هناك طويلاً يقوم بالتدريس ويدعو الناس إلى الدعوة السلفية ومكانتها.

(١) خالد الزيد، ادباء الكويت، ١: ١٦٥

والشاعر المعاصر غازي القصيبي شاعر خليجي الانتماء، فهو مولود في البحرين ويهفو وجدانه إليها، فهي موطنه الأول ووطنه الذي يشدو به، ويغترب عند فراقه، ويلوب في ذاكرته عند بعده، ومن غرائب المصادفة أنه يستهل مجموعته الكاملة بقصيدة عن البحرين بعنوان (جزيرة اللؤلؤ) ويختتمها بقصيدة أخرى بعنوان (أغنية حب للبحرين) فيقول عن رحيله الأول من البحرين:

اليوم إذا حان الرحي وهمت في دنيا اغترابي
ماضر لو قبل الرحيل منحتي قبل الوداع

ويقول في غربته:

أرضي هناك مع الشواطئ والمزارع والسهول
في موطن الأصداف والشمس المضيئة والنخيل^(١)

وتشاطر البلاد السعودية قلب الشاعر فهي موطنه الذي يأوي إليه وفيها تألق نجمه أستاذاً في جامعتها، ووزيراً في دولتها، وسفيراً لها في العواصم العربية والأجنبية ولكنه حين يعود إلى البحرين سفيراً للسعودية نبض في وجدانه ذكريات مرابع الطفولة، ومرح الشباب، فيأنس بالعودة إليها:

بحرين! هذا أوان الوصل.. فانسكبي
عليّ بحرّين من درومن رطب
تنفسي في شجوني... وأدخلي حرقى
واستريلي في دمائي... وأسكني تعبي
وسافري في عيوني.. يا معدّتي
بالهجر.. يا ظمأى المعطاء.. ياسغبي^(٢)

ويظل الخليج وعوامل الحياة فيه هاجس في أحاسيس الشعراء، حتى أن الشاعر مبارك بن سيف المولود عام ١٩٤٠م يمحض الخليج بمطولة خرجت في ديوان بعنوان «أنشودة الخليج» لم أطلع عليها ولكن أنقل للقارئ ما قيل عنها في معجم الباطين، فقد قال عن الشاعر وديوانه: «ويمثل شعر مبارك سيف نقلة في خارطة الشعر الحديث في قطر فهو

(١) غازي القصيبي، المجموعة الشعرية ١١ .

(٢) المرجع السابق، ٧، ٨ .

يمتاز بغزارة إنتاجه وتنوعه من الناحية الفنية ومن حيث موضوعاته، وهو يشكل بداية التحول بصورة واضحة في مسيرة الشعر الحديث في محاولاته التجديدية، وهو يجمع بين الاتجاه المحافظ، والتجديدي وهو في شعره التقليدي لا يخرج عن خصائص الشعر العربي القديم في أسلوبه الوصفي، ولغته الخطابية العالية النيرة وربما طبيعة الموضوع تملي عليه هذا التوجيه كما هو الحال في ديوانه «أنشودة الخليج» وهو أشبه ما يكون بالملحمة التي سطر فيها الشاعر سيرة الإنسان في الخليج عبر التاريخ مصوراً فيها معاناته، وصراعه من أجل الحياة، والظروف الصعبة التي عاشها، إنه يبحث عن اللؤلؤ مصدر سعادته ومأساته في آن

يا ربيع هل انس سنبناً قد خلت والدرغيد مهرهناً شقاء

إنه السندباد الذي يبحث عن آماله وطموحاته عبر البحار، وهو (جلجامش) الذي يمسح مياه الخليج ويغوص في قيعانه بحثاً عن سر الحياة، وهو ذلك المسلم الموحد حين يشرق عليه الإسلام فيحمل مشاعل النور والهداية للناس مشرقاً ومغرباً، ويسطر الشاعر بعدها ملاحم الإنسان الخليجي، ومرحلة صراعه مع الغزاة والطامعين في خليجه، مصوراً بطولاته ودفاعه عن وطنه:

قد قاوموا السفن الجبال بقارب	يحدو القوارب عينه البأساء
قالوا: قراصنة وقلنا: فتية	مد مؤند الدنيا هم الطلقاء
الروح دونك يا خليج رخيصة	مزجت مع البحر العفيف دماء
عشقا لبحر لا لأجل غنائم	بدلوا دماء ما لها أفياء
صانوا الحمى وتراجعت سفن العدا	رعباً وها هم قصة وهباء

وأنشودة الخليج التي تتكون من (٤٠٢) أبيات تتم عن ثقافة تاريخية واسعة وعن مقدره ونفس طويل في مجال الشعر، ومع أن الشاعر التزم فيها نظام القصيدة التقليدية إلا أن لغته بمفرداتها، وتراكيبها جاءت سهلة سلسلة مع محافظته على فصاحتها، وسلامة تراكيبها، وجدة صورها^(١).

ويكشف الشاعر الكويتي عبدالله زكريا عن الانتماء للجزيرة التي شع فيها الإيمان، وأسرى منها الرسول وانبرت منها أعلام الجهاد، لتخليص العباد من عبادة الأوثان إلى عبادة خالق الأكوان ومدبرها وحافظها، فالعقول قانعة بالديانة السماوية التي تحمل السلام والحق والخير، والأفتدة تجيش حباً وتفانياً في سبيل حمل الأمانة اقتفاء لأثر الأجداد، وقبل ذلك

(١) معجم البابطين: ٦: ٢٧٠ .

استجابة للرحمن، إن الدين الإسلامي هو الذي زرع مكانة الجزيرة، ورسخ دعائمها في

محاسن التاريخ:

ردديه في مسمعي وأعيدي
وأطلي بوجهك السافر الضا
القوافي، وأين منى القوافي؟
تُسمع الدهر أغنيات من المج
مهبط الوحي والنبوة والحد
ومحط العلا وأرض النبيين
ماترى القوم يوم أشرق فيها
غير أسد غطارف همها العد
تهدم البغي بالعقيدة، بالإيمان،
وتثل العروش في مسرح الكو
هل أتاكم حديثها يوم روت
يوم لاحت راياتها خافقات
صُروح الشرك صرعة من ذهول
والخرافات مزقتها يد العق
ومشيت فوقها هداية طه
بالذكر أريحه من عبيير
فاح منه عهد النبوة والعز
باليوم على الزمان يتيم

واسكبيه في أذنى الصماء
حك كي استمد منه بهائي
راقصات تضوع بالأشداء
بد بلحن يرن في الصحراء
ق ومهد الأسود والحكماء
عليها - ومنبع الشعراء
سيد المرسلين والأتبياء
ل وغايتها بلوغ العلاء
بالصبر، بالنهاي، بالإباء
ن، وتبني المنى أعز بناء
منبت العز من زكى الدماء
تنشد النصر في ذرى الجوزاء
رددتها مجاهل البيداء
ل فأضحت منثورة الأشلاء
تبعت النور، رحمة الأشقياء
وارف الظل، ساطع الأقياء
وعهد المروءة الشماء
فيه قد أشرق شمس الرجاء^(١)

توحدت مشاعر أبناء الخليج من قبل أن تكون الوحدة السياسية المتمثلة في مجلس التعاون لدول الخليج العربي، فهم كانوا، يتآلفون في أوطانهم وخارج أوطانهم، يتزاور المفكرون والأدباء والشعراء، يشيدون البناء الفكري في كل دولة من الدول، فإذا بنى صرح من الصروح الفكرية تجد أن الأدباء والمفكرين وأهل الصحافة يسارعون إلى الإشادة به وهذا سلطان العويس الشاعر الإماراتي يبتهج بافتتاح (بيت الكويت) في الكويت عام ١٩٥٨م.

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ٢: ٢٧٥ -

بأسيره وتنافسوا برقائه
وزكت ثمار العلم في أبنائه
أخذوا اللباب فأصبحوا بفنائه
وغداً تقر جموعهم بسمائه
رهن اللبيب الفذ من علمائه
قدم الدخيل وقاه في بيدهائه
صوت النفير وناضلوا لبقائه
ذاك «الخليج، بأرضه وبمائه
عربية فحمته من أعدائه
تاه «الخليج، بها على صحرائه»^(١)

شدوا على التعليم شدة أسر
غرسوا القديم مع الحديث بدقة
لم يلههم زيف الجديد وإنما
أضحوا مع «المريخ، في جولاته
العبقرية في «الجزيرة، أصبحت
صانوا البلاد عن الدسيسة والتوت
إن هزركن في العروية اطلقوا
ولقد تحطمت الفوارق والتقى
صهرته بوقته الجهاد بأمة
يا بيت، حلتك العلوم بحليمة

يفآخر الشعر بما لتراث الجزيرة وبأرومته العربية، وتجذر الأصول العربية التي ما زالت تمثل الموروث التراثي ولم يتخل عنها إنسان الجزيرة وإنما هو ملتزم برسالته الإسلامية، وبقيمه العربية التي أصلح شأنها الإسلام وزادها بهاءً، والشاعر يعلن التزامه الراسخ بهذه القيم بل يرى بثها ونفثها في أفئدة الزائرين من العرب وغيرهم:

من كل شهم سما بالعلم والأدب
يا مرحباً بكم في معهد كل أبي
تشدوا بأروع لحن سار في الحسب
والمنبران وفصل القول في الخطب
إلا بطيبة والمحجوج ذي الحجب
هنا على من أتانا من بني العرب
توليه من حبنا في غاية العجب
لأن معدننا من خالص الذهب
عن طبعه فهو بين الناس جد غبي
يداه من سوء الأعمال والقرب
غير المعالي وكن كالعصبة العُرب^(٢)

هذي جواثا تحيي نخبة النجب
تقول والشوق للزوار شيمتها
اصفوا إلى عبد قيس في منازلها
المسجد الثالث الشرقي كان لنا
أيام لا مسجداً لله نعرفه
وهذه نضحات الحب ننشرها
ما زارنا وافد إلا وعاد بما
لا يعرف اللوم والتدليس ساحتنا
من ظن أن عيون الناس غافلة
كل أمري سوف يجني طلع ما زرعت
قارياً بنفسك أن تصبو إلى غرض

(١) سلطان العميس، الديوان ٦٨ .

(٢) عبدالرحمن آل ملا، أغاريد من الخليج ٦٨ .

النهضة الأدبية في العهد السعودي:

في عام ١٣٤٣ / ١٣٤٤هـ تم توحيد البلاد السعودية، فكان ذلك بداية عهد جديد للبلاد بعامة وللحياة الأدبية بخاصة مما هيا لوجود مؤثرات هامة ظهرت للعيان لها أثر في الحياة الاجتماعية والأدبية، فلقد حدث حوار ونقاش بسبب اختلاف الآراء حول التصوف ومذاهبه، والمولد النبوي واحتفالاته وغيرها مما أدى إلى التقاء العلماء النجديين والحجازيين لمناقشة ذلك في اجتماعات بأمر من الملك عبدالعزيز، وكان لهذا أثره في نهوض الأدب، واتجاهه الفكري فكان بعض العلماء يتلافى القول والكتابة إلا في النواحي الدينية والوطنية لظروف المجتمع الذي يرفض ما ليس له علاقة بالدين أو إصلاح المجتمع.

وحين حكم الملك عبدالعزيز الحجاز استدعى رجالاً ومفكرين من جميع البلاد العربية والإسلامية لمناقشة أوضاع الحجاز، واطلاعه على ما يجري فيه، وكانت نتائج ذلك الحوار وانعكاساته تنشر في الصحف المحلية، إلى جانب الصدى والأثر الذي نجم عن لقاءات أبناء الحجاز وأولئك الواضدين في هذا المؤتمر وما تلاه من مؤتمرات أخرى، الأمر الذي جعل النهوض الفكري في نمو مطرد وفي أوائل الحكم السعودي وتوحيد البلاد نمت العاطفة الدينية.

ولا غرو في ذلك لأن الناس كانوا جادين في حياتهم متشبثين بالحياة العربية والإسلامية في سلوكهم واعتقادهم لذلك قلت الجرأة على نشر القصائد الغزلية وآثر كثيرون الاحتفاظ بها وإذاعتها في خلصاتهم ومجالسهم الخاصة، أضف إلى ذلك أن الإقبال على الأدب كفن لم يكن متضح المعالم في أذهان كثيرين وبخاصة من تقدمت بهم السن في تلك الأيام ومن هنا كانت فكرة المنتديات الأدبية التي كان يقيمها الشباب في مدارسهم أو في بيوتهم أو في أماكن تجمعاتهم ومنتزهاتهم وقد نمت هذه الفكرة حتى صارت ما بين عام ١٣٧٠هـ - ١٣٨٠هـ أشبه بتقليد في كل مؤسسة تعليمية.

وقد عمت هذه المنتديات المصفرة مدن الحجاز ففي مكة المكرمة (خلوة باب العتيق) التي كان يجتمع فيها الشباب ليتدارسوا الأدب القديم، ويتناوبوا الكتب والجرائد والمجلات الوافدة، ويتبادلوا الأشعار ويعارض بعضهم بعضاً، وربما دخلت فيها موضوعات هزلية لكن تكثر فيها الموضوعات الوطنية والاجتماعية فكان أن ضمن خلوة باب العتيق في المسجد

الحرام بمكة المكرمة نخبة من أولئك الفتيان الذين أولعوا بالأدب التي تتناسب وأعمارهم، ويتضح في نفوسهم الفيرة، وليسري في دمائهم حب الوطن واللغة العربية.

وهناك تجمعات أدبية في جدة قام بها شبابها فخلفت أثراً أدبية حسنة، وقد عرفت المدينة المنورة نادي المحاضرات كما عرفت ماسمى بالحقل الأدبي الذي أسس عام ١٢٥٢هـ وكان من رواده، عبدالقدوس الأنصاري بحضرة شباب المدينة وزوارها وتلقى فيها المحاضرات كما عرف في المدينة المنورة منتدى الوادي وتكاثرت في الرياض مجالس العلماء الشرعية التي يمتزج بها كثير من الشعر الديني أو شعر الحكمة.

ثم خرجت سمة أخرى أو قل محاولة أخرى في الجذب والإشارة، والتقاء الفكر تلك في محاولة إخراج الإنتاج والآراء في مؤلف موحد من ذلك (كتاب المعرض) الذي طرح سؤاله وجمعه محمد سرور الصبان وصدر عام ١٢٤٥هـ - ١٩٢٦م وكذلك سؤال آخر طرحه عبدالقدوس الأنصاري، حينما كان في المدينة وذكر بأنه جمع هذه الإجابات وسرت بين أدباء المدينة المنورة.

وبجانب ذلك انطلق الشعراء والكتاب بحماس لنشر انتاجهم الشعري والنقدي في الصحف المحلية والعربية، وأخذوا يتناولون كل غرض وصوروا البيئة أكمل تصوير وطرحوا أفكاراً عالية في بناء النهضة، وبثوا روح الوطنية للبلاد، وتقبلوا أيما اتصال بأدب البلاد العربية.

وكان هذا الإنتاج بمثابة النواة الأولى لأدب حجازي لذلك لجأ بعض الكتاب إلى جمع أفضل إنتاج الأدباء ونشره في كتاب سمي (وحي الصحراء) وهذا الكتاب يعتبر النموذج لأدباء الرعيل الأول، وكان له صداه الطيب حيث استبشر به كبار الكتاب العرب فقال عنه الدكتور محمد حسين هيكل (ونهضة الأدب في الحجاز آية من الله للناس بأن النبع الذي غاض ماؤه عاد إلى فيضه).

وهذا الإنتاج لمجموعة كبيرة من أدباء الحجاز لذلك فإنه صور الأدب في الحجاز تصويراً متكاملأ حتى أن الدكتور هيكل وصف الأدب في الحجاز ووضع معالمه من هذه المجموعة فقال «والحق أن الأدب الحجازي الحديث متأثر بهذه النهضة تأثراً تاماً، وإنك لترى آشاء قراءتك هذه المجموعة أثر النهج بادياً في كل ما اشتمل عليه، وقل أن تقف عند شيء يشبه القديم من الأدب العربي.

فبالأسلوب والصور وطرائف التفكير والتعبير تجري كلها مجرى ماتقراً في أدب مصر وسوريا والعراق وغيرها من البلاد العربية في العصر الأخير، بل تجري مجرى الصور الأخيرة لهذا الأدب الحديث في تلك البلاد فانت ترى شعراً منشوراً وترى أوزاناً في الشعر من أوزان المدرسة الحديثة وترى تفكير هؤلاء الأدباء مصوراً في قوالب تكاد تردّها إلى مصادرها في تفكير العصر الحاضر وأدبه ثم أنت ترى أساليب يحتذى فيها أصحابها بعض الكتاب المعروفين اليوم في مصر وغير مصر»^(١).

وهذا الحكم على الأدب الحجازي أول حكم يصدر من أديب له قيمته الأدبية وصار القاعدة الأساسية لإحكام النقاد العرب وجل الأدباء السعوديين على الأدب السعودي وهذا الحكم نرى بعض معالمه على أدب البلاد ومع كل هذا فإن للأدب السعودي له كيانه وله ميزاته وله خصائصه المنفردة به وليس صورة للغير أو تقليد لهم.

من بعد هذه العجالة من مكونات النهضة الأدبية وروافدها وتطورها فإني أقسم اتجاهات وشعراء البلاد إلى ثلاثة اتجاهات، ابتداء من مطلع القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية.

الاتجاه الأول:

وتكونت هذه الطبقة من الشعراء الذين كانت لهم مساهمات شعرية بعد عام ١٢٠١هـ أي في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ويمتاز شعرهم بالألغاب اللفظية السائدة في العصر المملوكي والتركي، وكذلك المصطلحات النحوية، وانعدام أحاسيس الأدب وسماته الفنية، وشيوع الكلمات الميتة والتعبيرات المحنطة، ولم تتبلور أفكارها بأفكار الآخرين، ولم يتح لها فرصة الاطلاع على ما نشر من التراث القديم.

ومن شعراء هذه الطبقة ابن سحمان، ومحسن الصحاف، وعلي السنوسي، ومحمد العمري، وعبدالجليل برادة، وإبراهيم الأسكوبي، الذي صدر له قصيدة تعتبر بحق أحد تحقيقات الشعراء الذين يسبقون أهل زمانهم تلك القصيدة الوطنية التي نصح فيها الدولة العثمانية وفيها يقول:

يا آل عثمان فامغرور من غرا	بأهل أوربة أو عهدهم طرا
أتأمنون لموتورين ديدنهم	الآيرا منكم فوق الترى حرا
تمالؤوا فخذوا حذر فانهم	يروون أبقاءكم بين الورى ضرا

(١) وهي الصحراء، خاتمة المقدمة.

وقد أطلق الأدباء على هذه الطبقة أسماء متعددة فسمّاها الدكتور بكري شيخ أمين (بالنزعة التقليدية الجامدة).

الإتجاه الثاني:

وهذه قد أتيح لها الاطلاع على معالم الحضارة والآداب العربية، وما نشر من تراث وقد وجدت الموهبة، وروضت بالحفظ والدرية، حيث أقبل شباب الأدباء العرب إقبالاً شديداً بعد تجربة البارودي الناجحة، فقلده كل من أحس بنفسه ميلاً للشعر وأصبح عباقرة الشعر العربي من شعراء جاهليين وإسلاميين وعباسيين هم المثل الأعلى للشعراء الجدد، ففي تلك العصور نال الأدب مجده الذهبي فاحتذى الشباب المعاصر حذوهم وحفظوا دواوينهم، ودرسوها، وشطروها وقلدوها، فرأينا أثرها واضعاً على هذه الطبقة، فتلاشى الضعف والانحدار، وظهر مكانه الصياغة المتقنة المحافظة، ونمت المواهب وتدفقت سبب الإصرار على الدرية والرواية فتمكن الأدباء من استصفاء أحسن الأساليب والألفاظ الملائمة، وتطويع تلك الأساليب وانتقاء أفضلها لتعبر عما يدور في النفوس وما يجري تخيلاتهم، فأصبح شعرهم صورة لشخصياتهم وخلقاتهم، فظهرت بذلك الشخصية الأدبية لكل شاعر وهم يولون اللفظ عناية فائقة، ويجيدون حيكه وحوكه، ولديهم القدرة اللغوية التي ربما تتجاوز حدودها؛ وهم يختارون البحور الطويلة مع النفس الطويل في قصائدهم ونرى ظاهرة الاقتباس والتضمين تلوح في أشعارهم، وهم قد عارضوا وحاكوا قصائد مشاهير الشعر العربي كأبي تمام والبحثري والمتنبي وغيرهم.

وقد قبض الله لهؤلاء أن يلجوا أبواب المدارس الأدبية الجديدة، وأن يتأثروا بما قدمته المطابع الحديثة، بإنتاج أدباء البلاد العربية وتياراتها وهؤلاء يشتركون في المحافظة على الأوزان والقافية وسلامة اللغة، ومع ذلك فكل منهم تأثر بمؤثرات خاصة به بسبب غزارة الروافد التي ألح عليها ومال إليها، وبما اقتفى أثره من المدارس الأدبية، كمدرسة الإحياء والبعث، فعادت إلى التراث الجيد، وصقلت مواهبها بواسطة الرواية والدرية ومنهم ابن عثيمين، وأحمد الغزالي، وفؤاد شاكراً، وأحمد قنديل، ومحمد سعيد العامودي، وعبدالوهاب آشي، وحمزة شحاته، وضياء الدين رجب، وأحمد العقيلي، ومحمد السنوسي، وعبيد مدني، وحسين عرب.

وكذلك ظهر في الأحساء عدد من الشعراء منهم أحمد آل المبارك، وآل عبدالقادر والملا

وغيرهم، ومن أشهرهم عبدالعزيز آل مبارك، وعبدالله آل عبدالقادر وعبدالعزيز بن حمد المبارك، وعبدالعزيز العلجي، وعثمان الملا، وهناك عدد من الشعراء ظهوروا في مدينة القطيف.

الاتجاه الثالث:

وقد أطلق عليها الدكتور بكري شيخ (التيار الإبداعي) أو (الرومانسي) وهذا الاتجاه يعني بالنزعة الفردية والشعور بالوحدة، والخلو بالنفس، الذي يورث الحزن ومحاولة نفض الشعور عن طريق الشعر وموسيقاه الحاملة، وساعد على ظهور هذا التيار في المملكة (حياة الأمة العربية وتكالب الغرب والشرق عليها وما واجهته من نكبات استعمارية واعتداءات صهيونية، وعجز العرب عن تحقيق أمانهم ومآربهم واصطدام المطامع العظيمة في نفوسهم بالسدود التي وضعها أعداء الإسلام والعرب).

وكذلك الروحانية التي عرف بها الشرق من رواسب الرسائل السماوية القديمة وظهر المصلحين في هذه الديار، ثم بزوغ فجر الإسلام الذي ينمي الشعور والإحساس بالإنسانية، وانتشاره من الشرق والحجاز بصفة خاصة فالتمس الشعراء لهم مسلكاً يفرّون إليه من واقعه المريع، فلانوا بالطبيعة يبتونها شكاتهم، وحلقوا في سماء الخيال، وهاموا بأودية الأحلام والأوهام وسبحوا بأرواحهم فيما وراء الطبيعة ومن شعر هذا الاتجاه ومن هؤلاء عبدالله الفيصل وطاهر زمخشري، وحسن عبدالله القرشي، وإبراهيم فوده، ويحيى حسن توفيق وهنا عدد من الشعراء الذين يُعنون بالفكرة بعد أن يغمسوها في أحاسيسهم وتتفاعل مع وجدانهم، ومنهم محمد حسن فقي، ومحمد فهد العيسى، وغازي القصيبي، وعبدالسلام هاشم حافظ، ومحمد عيد الخطراوي، وعبدالله بن إدريس ويوسف أبوسعد بن عبداللطيف، ومحمد هاشم رشيد، وفئة اتجهوا اتجاهاً إسلامياً ومنهم محمد بن سعد الدبل، وعبدالرحمن العبيد، وعبدالرحمن العشماوي وسعود الحليبي وعلي النعمي، وإبراهيم الدامغ، زاهر عواض الألمي وشريحة أخرى تعانقت مع المجتمع وأشهرهم إبراهيم علاف، سعد البواردي، ومعيض اليخيتان، عبدالله باشرجيل، وعبدالرحمن السويداء، وعلي الغامدي، وعلي زين العابدين، ومسلم فريج العطوي، إبراهيم العواجي، عبدالله اللحيان، عبدالله صالح العثيمين.

وهناك عدد كبير من الشعراء في مدن وأقاليم المملكة، فالسعودية واسعة الأرجاء،

وتعددت فيها العواصم الثقافية ففي كل عاصمة لمنطقة ناد أدبي يعنى بالفكر والأدب والتاريخ، ويستقطب الشباب، وينشر إبداع المنطقة، ويطلع المؤلفات والداوين الشعرية لكثير من الشعراء وقد صدرت دراسات عن شعراء كل منطقة حتى أن الشعراء وحدهم تجاوزوا المثات.

وتأخذ الحركة الشعرية في السعودية مسارات متوازية تكون، في صراع صامت أحياناً، وصراخ في أحيان أخرى وتوائم في أحيان كثيرة فيألى جانب الحركات التي يقلب عليها الالتزام بالموسيقا الشعرية وإن اختلفت هذه الأشكال ظهرت ألوان مستحدثة جديدة، غلب على دراسة أشعارهم النقاد الذين يميلون للحداثة ومن هؤلاء الشعراء محمد الثبيتي، وسعد الحميدين، ومحمد فهد العيسى، وأحمد الصالح (مسافر)، ومحمد الدميني، والعجلان، ومحمد فرج العطوي، وهؤلاء قادرون على التشكل في مسارات مختلفة، فالقارئ لداوينهم يجد ألواناً من الشكل الشعري، والواناً من المضامين الواضحة والفامضة، ومتعددة القراءة، وقصائد ذات الموضوع الواحد، وقصائد تتعاقب فيها إشكالية الموضوع.

وهناك شريحة من الشبان انداحوا في قصيدة النثر، ومالوا إلى إشكالية الغموض ومنهم عبدالله الخشرمي، وعبدالله الزيد، وحزام العتيبي، وفيصل أكرم، محمد الحربي، عبدالله الصيخان.

وهناك عدد من الشاعرات منهم سلطانة السديري، ومريم البغدادي، ثريا العريض، رقية ناظر، فاطمة القرني، خديجة العمري، بدرية السحيباني، سارة الخثلان، هدى الدعفق، هيام حماد العطوي ولكل منهن خاصيتها الفنية.

وقد ظهر نتيجة لهذا الإبداع النقد السوفسطائي الذي يلوب حول التأويلات ويلهث في صحراء التفسيرات، ولا يتجاوزها إلا وهو أمام قيعان من السراب، والظماً يحرق الفكر والوجدان، والسأم يطوي كيان المتلقي.

وتارة تعصف الاتجاهات النقدية أو مقتبسات من الاتجاهات النقدية بالنقد المعاصر فالناقد يتقلب من اتجاه إلى اتجاه ولم يقف عند فكره النقدي على قاعدة راسخة وقد وفد على دول الخليج كثير من النقاد الذين تولوا زمام النقد الصحفي، ونتيجة لضحالة العمق في النص فإن محاور ذلك النقد انداحت بهم إلى المماحكة السوفسطائية التي يجمولونها بالمصطلحات الأعجمية التي لم تنتقل بمفهومها، وهي ذات حركة متغيرة أو قد تجاوزها

النقد ومن هنا نجد أن المساحة النقدية للنص تتجاوز النص ذاته، وقد لجأوا إلى التحليل الاجتماعي واستتباط مساراته وتارة الفلسفي كي تدعم مكانة النص، وهو بمنأى عنها، وقد تألق هذا النقد لهيمنته على الصحافة.

وقد كان للنقد المنهجي الأكاديمي دوره الفاعل في عملية التوازن النقدي مما أفسح المجال لسائر الاتجاهات الإبداعية، وقد نهضت الجامعات لا سيما الأقسام الأدبية فيها وكذلك الأقسام الأدبية في كليات التربية بأمانة الفكر العلمي والفكر المنهجي فخرجت مئات الدراسات النقدية عن الأدب في السعودية، وعن كثير من أدباء البلاد العربية، وقسم الأدب في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام من أكثر الأقسام رعاية للأدب فقد رعى ما يقارب من ثلاثين رسالة عن الأدب في بلادنا ودول الخليج واليمن.

الإمارات العربية المتحدة،

تقع الإمارات العربية المتحدة على الساحل الشرقي للجزيرة فتكون متواصلة مع صحراء جزيرة العرب والمنابت القبلية وتمتد متواصلة على الساحل الذي يطل على العالم الشرقي وأفريقيا، وقد تكونت كياناً كبيراً حين توحدت الإمارات في الثاني من ديسمبر ١٩٧١م من سبع إمارات هي أبوظبي، دبي، الشارقة، رأس الخيمة، عجمان، الفجيرة، أم القوين.

ملامح عن الأدب في دولة الإمارات العربية^(١):

ظهر عدد من الشعراء في دولة الإمارات العربية في ما يقارب منتصف القرن الرابع عشر الهجري وأشهرهم الشاعر خلفان بن مصبح (١٩٤٦م) والشاعر مبارك العقيلي المتوفي (١٩٥٤م) والشاعر سالم العويس (ت ١٩٥٩م) وأحمد بن سالم (ت ١٩٨٦م) والشاعر أحمد المناعي (١٩٩٠).

وتقوم ثقافة هؤلاء على الثقافة الإسلامية، واعتمدوا في منهجهم الأدبي على التراث العربي، فهم شعراء اتبعوا أسلافهم من العربية، واستشرفوا عالم الثقافة المعاصر فكرباً، فكانوا أميل إلى المحافظة الفنية غير أنهم شاركوا العالم الإسلامي أحداثه، ودعوا إلى قيام نهضة معاصرة، وناقحوا عن القضايا العربية والإسلامية، ولأن النهضة في مراحلها الأولى فإن النشر يقتصر على الصحافة التي تتاح لهم بعض الأحيان، وقلّ وجود المطابع والمؤسسات التي تعنى بالأدباء لذلك فإنّ جلّ نتاجهم ضاع ولم يدون.

(١) استقيت هذا البحث من كتاب الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة

ومن أشهر الشعراء المعاصرين في دولة الإمارات العربية الشاعر صقر بن سلطان القاسمي المولود في الشارقة عام ١٩٢٦م وكان من الذين حكموها، ومنهم الشاعر سلطان بن علي العويسي ولد عام (١٩٣٦م) وحمد أبو شهاب ولد عام (١٩٣٦م) ومنهم الشاعر مانع سعيد العتيبة وعارف الشيخ، وأحمد راشد سعيدان، وكريم معتوق، وسيف المري، وعمر المزروقي، وشهاب غانم، وأحمد المدني، وهؤلاء أكثر اطلاعاً واتصالاً بالعالم العربي ومصادر ثقافته وحفظت أشعارهم وكان لهم صوت مسموع بين أدياء الخليج العربي ومثقفيه وقد طبعت لهم دواوين شائعة في المكتبات، وشعرهم يمثل الحركة الفكرية والأدبية في الإمارات، فهم قد عايشوا تكوين الدولة ووحدتها وبناء نهضتها، وتطورها، وساهموا في بناء المنتديات الفكرية والأدبية فيها، وشعرهم يشاطر العالم العربي أحزانه وآلامه، ويصور كوارثه وحروبه يقول سلطان العويس عن قيام الإمارات العربية:

الاتحاد قصيدة وحروفها أبنائها وقوامها الأمراء
وأبو الجميع قيادة وريادة هو زايد تجلى به الأدواء
وطنى دمي ينساب بين جوانحي فكانه والروح فيه سواء^(١)

يفاخر الشاعر بالجزيرة بأرومته العربية، وتجذر الأصول العربية التي ما زالت تمثل الموروث التراثي ولم يتخل عنها إنسان الجزيرة وإنما هو ملتزم برسالته الإسلامية وبقيمه العربية التي أصلح شأنها الإسلام وزادها بهاء، والشاعر يعلن التزامه الراسخ بهذه القيم بل يرى بثها ونقلها في أفئدة الزائرين من العرب وغيرهم:

هذي جواثا تحيي نخبه النجب من كل شههم سما بالعلم والأدب
تقول والشوق للزوار شيمتها يا مرحباً بكم في مهد كل أبي
اصفوا إلى عبد قيس في منازلها تشدوا بأروع نحن سارفي الحسب
المسجد الثالث الشرقي كان لنا والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا مسجداً لله نعرفه إلا بطيبة والمحجوج ذي الحجب
وهذه نفحات الحب ننشرها هنا على من آتانا من بني العرب
ما زارنا وافد إلا وعاد بما نوليه من حبنا في غاية العجب
لا يعرف اللؤم والتدليس ساحتنا لأن معدتنا من خالص الذهب

(١) نزار إباضة، الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في الإمارات العربية ١١

عن طبعه فهو بين الناس جد غبي
يداه من سيئ الأعمال والقرب
غير المعالي ركن كالعصبة العرب^(١)

من ظن أن عيون الناس غافلة
كل امرئ سوف يجني طلع ما زرعت
فأربأ بنفسك ان تصبو إلى غرض

أخذ ألق النهضة الفكرية يتجلى في دولة الإمارات العربية المتحدة بعد خروج الاستعمار وقيام الوحدة بين الإمارات حين انضمت إلى بعضها وكونت دولة الإمارات، فكونت المؤسسات الحضارية والمؤسسات الثقافية والفكرية، وتوحد الجهد في تلك الإمارات وتجلى التنسيق بين الإمارات كي تبني الوحدة الفكرية والثقافية والاجتماعية ومن هذه المؤسسات:

١- المجمع الثقافي في أبوظبي وغايته رعاية الفكر وتنمية المواهب الوطنية وأسس عام ١٩٨١م.

٢- وأنشئت في الشارقة دائرة الثقافة والإعلام عام ١٩٨١م لتشرف على النشاط الثقافي وتوسع دائرته.

٣- وأسس في الشارقة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات وكذلك في أبوظبي وبدأ نشاطه في عام ١٩٨٧م وكان من أهدافه دعم الثقافة بكثافة مواردها، ودعم الأجيال الشابة الجديدة ونشر الإبداعات والمؤلفات، والنهوض بالدراسات عن أدب وفكر الدولة وطباعة المؤلفات الفكرية والأدبية ونشر منها ما يقارب المائة كتاب.

٤- جائزة الشاعر سلطان العويس عام ١٩٨٨م وقد عهد إلى اتحاد الكتاب والأدباء بتظيمها ورعايتها وهي ما زالت مستمرة حتى بعد وفاة صاحبها. وهي تخدم الفكر العربي في سائر الدول العربية وقيمة الجوائز في كل سنتين خمس مئة ألف دولار.

٥- قيام الصحافة من مجلات وصحف يومية، ومنها مجلة المنتدى التي توقفت في ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ومنها مجلة (شعر) ومجلة (شؤون أدبية).

٦- وهناك مهرجانات أدبية للشعر، وحلقات ثقافية تقام مع معارض الكتاب السنوية.

وقد أوجز معجم البابطين الاتجاهات الشعرية لشعراء الإمارات في ثلاثة اتجاهات.

١- فقصائد الأوائل من أمثال سالم بن علي العويس وخلفان بن مصبح وصقر القاسمي وسلطان العويس مع ما ذكرناه، من توجيههم نحو معالجة الكثير من المواضيع القومية أو الدولية، وشيئاً من الغزل العفيف التزموا أسلوب الشعراء القدامى من حيث الاعتماد على

(١) عبدالرحمن آل ملا، أغاريد من الخليج ٦٨

شكل القصيدة القديمة فلم يهتموا الوزن والقافية والبساطة والوضوح إلى درجة أن بعضهم ذهب إلى استهلال القصيدة الوطنية أو القومية بالبكاء على الأطلال. وحيث إن المدنية والحضارة بمفهومها المعاصر لم تكن بعد قد طغت على حياة الإنسان في هذه البيئة فقد ظلت الروح الدينية والتقيد بعادات المجتمع وتقاليده أساس القصيدة لدى هؤلاء الشعراء ومن هذا المنظور عولجت معظم المواضيع الشعرية.

أما الجيل الذي نشأ في فترة ما قبل النفط وعاصر الجيل القديم وعاش الحديث وحاول أن يحافظ على توازنه بين الموروث والمعاصر، فيبدو أنه قد تردد بين هذا وذاك، بين الأسلوب الحديث والشكل القديم، غير أن له الفضل في دفع حركة الشعر في الإمارات إلى الأمام، نذكر من هؤلاء الدكتور أحمد أمين المدني والدكتور مانع سعيد العتيبة وهاشم الموسوي، وقد أدخلوا في شعرهم مواضيع لم تكن معروفة من قبل، فمثلاً الدكتور مانع سعيد العتيبة أصدر ديواناً تحت عنوان «قصائد بترولية» وجميع قصائد هذا الديوان كتبت في مناسبات مختلفة لاجتماعات منظمة أوبك. وقد ترجم إلي الإنجليزية بل إن بعضهم كهاشم الموسوي اتجه اتجاهاً روحياً في معظم قصائده كردة فعل لا تعرف المجاملة أو الخوف ضد الظلم والاستعباد والجهل ومصادرة الحريات وتدني مستوى الشباب الذي أصبح يجري خلف كل ما يأتي به الغرب من أفكار وفلسفات هدامة.

جاء بعدهم جيل الحداثة -متتبِعاً خطى صلاح عبدالصبور وأدونيس وسعدي يوسف ويوسف الخال وخليل حاوي...، وقد استطاع هذا الجيل أن يستغل النشر وصفحات المجلات والصحف لكي يسيطر على الساحة الأدبية ويحول الذوق العام إلى قراءة القصيدة الحديثة المتأرجحة بين المباشرة والوضوح في الرمز والإغراق في الرمز وهذا الأسلوب كما قال عنه الدكتور إحسان عباس «طريقة من التعبير عن نفسية الإنسان المعاصر وقضاياها ونزوعاته» حتى أن المجمع الثقافي في أبوظبي يصدر دورية فصلية تحت عنوان (شعر) تحتوي على نتاجات هؤلاء الشعراء الجدد، الذين لا يمر يوم إلا ونقرأ من خلال الصحف والمجلات اسماً جديداً لشاعر بدأ يشق طريقه الصعب والطويل في ساحة الشعر ليكمل ما بدأه أجداده منذ سالم بن علي العويس وخلفان بن مصبح وغيرهم^(١).

وَأتمنى أن تتبارى الاتجاهات جنباً إلى جنب ويكون التجديد مواكباً لكل اتجاه أما غلبة اتجاه الحداثة وذوبان الاتجاهات الأخرى فإنه مما يعاب على التوجه النقدي.

(١) معجم الباطين ٦: ٩٢

قائمة بأسماء بعض شعراء الإمارات:

أحمد المدني (١٩٣١)، أحمد راشد ثاني، أحمد محمد عبيد (١٩٦٧)، ثاني السويدي، جعفر الجمري (١٩٦١)، حبيب الصايغ، حسن علي شمس الدين (١٩٦١)، خالد بدر عبيد، خلفان بن مصبح (١٩٢١ - ١٩٤٦) سالم بن علي العويس (١٨٨٧ - ١٩٥٩)، سلطان العويس (١٩٢٥)، سلطان خليفة (١٩٤٢)، سيف المري (١٩٦٢)، شهاب غانم (١٩٤٠)، صالح غابشة، صقر بن سلطان القاسمي (١٩٢٥)، ظاعن شاهين (١٩٦١)، ظبية خميس (١٩٥٨)، عادل خزام، عارف الخاجة (١٩٥٩)، عارف الشيخ (١٩٥٢)، كريم معتوق (١٩٥٩)، كلثم خلفان، مانع سعيد الفتية، محمد العبودي (١٩٥٥)، محمد المزروعى، مها خالد، ميسون صقر القاسمي، ناصر جبران (١٩٥٢)، هاشم الموسوي^(١).

حركة الشعر في عمان:

ظهرت حركة الإحياء في سلطنة عُمان في مستهل القرن الرابع عشر الهجري بتألق الشاعر العماني ناصر بن سالم بن عديم الرواحي المعروف بأبي مسلم البهلائي المولود في عُمان عام ١٢٧٣هـ، وتعلم في موطنه ثم انتقل إلى زنجبار وتوفي عام ١٣٣٩هـ، وهو شاعر عمان وشاعر المهجر الأفريقي وشاعر السلاطين.

وقد قال مقصورة مطولة قوية النظم، استطاع من خلالها أن يكون رائداً لبعث الشعر العماني، وداعياً لإبراز ملامح الأصالة والصدق فيه: فكان له أثر فيمن جاء بعده من الشعراء: حتى أنه يُعد - بحق - باعث النهضة الأدبية في الشعر العماني.

ومن الشعراء العمانيين الذين لهم الريادة، الشاعر عبدالله بن علي الخليلى المولود عام ١٣٣٩هـ، وقيل ١٣٤٢ / ١٩٢٢م والمتوفى عام ١٣٧٣هـ وله ديوانان هما (وحي العبقرية) و(على ركاب الجمهور) والأخير شعر قصصي، وهو من رواد حركة بعث الأدب المتأثرين بمنهج (أبو مسلم الرواحي)، و(عبدالله الخليلى) فقد كان هو الآخر صاحب دور بارز في زيادة هذه الحركة بما ظهر في شعره من حس مرهف، ولغة سلسلة وأفكار عميقة.

فقد عارض الخليلى -ابن دريد- وأبا مسلم الرواحي في مقصورتيهما السابقتين بمقصورته (٢٥٠ بيتاً) التي مطلعها:

«وقد جاءت مقصورة (الخليلى) تعبيراً عن كفاح الشعب العماني، وحكاية لتاريخ المجد

(١) معجم البابطين ٦ : ٩٦

يا ساري البرق يَهْلُهَل السَمَا
يخط أسطراً كالألأ السنَا
تسوقه لواقح ندية
ومُرزم بين حنين ورغَا
حتى إذا ضمرى هادره
وخاف منه، أرسل المدمع بكَا

الذي بنته عمان سابقاً، وإيقاظاً للشعور الوطني، ودعوة النهضة، وثورة لتحقيق الإرادة الوطنية، وتحطيم الظلم، وقد أوضح فيها الخليلي موقفه من أحداث العصر، وأنه يشاطر شعبه مآسيه وأحزانه، ثم يستحث بني وطنه لكي يأخذوا مكانهم في عصر العلم، والصواريخ والذرة.

ومقصورة الخليلي تبدو فيها أصالة الشاعر، وعمق أفكاره، والترجمة عن نفسيته الحزينة، ونفسية شعبه الذي يعاني حينئذ الكبت، والغل، والهوان: كما أنها كانت إرهاساً لثورة (قابوس سنة ١٩٧٠م) التي خلصت الشعب مما كان يعانيه حينئذ وقد لخص فيها دعوته الوطنية قائلاً^(١).

وكما خاطب كل من (ابن دريد) و(أبو مسلم الرواحي) الدهر فقد خاطبه (الخليلي): وإن

ونفثة المسعور لا يطفئها
سبل النفاق لو طغى على الربا
وغيرة المقدام في وطيسها
أحرق للمغير من حر اللظى
وسورة الشعب وإن تشببت
انكى على الدخيل من مر القضا
والمجد لا يدركه مجمع
لو أنه في ذروة الجد استوى
والحر لا يحتمل المن ولو
كان من الأدنى أو الأعلى أتى
دعني أردد كلمات أحترقت
قلبي وأدركت في الحشا جمر الغضا

كان يتخذ من ذلك وسيلة للحديث عن ظلم الأحرار كما كان في مقصورة (أبو مسلم الرواحي): فنراه يقول عن الدهر:

ومن هذا النص يمكن أن تبين مدى ما اشتملت عليه مقصورة (الخليلي) في تعبيرها عن

أقول للدهر وقد اقلقني
عزيفه، لكني ثبت الحججا
يا دهر لا تلمس على بصيرتي
فإنها من الصراط بالسوا
يا دهر لا تمسخ على مكانتي
فإنها من الجلال والهدى

(١) علي عبد الخالق علي، الشعر العُماني ٩٠ .

أغلال ذي كسيد إذا الجدد كبا
من تخمد الصيحة منه للصلى
وان ترامت لا أوليها القفا
يقدح من القوة ما يوهي القوي
يختل من المنعة عنقاء الفضا
جعلته غلا عليه فخزا
بمرتض إلاي لابساً علا
في وجهه الدهر إذا الدهر سطا

يا دهر لا تحمل على أعناقها
أربع على ضلعك لا تحسبني
لا أوقظ الفتنة في موضعها
إن يقدح الدهر صفاتي ساخرأ
إن يخاتلني على مرصده
وان ينازعني ردائي ظالمأ
فما ردائي في رفيع نسجه
ولي إلى الله سبيل لم يقف

المجتمع العماني، وما كان يقاسيه قبل الثورة، ثم دعوتها إلى الأخذ بأسباب العلم الحديث في أسلوب بعيد عن التكلف والغرابة، وذلك يؤكد أهمية المعارضات في مجال إحياء الشعر ونهضته وبعث الحياة العلمية، إذ أنها صورة لما اتسم به الشعر العماني في العصر الحديث»^(١).

اهتم الأديب الشاعر العُماني عبدالله بن حمد الطائي (١٩٢٤ - ١٩٧٣م) بدراسة الأدب في سلطنة عمان وفي الخليج العربي: فقد ألف ثلاثة كتب يمكن أن تكون من مصادر الأدب العُماني الحديث وهي:

١- كتاب الأدب المعاصر في الخليج العربي تم طبعه عام ١٩٧٤م.

٢- كتاب دراسات عن الخليج العربي تم طبعه عام ١٩٧٨م.

٣- كتاب مواقف طبع عام ١٩٩٠م.

وهذه الكتب فيها لمحات عن أدب الخليج تحمل إلى جانب ذلك أطروحات نقدية لمعاصريه تدل على مكانة المؤلف النقدية حتى علا صوته في العالم العربي شأنه شأن إبراهيم العريض في البحرين.

والمؤلف عبدالله بن محمد الطائي، شاعر وقاص وناقد ومؤلف فقد طبع له رواية (ملائكة الجبل الأخضر) وتدور أحداثها حول الجبل الأخضر في عُمان طبعت عام ١٩٦٣م وله رواية تاريخية في (الشرع الكبير) طبعت سنة ١٩٨١م، وله ديوان شعر (وداعاً أيها الليل الطويل) طبع عام ١٩٧٤م وله ديوان آخر (الفجر الزاحف) إلى جانب الكتب النقدية السالفة

(١) علي عبد الخالق علي، الشعر العُماني ٩١

العتيبي، ويعقوب السبيعي، وسليمان الفليح، وسعاد الصباح، ونجمة إدريس، وجنة القريني، وغنية زيدالحرب، وغيرهم، إضافة إلى شعراء المرحلة السابقة: أحمد العدواني، ومحمد الفايز، وعلي السبتي، الذين لم ينقطعوا عن الإبداع، وأن تميز الفائز من بينهم بغزارة النتاج. ومن الصعب جداً حصر ما يتعلق بهذه المرحلة من مضامين وسمات فنية في هذه المساحة الضيقة ولكن لا بأس من تحديد ملامحها العامة، يساعدنا على ذلك وجود تعريف بالشعراء، مع بعض نصوصهم في المعجم.

أما بالنسبة للقضايا أو المضامين التي عالجوها فيمكن القول أنها تتوزع بين الهم الخاص والهم العام. أو بين الدوافع الذاتية والاجتماعية والقومية، وقد يمتزج الخاص بالعام، ومن الملحوظ في هذه المرحلة اهتمام الشعراء بالهموم القومية. إذ من الجدير بالذكر أن هؤلاء الشعراء جاءوا في أعقاب أكبر صدمة أصابت الوجدان العربي وهي نكسه يونيو -حزيران- سنة ١٩٦٧م. وما تبعها من تصدعات لا آخر لها لم تستطع حرب أكتوبر ١٩٧٣م رآها، وما زالت المعاناة مستمرة وفي طريق من التخاذل عجيب، وإذا ما أضيف إلى هذا الأمر قلق الشاعر من التعبير المادي الجارف في بيئته، أدركنا مركز التوتر الذي شغل الرؤية الشعرية في كثير من نتاج الشعراء في عقد السبعينات خاصة، بينما كان وقوع الحرب العراقية الإيرانية، في نظر الشعراء لإعادة الأمجاد الغابرة، وتغيير الواقع العربي الرديء، وربما سيطرت هذه الرؤية على معظم نتاج عقد الثمانينات الذي ختم بصدمة الغزو العراقي للكويت^(١).

تتوهج الحركة الثقافية في الكويت بألياتها الإعلامية المتعددة فصحافتها قوية وهي الأكثر انتشاراً في بلاد الخليج العربية ومن صحفها القوية، السياسة، والأبناء، والوطن، والقبس. وقد اشتهرت الكويت بقوة تأثيرها الفكري والثقافي بعد إصدارها لمجلات واسعة الانتشار استقطبت المفكرين والمتقنين العرب ومن أشهر هذه المجلات مجلة (العربي) ومجلة (عالم الفكر) ومجلة (عالم المعرفة) وتلك المجلات خدمت الفكر الوطني والفكر العربي. والكويت أكثر دول الخليج فاعلية في معارض الكتاب العربي وأكثر حضوراً وجناحها من أكبر المعارض للدول، ومن أكثرها رواداً، ولعل دول الخليج تبلغ هذه الدرجة لدعم الثقافة الإسلامية والعربية التي انطلقت من الجزيرة.

دولة البحرين،

البحرين من أكبر بلاد الخليج استقراراً، لبعدها عن الصراع القبلي، ولكنها خضعت

(١) معجم البابطين ٦ : ٣٩٢ .

للاستعمار، وبدأت بذور التعليم فيها مبكراً، وقد شجع أمراؤها العلماء والشعراء، بل وجهوا لهم الدعوات إلى زيارة البحرين والعمل فيها، وتقربها من الأحساء وقربها من الإمارات العربية في الخليج العربي فإن جل الشعراء قد وفدوا إليها في مستهل النهضة وقد انجبت عدداً من الشعراء، الذين لهم دورهم الوطني، وقوة صوتهم خارج البحرين من أشهرهم، إبراهيم العريض، الذي ذاعت شهرته وتواصل مع مصادر الثقافة العربية، وكتب في صحفها، وألف في النقد الأدبي، وهو شاعر مجدد، يميل إلى الشعر الوجداني القصصي، وله ديوان (العرائس) وملحمتان شعريتان هما (قبلتان، وأرض الشهداء) الأولى وجدانية والثانية اجتماعية وله عدد من المؤلفات.

ومن شعراء البحرين عبدالله الزائد شاعر وصحفي وكاتب أسس أول صحيفة في البحرين وسماها باسم الجزيرة (البحرين) عام ١٢٥٨هـ.

ومنهم الشاعر عبدالرحمن الباكر، والشاعر أحمد بن محمد الخليفة، وهو كاتب صحفي وله ملحمة شعرية (التماثيل الملونة) وديوان شعر (أغاني البحرين).

ومنهم ناصر بوحמיד له شعر حر يميل إلى الولوج في الأحاسيس الداخلية للإنسان وتارة يميل إلى الواقعية^(١).

ومن الشعراء عبدالرحمن المعاودة، وقاسم الشعراوي.

وهؤلاء وغيرهم يغلب على إبداعهم الاتجاه الفكري الملتزم بالروح الإسلامية، والوحدة العربية، والنزعة الوطنية والنهضة والتطور، وهم شعراء لهم أصالتهم ويميلون للمحافظة في لفظ بياني يكشف عن فكر تأملي ونزعة إنسانية للحق والخير والجمال.

وقد كتب عن هؤلاء الشعراء في البحرين الناقد الدكتور محمد جابر الأنصاري، والدكتور الشاعر علوي الهاشمي ولكن الهاشمي اهتم بالشعر الحر في البحرين ودرس الشعر الحر السعودي دراسة موسعة.

ومن أشهر الشعراء المعاصرين علي بن عبدالله خليفة، الذي صور الفوص وصيادي اللؤلؤ في ديوانه «أنين الصواري».

ومنهم الشاعر قاسم حداد، تواصل مع الإصدارات الصحفية في العالم العربي وهو دائم الحضور في المنتديات الأدبية، وله أكثر من ثمانية دواوين، وهو كاتب نقدي وله مشاركاته

(١) انظر كتاب الأدب في الخليج العربي عبدالرحمن العبيد، شعراء البحرين ٧٥

في المهرجانات الثقافية.

ومن شعراء البحرين الشاعر علي الشرقاوي، وله عدد من الدواوين «الرعد في مواسم القحط» «نخلة القلب» «تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة» (هي الهجس والاحتمال) «رؤيا الفتوح» «المزمور».

ومنهم الشاعر محمد الماجد، وعبدالقادر عقيل، وعبدالله خليفة، وفوزية رشيد، وحمد خميس^(١).

وهؤلاء اقتصروا على الشعر الحديث بألوانه المختلفة، وتقطعت الأسباب بينهم والاتجاهات المحافظة في الشعر العربي.

وقد أشار معجم البابطين إلى بداية الحركة الشعرية في البحرين «كان نصيب البحرين من التأثير بالتيار الإحيائي الأول الذي تأخر مجيئه إلى منطقة الخليج والجزيرة العربية نصيباً وافراً سبقت به البحرين بقية أرجاء المنطقة، نظراً لأسبقية نشوء أهم قواعد الحياة الحديثة فيها مثل الأندية (١٩١٢م) والتعليم (١٩١٩م) والصحافة ومرافق الصحة (١٩٢٩م). بالإضافة إلى الحركة الوطنية التي استعمر أوراها ضد الاستعمار عام ١٩٢٣م على يد الشيخ عبدالوهاب الزباني ورفاقه.

وكان على رأس هذا التيار الذي امتد أثره أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين جماعة من الشعراء ذوي المنبت التقليدي الصريف يجيء في مقدمتهم الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة والشيخ سلمان التاجر (آل نشرة) والشيخ محمد بن عيسى الخليفة، وتتمثل السمات التقليدية في شعر هؤلاء في الأغراض الشعرية التي كانوا يحصرون تجاربهم فيها كالضجر والمدح والغزو وشكوى الزمان والدهر والحنين إلى الماضي من الأيام والسنين، وقد تميزت قصائدهم بجزالة الأسلوب ومتانة العبارة وانتقاء الألفاظ الرنانة والنبهة الحماسية العالية خاصة في القصائد الوطنية التي ميزت حصيلة مراحلهم الشعرية الأخيرة.

❖ ولد الأمير الشاعر الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة في مدينة المحرق عام ١٨٥٠م، وهو ينتمي إلى العائلة الحاكمة، فوالده هو الشيخ محمد بن خليفة الذي تولى حكم البحرين

(١) أحمد محمد عطية، كلمات من جزر اللؤلؤ، دراسة في ادب البحرين الحديث، ٢٢٩، وما بعدها.

في فترات متقطعة قبيل تولي الشيخ عيسى بن علي (ابن عمه) الحكم وهدوء الأحوال المضطربة»^(١).

ومن الشعراء سليمان التاجر المولود عام ١٨٧٥هـ ومنهم الشيخ محمد بن عيسى المولود عام ١٨٧٦هـ وقد عُمِر طويلاً، وقد تطور الشعر مع الشعراء المتأخرين ومنهم قاسم محمد الشيرازي (١٨٨٠ - ١٩٥٠م) وعبدالله بن علي بن جبر الزايد (١٨٩٩ - ١٩٤٥م).

أسماء بعض شعراء البحرين:

إبراهيم بوهندي (١٩٤٨م)، إبراهيم العريض (١٩٠٨م)، إبراهيم بن محمد الخليفة (١٨٥٠ - ١٩٢٣م) أحمد محمد الخليفة (١٩٢٩م)، أحمد مدن (١٩٥٥م) تقي محمد البحارنه (١٩٣٠م)، حسن كمال (١٩٣٩م)، حمده خميس (١٩٤٨م)، خليفة حسن قاسم (١٩٤٠م)، رضي الموسوي (١٩١٦ - ١٩٧٦م)، سلمان التاجر (١٨٧٥)، سلمان الحيكلي (١٩٥٢)، عبدالله بن علي بن جبر الزايد (١٨٨٩ - ١٩٤٥م)، عبدالرحمن رفيع (١٩٣٨م)، علوي الهاشمي (١٩٤٦م)، علي الشرقاوي (١٩٤٨م)، علي عبدالله خليفة (١٩٤٤م)، عيسى بن راشد الخليفة (١٩٣٨م)، فوزية السندي (١٩٤٨م) قاسم حداد (١٩٤٨م)، قاسم محمد الشيراوي (١٨٨٠ - ١٩٥٠م) محمد بن عيسى الخليفة (١٨٧٦ - ١٩٦٤م) محمد حسن كمال الدين (١٩٤١م)، يوسف حسن (١٩٤٢م)^(٢).

دولة قطر:

يشارك قطر مع سائر دول الخليج في مستهل النهضة في كثير من الإشكاليات الإدارية وانتشار الجهل، واختفاء الأمن، ومن ثم انحسرت الحركة الفكرية في فئة قليلة من العلماء والأدباء يتنقلون في مجالس الأمراء ومنهم محمد بن عثيمين، وعبدالعزیز المبارك والطباطبائي، وغيرهم.

ثم ظهر بعد منتصف القرن الرابع عشر بعض الشعراء الذين يمثلون شعر قطر ومنهم الشاعر أحمد يوسف الجابر (١٩٠٣ - ١٩٩٢) وشعره يصور الحالة السياسية في قطر، فهو مدح الأمراء، والتزم بالمناسبات الدينية، وله شعر يصور بعض القضايا الاجتماعية، وله ديوان شعر حققه يحيى الجبوري، ومن الشعراء عبدالرحمن المعاودة الذي أصدر عدداً من الدواوين ومنها ديوان المعاودة، ولسان الحال، وروضة البلايل، وكلاهما التزم بالتهج المحافظ،

(١) معجم البابطين ٩٦:٦.

(٢) المرجع السابق ١٠٨:٦.

واستطاعا تجسيم المعاني الحديثة في شعرهما ويبلور تجاربهما الخاصة، ويث البوح الوجداني في شعر رقيق، كتب معجم البابطين عن هذه الفترة موضعاً تلك المرحلة «من أوائل الخمسينات تزدهر الحركة الشعرية في قطر حيث يفتد إلى قطر العديد من الشعراء بعضهم يقيم فيها والبعض الآخر يتردد بين فينة وأخرى، فقد كان الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني الحاكم -آنذاك- شاعراً ومحباً للشعر فقرب الشعراء وأغدق عليهم العطاء، وأخذ ينشر أشعارهم ودواوينهم، فتسابق الشعراء إلى قصر الريان يجالسون الحاكم وينشدونه أشعارهم ومعظمها في المديح وكان الشيخ علي توافقاً إلى سماعه منهم، وقد كان لهذه الحركة الشعرية الوافدة أثر في إيقاظ الوعي الشعري عند أبناء البلاد، وإن كان معظم الشعراء القطريين قد لجأ إلى الشعر النبطي باستثناء أحمد الجابر، والمعاودة، وفي هذه الفترة تم نشر العديد من المجموعات الشعرية والدواوين من الشعر العربي القديم والمعاصر منها المختارات الشعرية للشيخ علي بن عبدالله جمع فيها أشعاراً لشعراء من مختلف العصور وبوبها حسب الموضوعات في المديح، والثناء، والغزل... إلخ.

ومجموعة شعرية تحت عنوان (درر المعاني في مدح آل ثاني) من أربعة أجزاء وكلها لشعراء معاصرين من قطر أو الوافدين وتكاد تقتصر هذه المجموعة على شعراء المديح، كما تم نشر العديد من الدواوين الشعرية منها ديوان ذي الرمة، وديوان ابن دراج القسطلبي، وديوان علي بن مقرب العيوني، وديوان أحمد بن مشرف التميمي.

ومعظم الشعر في الخمسينات والستينات سواء لشعراء قطريين أو وافدين على قطر اقتصر معظمه على المديح، والمناسبات الدينية، والمناسبات العامة كزيارة حاكم الدولة، أو عودة الحاكم، أو إقامة مشروع خيرى، أو مؤسسة عامة ونحو ذلك، ولعل شعر الجابر وعبدالرحمن المعاودة يمثل نماذج للحركة الشعرية في هذه الفترة من حيث موضوعاته ومن حيث سيطرة الاتجاه التقليدي عليه فالشاعر عبدالرحمن المعاودة الذي نزح من البحرين إلى قطر منذ أوائل الخمسينات واستقر في قطر، ولازم حاكمها وخاصة الشيخ علي بن عبدالله الذي عرف بحبه للشعر وتقريبه للشعراء، وما كاد المعاودة يستقر في قطر حتى أصبح شعره يتردد بين الناس ولقب بشاعر القصر⁽¹⁾.

ومن شعراء قطر الشاعر الشيخ علي بن سعود آل ثاني (١٩٢٢م) وله ديوان شعر (غدير الذكريات) وموضوعات شعره تدور حول المناسبات الدينية، والوجدانيات الغزلية

«والذكريات» وهو ملتزم بالنهج العمودي للشعر فحافظ على الوزن والقافية ويؤطر شعره بالصور العربية القديمة، وهو يقف على القديم كوقوف الأوائل، ثم طرأ على الساحة الأدبية عدد من الشعراء تقاربوا مع رحلة الشعر العربي في سائر الأقطار عندما توازن الاتجاهات الشعرية في أسفارهم، فنجد الشعر المحافظ، والمعاني القديمة، ونجد الشعر الحر المعتمد على التفعيلة. ونجد الشعر المنثور، وربما اجتمعت في ديوان شاعر واحد، وقد جالوا في كثير من المضامين الوطنية والعربية والاجتماعية، وتكاثر الشعر الوجداني ومن أشهر الشعراء الشيخ مبارك بن سيف المولود عام ١٩٥٠م، وله عدد من الدواوين الشعرية منها «الليل والضفاف» وأنشودة الخليج، و«ليالي صيفية» وله مسرحية شعرية.

وخلال العقدين الماضيين تتنوع التجارب، وتشهد ساحة الشعر في قطر إبداعات جديدة من أقلام شابة واعدة في مجال الشعر من أمثال علي ميرزا محمود، ومحمد خليفة العطية، والدكتورة زكية مال الله، والدكتور محمد قطبة، حيث أخذ هؤلاء الشعراء الشباب بإثراء الحركة الشعرية في قطر، فإذا كان شعر مبارك بن سيف يمثل بداية لبزوغ تيار جديد في الشعر الحديث في قطر، فإن هؤلاء الشعراء الشباب قد انخرطوا في هذه التيارات الجديدة من شعر رومانسي إلى شعر جديد يقوم على وحدة التفعيلة، إلى التيار الحدائي الذي نجده عند الشاعرة زكية مال الله^(٢).

ومن أشهر شعراء قطر المعاصرين:

أحمد الجابر (١٩٠٣ - ١٩٩٢م)، حسن نعمة (١٩٤٣م)، حصة العوضي (١٩٥٦)، زكية مال الله (١٩٥٩م)، عبدالرحمن المعاودة (١٩١١م)، عبدالرحمن المناعي (١٩٤٨م)، عبدالرحمن بن درهم (١٨٧٩ - ١٩٤٣م)، عبدالرحمن بن صالح الخليفي (١٨٩٩ - ١٩٤٤م)، الشيخ علي بن سعود آل ثاني (١٩٣٢م)، ماجد بن صالح الخليفي (١٨٧٣ - ١٩٠٥م) الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني (١٩٥٠م)، محمد أحمد عبدالله المطوع (١٩٥٢م)، محمد الأنصاري (١٩٤٥م) محمد العطية (١٩٦٢م)، محمد عبدالله قطبة (١٩٥٥م)^(٣).

(١) معجم البابطين ٦: ٢٦٦ -

(٢) معجم البابطين ٦: ١٧١ -

(٣) المرجع السابق ٦: ١٧٤ -

مصادر الفكر الأدبي

تمهيد

أولاً: المصدر المكاني

ثانياً: الدين الإسلامي

ثالثاً: الفكر الاجتماعي

رابعاً: الوطن وقضاياها

خامساً: التطور والتعليم

سادساً: الطبيعة

سابعاً: الكون

مصادر الفكر الأدبي

الفكر وراء فاعلية الإبداع وسريانه عند معاصريه وتقله في مثاقفة العصر والأمم، وهو الجذر الذي ينمي الأدب والأديب، وهو الإشعاع الذي تنطلق به شهرة الأديب، وقد كانت الأديان وراء لعان كثير من الأدباء والقصائد الشعرية كتلك المرحلة الإبداعية للشعر القصصي الإغريقي، و«الكوميديا الإلهية لدانتي» والقصص الهندي، ورباعيات الخيام، فالتفكير الأدبي نابع من التفكير الديني والفلسفي، بل تعود عظمة الشعراء إلى عظمة المبادئ التي ينادون لها.

وقد تفرع النقد من أصول الفلسفة بمعنى أنه غصن من أغصان الفلسفة وقد كان الفلاسفة رواداً في توجيه فكره وإشكاليته إلى يومنا هذا، والاتجاهات الفنية والفلسفية والفكرية للأدب كانت مخاض العقل الفلسفي التأملي فهذا طاغور الهندي يلمع بحكمته في هذا العصر الحديث، وكثير ممن نالوا جائزة «نوبل» كانت المبادئ الفكرية الموجهة للمجتمعات وسيلتهم ومركبهم لهذه الجائزة، بغض النظر عن مصداقية ذلك الفكر وصلاحه للإنسانية أم أنه نابع من سيطرة فكر له أبعاده الحضارية المهيمنة فالأواصر والشائج متواصلة بين الفكر والأدب في الآداب العالمية، وآيتها أنه لم يشتهر أي أديب غربي إنطلاقاً منذ القدم حتى اليوم، إلا إذا كانت له وجهة نظر واضحة، أو شبه واضحة، تجاه المصير والكون، أي كان له منحى فكري معين في تفسير مشكلات الوجود، ولم يحدث أن أشير إلى عظمة أي أديب كبير في تاريخ أوروبا على أنها مجرد إبداع في الاستعارات والصور والتشبيه، وتمكن في اللغة على ما لهدين المقومين من أهمية، وإنما أشير دائماً إلى العظمة الأدبية على أنها فهم الشرط التاريخي الذي فيه يتحرك مصير الإنسان، وتقديم مزيد من التفسير على النظريات السائدة في فهم طبيعة الأفراد والمجتمعات وتحليل الواقع وتلمس خطوط المستقبل، أي أن المقوم الأول للعظمة الأدبية هو مدى ما يتكشفه الأديب من رؤية **متعملة** بالكون والمصير والفرد والمجتمع وأسرار النفس والحياة والوجود.

وتطبق هذه العلاقة الوشيحة مع الفكر على المذاهب الأدبية التي تلوكها على أسننتنا باستمرار: الابتداعية، والإيقاعية، والإتباعية الجديدة، والواقعية والرمزية وما أشبه ذلك، كل مذهب من هذه المذاهب ارتبط باتجاه فلسفي واتخذة مستنداً، وكان له أيضاً إلى جانب الفكر صدهاء الفني، أي أن هذه المذاهب تتمثل في وقت واحد بأسلوب التفكير الفلسفي،

فالاتباعية نابعة «عن الاتجاه العقلي الصارم في الفلسفة» وإلى إحلال قيم الضبط والاتقان والدقة...، أما الرومانسية فهي تقوم على تمجيد الفرد والطبيعة والعاطفة وفي رفض العبودية الاجتماعية، القسر الفكري الاجتماعي»^(٢).

ونحن في عصرنا نجد أن الماركسية ولدت اتجاهاً جديداً هو الالتزام الأدبي، والوجودية بريادة سارتر وظفت الأدب لتوليد الفكر الفلسفي، والأغلبية أدركت أن الأدب أحد العوامل المكونة لاتجاهات الفكر الاجتماعي، بل إنه كاشف الأضواء للحياة المستقبلية فالأديب أكثر استشرافاً للتحويلات المستقبلية، ونحن في زمننا زمن العولمة إلا نرى التوجه وثقافة الأدب العالمي بل توحيده أحياناً ليكون أدباً عالمياً يتوحد كما تتوحد العولمة البشرية بل ربما تكونفاعلية الأدب المقارن لعالمية الأدب منطلقاً لذلك.

وما نلمح من تجريد وغموض في بعض مساراتنا الإبداعية في أدبنا المعاصر سواء في الإبداع القصصي أو الشعري فإن الأمر يؤول إلى فلسفة فكرية تنفي الاستنباط ثم بلوغ النتائج، وإنما تعكف على التحليل والتشكيك والتساؤل، وقد جرى النهر النقدي اتجاه المبدعين هذا، ومن هنا تبرز مفهومية ألا يكون هناك شيء سائد ثابت حقيقي وإنما متحرك يحمل احتمالات شأنه شأن السحب التي تلج فوق أعناقنا نشرئب إليها، فتسقى تارة، وتتلاشى أخرى.

والشعر العربي يخضع للتفكير قديماً وحديثاً، فالفلاسفة كالفارابي وابن سينا لهم دورهم في تلوين المسار النقدي إلى الفكر، وكذلك الأدباء والعلماء والفقهاء، ويتمثل الفكر الفلسفي الصوفي في إبداع الشعراء كابن عربي، وابن الفارض والبوصيري.

أما الفكر المعاصر فقد يجسد في الاتجاه الإسلامي والقومي، والاجتماعي، والالتزام الأدبي، والحدائي ليس بمنأى عن التفكير بل إنني حين قرأت كتاب أدونيس في مراحل اطلاعي الأولى كتبت عليها أنه داعية تقمص أسلوب المصلحين في دعوته إلى التمرد الفكري على اتجاهات الأدب العربي وينعي عليه التزاميته لكنه لم ينبج من هذه الدعوة الوعظية الصارمة للفكر الحدائي الذي يمثل الإنحراف الكلي فيرى الدكتور حسام أن «أصوات الحدائين والبنويين والمجددين عموماً تطالب بالمزيد من التفكير في الأدب، وحتى

(١) عالم الفكر، المجلد ٢٤، العدد الرابع، أبريل/ يونيو ١٩٩٦م، ص ٢٧٤.

(٢) المرجع السابق ٢٧٥.

في الشعر بوجه خاص، بل إنها تطالب بمطابقة بين الشعر والفكر من خلال ثورة فكرة إنتقالية في الشعر والشعرية، كما أشارت إلى ذلك دائماً كتابات شيخ الحدائبة أدونيس الذي كتب الكثير في هذا الموضوع منذ مطلع السبعينات وتشير آخر تطورات موقفه الفكري في هذا الموضوع إلى أنه يعترض على النقد العربي القديم الذي فصل الفكر عن الشعر، ويرجع إلى جذر كلمة شعر فيرى أنها تتضمن معنى «علم وأحس» ومن هنا يطالب بأن نعيد النظر في المصطلح السائد للشعر، وأن نوحّد بينه وبين الفكر، من حيث إنه لا يكتفي بأن يحس بالأشياء، وإنما يفكر بها»^(١).

ويؤكد أدونيس أن ما تفتقده في النظرية النقدية العربية تراه في النص الإبداعي، فهذا النص الذي نجده عند بعض الشعراء من جهة، وعند بعض المتصوفين من جهة ثانية، يخترق تلك النظم المعرفية وتنظيراتها، إذ أنه يحقق في بنيته وفي رؤيته علاقة عضوية بين الشعرية والفكرية ويفتح أمامنا بحدوسه واستبصاراته افقاً جمالياً جديداً وافقاً فكرياً جديداً^(٢).

إذن فإن المبدعين أصحاب فكر إن خيراً فخير وإن شراً فشر والشاعر محمد حسن العواد يجعل وظيفة الشعر فكرية، فالشعر يستمد من الفكر، وهو يحمل فكراً يرفع شأن الإنسان والوطن، ويوقظ المجتمع والفرد، فهو يحارب العبثية، والخرافات، والأساطير التي لا فكر فيها، ويفتق الفكر الذي يبني المجتمع، من خلال الحياة الواقعية.

«ليس للشعر من أمير سوى الفك	روحى الشعور - لا وسانه،
«يلهجان الهدى ونضت الرؤى	الحررة - فى فنه - إلى فنانه،
«فالحساب الحساب للفكر خلا	قأ بعيد المضى فى اشطاته،
«ونفوس ترى الكرامة قدساً	وحياة الضمير من أديانه،
«تنشر العزة الطليقة والتو	جيه والنقد عالياً بكيانه،
إن حتما على الأديب احترام الع	لم جداً فى بحثه أو غنائه
ما ارى الشعر والحقائق ضد	ن فكيف أطرحتها فى حدائه
ليس حتماً أن يحشر العلم فى الشع	ر - كما قبل - أو يرى بحدائه
إنما الحتم أن يجانب ما عد	خرافات وهمسه وهبائه
شاعر، يحسب الضروع أصولاً	ثم يغوي صحابه بخوانه

(١) عالم الفكر، المجلد ٢٤ . العدد الرابع، أبريل/ يونيو ١٩٩٦م، ص ٧٩



قد رأوا منه مزدرى أسوائه
بحر ذكراً فخله في التوائه
ر إذا قال إنها في عرائه
لم ويرى عن داره وأنائه
بي فسخر الفنون في أكبائه^(١)

وينادي انصاره لصراع
وإذا صد الشاعر عن كنوز الـ
لكن أصفه ناقداً صفة السخ
هكذا الشعر يصحب العقل والع
وإذا استحصب الخيال فلا يك

فالشاعر مفكر لأتمه يصهر الفكر في بوتقة الوجدان، فتتجلى موهبته الفنية بضياء من إشراقات الحياة التي تتير درب البشر، في عتمة المنعطفات المظلمة في مسار المجتمعات، فالشعر يحمل الإلهام السامي، ويصور الماضي ليكون قاعدة الحاضر يعظ به الحاكم، ويوقف به قلب الفافل، ويشكل القوة الاجتماعية، وينفث روح الحياة على أفراد الأمة، ويرتقي بالأمة إلى المجد، وينير المستقبل ويفرس الفضيلة، ويكشف عن الرذيلة، يقول راشد السيف (١٣١٨ - ١٣٩٢هـ) عن الإبداع الفكري في قصيدة قالها أمام الشيخ الجزائري محمد بشير الإبراهيمي وأعجب بها أيما إعجاب:

عصارة روجي في قويلب شاعر
على الهدف السامي بقصد مسائر
بما حولها من ذكر ماضٍ وحاضر
يضيق بها عن باطن الصدر ظاهري
فهو جاؤها ما بين رقص وسامر
لو استسلمت للجور عن حكم جائر
يعبر عنها في سطور لماكر
بما لم يكن يحويه ضخم الدفاتر
عليها وعنهما رفع صوت المنابر
إلى نهضة ترنو لها عين ناظر
لخلق رجال يسخرون بساخر
هو السحر إلا أنه طوع شاعر
ركود جمود بين مجرى المشاعر

سكبت لكم من ذوب قلبي وخاطري
وما الشعر إلا ما يدل دلالة
وما الشعر إلا وحي روح تأثرت
وما الشعر إلا زفرة عن تأوه
وما الشعر إلا نار ذكرى تاججت
وما الشعر إلا للشعوب محرك
وما الشعر إلا ترجمان لأمة
وما الشعر إلا سفر فضل معنون
وما الشعر إلا منطق القوة التي
وما الشعر إلا موقف نحو وثبة
وما الشعر إلا باعث المجد والثنا
وما الشعر إلا نفضة بابلية
ورب أناس لا يحرك منهم

(١) العواد، الديوان، ٢ : ٣١ .

متى قوي الإحساس من كل فائر
وسيلة تقدير وليس بضائري
قبيلي وبعدي بين باد وحاضر
يرى كل فضل رغم عمى البصائر^(١)

وذلك شيء لا يؤثر مطلقاً
أجل: إنني من غير شك أعده
وهل سالم في الناس من نقد عائب
وقفت مع الأجيال موقف منصف

إذاً فالشاعر مفكر لأمته، يحمل أمانة القول، ويستشرف المستقبل ويكشف أقنعة الواقع
بنثائيتها الخيرية والشرية.

ونحن نستببط معالم الفكر من إبداعهم ومع تجلي الفكر في الإبداع فإنه ينذر الحديث عن
مصادر الفكر الأدبي في الكتابات النقدية، وكأن أدبنا نتاج قريب التناول سطحي المبادئ،
يخضع لنظرات شعورية لا أسس لها ثابتة ولا مرجعية تؤطرها في خضم الحياة الفكرية
المانحة، وقد رأينا أن أغلبية المذاهب الأدبية النقدية والإبداعية الغربية تعود إلى فلسفات
مشهورة، بل حملت راية التغيير الاجتماعي، كالفلسفة العقلية التي ولدت الكلاسيكية والتأمل
في الوجود والماركسية التي ولدت الالتزام، والوجودية، والواقعية، وفلسفة الرومانسية التي
تمخضت عن اتجاه الأمة الأوروبية نحو بناء الفرد بناءً ذاتياً متحرراً.

ونحن لو نظرنا إلى أدبنا العربي لوجدنا أن الحكم النقدي والفكري عن مصادره يدور
حول كونه مصدرراً تليقاً وترقيعاً وهم يتمنون أن يروا محور كل فلسفة في بناء كل نص أدبي
- وما دام لم تُر معالم الفلسفة في كيان النص الأدبي فهو هلامي لا منطلق له، وهذه قضية
مفتعلة على النص الأدبي العربي، بعامة، فهو يشاكل النزعة الأدبية، بعامة التي تقوم على
المثاقفة، فالمثاقفة الأدبية لأدب المشرق قائمة لا ريب في حضورها والمطلع على الأدب
المقارن، والتواصل العالمي للأدب يستشعر القناعة بذلك، والراصد للحركة الفكرية الأدبية
العربية يلتبس هيمنة الاتجاهات الفكرية، ومن أوائل الباحثين في تأسيس الفكر الأدبي
الذين تجاهلهم المعاصرون بحث الدكتور محمد محمد حسين (الاتجاهات الوطنية في الأدب
المعاصر) وقد أشار إلى الاتجاه الإسلامي والاتجاه القومي، والاتجاه الفرعوني وكل هذه
النصوص الأدبية تقوم على منطلقات فكرية، وسائر الدراسات النقدية تومئ إلى كثير لكن
الذي نفتقده هو الدراسة الجادة التي تبرز معالم الفكر الأدبي وتُنظر له، لكنها الآن أخذة في
الظهور بعد أن خبت وتأخرت وتأخر تواصل التجربة مع كتاب محمد محمد حسين السالف

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ١: ١٩٧

التذكر ومن الدراسات الحديثة كتاب (الأدب والفن والفلسفة) للدكتور محمد شتا، ومنها (الالتزام في الشعر العربي لأحمد أبي حاقه ومنها كتاب (اتجاهات الشعر العربي المعاصر للدكتور إحسان عباس) ومنها (تطور النقد والفكر الأدبي الحديث) الدكتور حلمي مرزوق، (فلسفة الالتزام) لرجاء عيد وما صدر من دراسات حول نظرية الالتزام الإسلامي، ككتاب (النزعة الإسلامية في الأدب السعودي، للدكتور حسن الهويمل) وغيرها.

وهذه الدراسات ورصيفاتها التي لم أطلع عليها لا تمثل الغاية التي نتمناها لمواكبة الحركة الأدبية المائجة في عالمنا العربي والإسلامي، لتكون فلسفة تأخذ بالمبادرة الفلسفية لاتجاهات الأدب المستقبلي.

ولا قدرة لي على تتبع الحركة الأدبية في العالم المعاصر وتواصلها مع البناء الفكري في كل قطر إنما اتخذ نموذجاً لذلك أحصره في أدب الخليج وبخاصة في الشعر لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

أولاً، المصدر المكاني

المكان في الجزيرة نبع الإبداع، فالجزيرة منبت العربي، ومواطن حضاراته، والجزيرة العربية مبعث الرسل ومهبط الوحي، عليها درجت أقدامهم، وفيها سطعت دعواتهم، فكثير من الرسل والأنبياء بُعث في الجزيرة، وكم تبصرت عيوننا بأثار الأمم الباقية من نجران واخدوده إلى إرم والأحقاف والربع الخالي، إلى ثمود قوم صالح ومدين قوم شعيب والحضارات المدنية في جنوبها.

والجزيرة العربية، تضم مكة المكرمة والبيت الحرام الذي بناه سيدنا إبراهيم وابنه اسماعيل وختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم والجزيرة مهبط الوحي بالقرآن الكريم ذلكم الكتاب الذي يتلوه كل مسلم في المشارق والمغرب، هي الموطن الأول للعرب في سائر الأقاليم، لغة الأمة هي لغة الجزيرة صنعتها الأشجار والأحجار وسائر البيئة الحية والصامتة تنجلي معالم تلك الجزيرة في اللغة ودلالاتها فالمكان عندنا نبع صاف، وبحر عميق، وفكر ثر، وتراث كثيف تلك التي تلج في أحاسيس الشعراء فتفيض بالإبداع الذي يزهو به الإنسان عبر الأحقاب، والمكان متحرك الدلالة، له في كل زمان شأن ترضع منه الأجيال فتبنيه ويبنيها، وتمزه ويعزها، فالمكان متجدد بتجدد الإنسان ومن هنا كان للمكان حضوره الدائم في إبداع المبدعين، بجوانب سامية لا يدانيها مماثل وتلك تتمثل في قدسية

المكان كمكة المكرمة والمدينة المنورة، ويتعالى المكان بجوانب متبارية من تراثية، وجمالية، وتاريخية لكل موطن حباه الله بتمايزات تعلق في النفوس البشرية المستوطنة.

ومكان الجزيرة كل مكان فيها أثرى من غيره بالإبداع لأن لغة المبدعين أعمر لغة في العلم فلها أكثر من ألفي عام وهي متداولة مفهومة، من أيام نزاع القبائل العربية الأولى المتزامنة مع إسماعيل بن إبراهيم فهذا مضاض بن عمر بن الحارث الجرهمي، الذي زوج ابنته إسماعيل بن إبراهيم يقول عن مكة بعد أن أخرج منها:

نحن عمرنا البيت كنا ولاته نضارب عنه من آتان وندفع
وكنا ملوكاً في الدهور التي مضت ورثنا ملوكاً لا ترام فترضع
ويقول:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر^(١)

فانطلق الفخر بمكة إلى حاضرنا الذي نعايشه، فهي مصدر للشعر الجاهلي والإسلامي وهي ملهم كبير للشعر الصوفي، يقول الشاعر عبدالرحمن العبيد:

حي الجزيرة، في كريم صفاتها واصدح بعذب الشعر في ربواتها
واستنطق التاريخ في أدواره ينبيك عما خط من صفحاتها
هي موطن العرب، الأبوة وموئل للمسلمين ترسموا خطواتها
نسجت من العلياء صرحاً شامخاً من مجدها الخضاق من نضحاتها
ارست جسور العلم في دنيا الوري ومشى لواء الحق في ساحاتها^(٢)

وتواصلت مسيرة الإبداع النابع من الوهج المكاني في زمننا هذا فهذه مكة والأماكن المقدسة تحتل مساحات كبيرة من الديوان الشعري بل تُجمع عنها دواوين وتسجل عنها رسالات جامعية كمكة في الشعر، والمدينة في الشعر، والحج في الشعر، بل إن دواوين كل شاعر تجمع قصائد متعددة عن بلاد وأماكن الجزيرة كديوان روابي الجزيرة لابن خميس، وديوان في زورقي لابن ادريس، وديوان أحمد بأعطب، وغازي القصيبي، وهناك دواوين شعرية صدرت بمسميات المدن كديوان «الرياض» لغازي القصيبي، وربي اليمامة، وما جمع عن مكة في كتاب «مكتي قبلي».

(١) كتابي (المقطعات الشعرية في الجاهلية والإسلام) ص ٧٨

(٢) عبدالرحمن العبيد، يا أمة الحق، ٩٣

ولقد كتبت مقالاً عن وصف المدن في المملكة ثم نصحت باحثه بكتابة رسالة عن وصف المدن، وقد ذهلتنا من كثرة الشعر حول مدائن بلادنا الغالية في وسطها وشرقها، وغربها وشمالها وجنوبها.

وتنوعت عناصر المكان التي تحفز على الإشادة به تنوعاً كبيراً فالقدسية لمكة والمدينة وكثير من الأماكن التي وطئتها قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وهناك القيم التراثية كالإمامة وحائل وهناك المنبع الوطني كالرياض العاصمة وهناك المنابع الجمالية كالطائف، وأبها وهناك عُمان والبحرين والكويت قيل عنها الكثير.

يقول عبدالرحمن العبيد، في قصيدته (حوار مع التاريخ) عن تأثير المكان على الإبداع.

يا غارس الحب في باقت أشعاري	ويا مُفجر شجوي بين افكاري..
ويا مجدد أحلام الربيع بما	وهبته من شذا نغمي وأزهاري
ويا مُعيد هموم القلب تلهبه	فيسكب الحزن في ديوان أشعاري
مهلاً أما عشت بالأمال تسعدني	فكيف ترضى بإيلامي وإضراري؟
وكيف تأسر إنشادي وعاطفتي؟	وكيف تجتاز أعماقي وأسواري ^(١)

يتجلى صدى المكان في إبداع الشاعر العُماني المعاصر علي بن شنين الكحالي لما تجول ذكرياته الوطنية وهي دائمة التجوال في ذاكرته، ونحن نرى معالم الروح الوطنية في إبداعه لكن صدى المكان القديم وصورته هيمنت على مخيلة الشاعر، فصور البطولة والخيل، وزئير الأسود الحربية والوحشية، وأرسان الإبل والخيل، هذه الصورة وغيرها يستحضرها الشاعر عندما يبوح بحب الوطن:

ضحك المرح فاعزفي يا خيول	وتمنى فالأمنيات تجول
وامرحي والسنون تزجي سفينا	ملؤها المجد والطموح الجميل
واحضري حفلة الطيور تدوي	جوقة سحرها إليك يميل
طرزي بالسنايك الأرض كيما	يتبهاهي ودادها المزمول
لا زئير الأرسان في عدوك الحر	جسور أوقهرها مقبول
والعبي لا شكائم تكبح الزهو	ولا سارق الأمان الدخيل
واقطعي لجة الفخار ولفخر	امتداد بجانبيك طويل

(١) عبدالرحمن العبيد، يا أمة الحق، ٤٢



وعلى كل مهجّة أكليل
وثان سناؤك المـجـبـول
حين يدنو لمسمعـيه الصهيل

لك في كل خافق مستقرر
لي جناحان واحد سبق ماضيك
عنتري لثم الثرى مطمئنا



وقلاشى نفاخري المعسول
يتجلى في لحنها المستحيل
فيوما تلقى منهاها الخيول^(١)

يا خيول لك الخمائيل فامضي
رب يوم عناؤه غـزوات
فانسجي اليوم يا مروج الأساطير

فالفكر التراثي يتبلور في هذه الأبيات التي استقتت من مكونات المكان وعلاقته بالإنسان العربي في الصحراء، البطولات الحربية، واسطورة عنترة تلح وإن لم يكتف بها بل حشد المكونات الذهنية للحياة في الجزيرة كلها.

حب الوطن من الإيمان ولولا حب الوطن لهجرت الجزيرة تلك الصحاري والضيافي الواسعة وشظف العيش، ولكنها مرتاد الشعراء في جلّ الحواضر العربية، فكيف بمن استوطنها وشعراء الخليج من القدامى والمعاصرين الذين نزحوا إلى بلاد غاية في الجمال، وذات رفاه في المعيشة، يحنون إلى ديارهم في الخليج يستوي في ذلك الذين ينأون إلى الشرق الجميل، أو إلى الغرب المتقدم حضارياً ومادياً: فإن الجزيرة بصحرائها، وشواطئها وسماؤها، وجبالها ووديانها دائمة الحضور في وجدان الشاعر الخليجي، فالشاعر الخليجي البحريني الكويتي جاسم بن عيسى النصر الله يقول وهو في الهند عن البحرين:

مغرّم طيرُ قلبه فيك غني
وأمانى الكئيب إذ يتمنى
كيف يسلك مـولـع ومـعنى
قد تركت الجمال للناس فتنا
هل دواء من (المحرق) يجنى
لو رأني بها العذول لجننا
من لذيذ الحديث آيات حسنى
فبروحي أفدي الغزال الأغنا

وطني نحو مائك العذب حنا
يا بلاد الحبيب مسقط راسي
يا بلادي ويا سـمـيرة رـوحـي
يا بلادي وما مرابع أنسي
يا (أوال) مرضت من طول بعدي
كم ليسان على رباك تقصضت
بين جنبيّ طاهر الحب يملي
جمعتني والظبيّ عين عذارى

(١) د. أحمد درويش، تطور الأدب في عُمان، ٢٢٠.



يترضى وفي ترضيه معنى
غير أن الدلال للنفس اهنا
أم أعاني جيش المنون فأفنى
لم أعد ذا كبراً لهند ولبنى
واكيل الوفاء وزنا فوزنا⁽¹⁾

يشتكى وفي تشكيه عدل
كل هذا تدلل وتجن
ليت شعري هل التداني حليفي
أن قضى الله باللقا عن قريب
أنا ما زلت حافظاً لعهودي

لا يدرك قيمة بناء هذه المدن في صحراء الخليج إلا أولئك الذي امتلئت نفوسهم بوعي التاريخ أو أولئك الذين عاصروا مراحل البناء السياسي والوطني حتى تهيأ الاستقرار والأمن، فأخذ يعلو البناء الفكري والعمراني، وهم أولئك الأجيال الذين أدركوا تحول المجتمع الكبير، وهم أولئك الذين عانوا وحطموا العقبات، وهم أولئك الذين هجروا حياة البداوة والريف وبنوا عقولهم، وحملوا أمانة القيادة لهذه الحياة المعاصرة المتطورة في مدن الخليج، وأخشى ما نخشاه في هذه الدول المستقرة الآمنة أن تعاد إلى سالف الجزيرة الغابر حيث الفرقة والشتات والصراع الدائم، وارتفاع مظلة الأمن ومن ثم انعدام الاستقرار، وهيمنة الخوف وقد عانى العالم العربي من المكائد والمصائب التي تحل بآبناء القطر الواحد إذا ما عثى فيه الخلف والخلاف وليست أحداث لبنان وحروبها الداخلية العنصرية التي مدت أطنابها لما يقارب عشرين عاماً منا ببعيد، ونذكر نحن المعاصرين كيف حطمت عاصمة العرب الحضارية بيروت، وسلبت معالم جمالها، والشاعرة سعاد الصباح تستحضر تلك الحالة، فتهيج أعماقها بموجات النداء والتحذير من تلك المخاطر:

كويتية أنا بنت الخليج وصاحبة الهامة العالية
وملء دمي مجد آل الصباح ومنهم بناتي وأبنائيه
فكيف تحكم فينا الطفلة وعاشوا بأعرافنا الغالية



بأي الشرائع هم يحكمون ويلهون بالقيم الراسية
أما وحدتنا دمء العروية والملة السمحة الهادية
فكيف يعودون للمذهبية وهي الوقية والداهية
صفار يمزق شمل الكويت ويمضي بقومي إلى الهاوية

(1) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ٢٤٢.

ليالينا الحلوة الصافية
يجمعنا أسرة هاتية
وتنبض بالخير والمافية
وكضوا عن اللهجة الجافية
وعشنا على هذه البادية

أنا شد قومي ألا يذكرون
وسامرنا العذب حول المواقف
تدور الأحاديث فيه ثناء
أعييدوا لنا ذكر تلك الليالي
فنحن رضعنا لبان الخليج

وهي تهيب بأبناء بلادها إلى التلاحم والوحدة، ونبذ مكونات ومسببات الفرقة والخلاف، وتنادي بدراسة الحياة المعاصرة كي يدرك القائمون معالم الخير وسبله والسير على هدام، ويدركون قضايا الانحراف، ويعاولون معالجتها قبل استفحال أمرها وشيوع خطرهما. فالوطن والمحافظة عليه يبتغي فكراً نيراً يُعمل به في قوة وحزم، وتتجاوز الأهواء ورغبات النفوس وملذات الحياة.

وساروا على الموجة العاتية
صحائف أمجادنا الماضية
لمستقبل الأمة الغالية
تدارون عاقبة الغاشية
وتاج على رأسه العالية
ومن طمع الفئة الباغية

وأجدادنا من أقاموا الشرع
فلا تجعلوا في مهب الرياح
ولا تقطعوا الرحم المرتجى
ولا تخفضوا هامكم كالنعام
فهذا الحمى درة للخليج
فصونوه من عثرات النفوس

❖ ❖ ❖

أحن إلى أرضك النائبة
كأنك ما بين أحضانها
من الفتنة المرة الطاغية
تلوح بألوانها القانية
وأن يدفعوك إلى الهاوية^(١)

أيا وطني أنا في غـريتي
أراها على البعد طي الفؤاد
وابكي واجزع خوفاً عليك
فمأساة لبنان لما تنزل
فإياك إياك أن يخذعوك

وها نحن نعيش اليوم الحروب الدائرة المدمرة في العراق التي تسعى إلى شتات الأقليم العربي الرائد.

(١) سعاد الصباح، إليك يا ولدي ٦٦

ثانياً: الدين الإسلامي

هيمن استلهام الإيمان بالله جَلَّتْ قدرته على العقلية الوجدانية للأدب في الجزيرة العربية في البلاد السعودية وسائر الدول الخليجية، وبلاد اليمن، وذلك للقناعة العقلية بالقدرة الربانية الذي خلق عوالم الكون، وأوجد أواصر التشابك والتلاحم والتآزر بين مكوناتها بعضها مع بعض، فكل مسخر للآخر، وأصبح الإيمان جذوة فيعمق المشاعر الفردية وهذه الجذوة مشتتة كثيراً، وأحياناً تخبو فتتأجج لأي مثير يهب عليها، ولكن كل فرد يدرك ما سخر الله له وما هياً له، ومما سخر له تسخيراً حتمياً فيما هو أحوج إليه وما هو ضرورة في حياته كمثل الهواء والماء، والغذاء، وأتار له ما يصيره إلى المآب الحسن، عن الإيمان بالفيبيات الأخروية، فكان الإنسان في الجزيرة مهبط الوحي أكثر ارتباطاً، لتلك العلاقة الحميمة بالإيمان مما صيّر روح الارتباط الديني تتجلى في ألوان متعددة من الإبداع الأدبي.

❖ فهي تتبلور في التأمل الفكري الذي لا يتجاوز عند المبدعين الحدود الشرعية التوقيفية مع ما استلهموه من الثقافة العربية، وما اطلعوا عليه من الثقافات العربية والشرقية والفلسفية والفكرية: «كان لعنصر الإيمان عامل صهر للفكر وأخذ الصالح الحكيم منه، ونبذ المخالف للشرع والعقل وتمثل ذلك في شعر محمد حسن عواد، وخالد أبو الفرج، ومحمد حسن فقي، ومحمد سرور الصبان، وإبراهيم العريض إلى جانب قوة الالتزام الإسلامي عند محمد بن عثيمين، وأحمد الغزاوي، وابن بليهد، وعبيد مدني، ومحمد السنوسي، وأحمد العقيلي.

❖ ويتجلى المصدر الشرعي بالتعاطف مع أحوال الإسلام والمسلمين في البلاد العربية والإسلامية والأقليات والصراع الفكري والاعتداء الحربي، فقد تجلى ذلك في شعر محمد بن عثيمين المتوفي ١٢٦٢هـ وشعر أحمد إبراهيم الغزاوي المتوفي ١٤٠١هـ. ويظهر في صدارة دواوين عبدالله بن خميس، وعبدالرحمن العُبيد، وغيرهم كثير ممن شاطروا المسلمين حروبهم وأحداثهم وكانت معاناة المسلمين وديارهم صدى ماج بموج من الإبداع الشعري في بلاد الخليج العربي.

وتبرز الروح الإسلامية عند الحديث عن المكان للجزيرة بوجه عام وللأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومكان هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومواطن غزواته ولا

نكاد نجد ديواناً يخلو من الحديث عن الفخر والاعتزاز بتلك الأماكن، فالدواوين تزخر بالحديث عن تلك الأماكن، بل جمعت القصائد من مكة في كتاب (مكتي قبليتي) جمعه أحمد قنديل، والإشادة بمكانة الجزيرة لا يقتصر على الشعراء من مكة أو المدينة أو أبناء الجزيرة فحسب وإنما يفيض وجدان الشعراء العرب والمسلمين من كل حذب وصوب.

والاستلهام الشرعي يزرع القيم العليا في النفوس البشرية، فالإبداع صدى للتعامل الإنساني الذي يحفظ حقوقهم المعنوية والمادية، ويدعو إلى استلهام تلك القيم التي تحمل الجمال والخير والفضيلة، فهم يناون عن الانحراف، وعن العزلة والغربة الموحشة وإنما يشاطرون المجتمع قضاياها، ويصلحون سلوكياتها، وتربيتها، وينيرون له الفكر الحكيم.

والتأمل الفكري يزيد الإيمان، لأنه يزيد معرفة الإنسان بخالقه، وتدبيره لهذا الكون، وقدرة البارئ لهذا الإنسان وتعامله مع أخيه الإنسان، والإنسان والكون. والفرد الذي كون ذهنيته بالتعاليم الإسلامية أسرع وأكثر استجابة لمعرفة الكون، وقدرة الله على تصريفه، ومن ثم قدرته البشرية على التعامل مع الحياة والكون وهذا الشاعر العواد من المفكرين الشعراء المعاصرين في العالم العربي فهو قد وظف شعره للتأمل العقلي في الكون والحياة والمجتمع حتى أنه اطلق على التأمل (صلاة النفس) استوحاه من كون معنى الصلاة في اللغة، الدعاء والعبادة:

قالت النفس قم نصل إلى الله فشر النفوس من لم تصل
قلت يا نفس سبحي الله طوعاً وأصيخي واستنكري أن تملي

❖ ❖ ❖

سبحي الله فالطبيعة يقضى وتعالى قرب الخضم نصلي
في صفاء يشع من فلك الإلهام مستملياً إذ الكون يملئ
يفهم الكل في حقيقة بعض تبرز البعض موحياً روح كل
يستشف الحياة في العالم المطوي بين النفوس طي السجل
فيجوب الضمير والفكر يجري في التواميس بين بعد وقبل
فيبرى ما يكن في الماء والزهرة والأرض والفضضاء المثل
هذه صيحة الحياة تنادي عاشقياً لفهم معنى التجلي
إنها فرصة فلا تتركها تتلاشى ويادري للتلمي
واكرعي من مناهل الروح خمراً فتحت للهدى منافذ عقل

عب وشى الجمال في برديها؟
منظر الكائنات ترنو إليها
مرتادة على جانبيها
تجثم النفوس لديها
ومن قاعة تمد يديها
يات توحى إذا أنيخ إليها^(١)

أترين الطبيعة الآن كائكا
ليس في البحر والجبال ولا في
لا، ولا في الطيور رفاضة الألوان
ليس في هذه المرائي حياة
إنما منع الحياة من القلب
فاسلكي منهج التأمل فالأ

المسجد هو مجمع الخير في الإسلام فمنه انطلقت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، في مكة المكرمة والمدينة المنورة فالرسول لم يتخذ داراً للحكم، وإنما من مسجده في المدينة أخذ يصدر أوامر الدولة الإسلامية الأولى، ففي المسجد يتم إصلاح القلوب، وبناء العقول، وفي المسجد تتألف النفوس، والمسجد موطن الحوار وتنقية الآراء، وما يصدر في المسجد فإن الرب سبحانه وتعالى يبارك فيه، ويعلي من شأنه، فرسالة الإسلام ودولته تألق ضياؤه من المساجد حتى في عهد الخلفاء الراشدين من بعده، ومن المساجد انطلقت رايات الجهاد بعد استخارة الله، واستعانته، وإحكام الرأي البشري.

ومن هنا فالمسجد نبع من مصادر، الفكر الأدبي في الإسلام، وتواصلت رسالته العلمية عبر القرون فهو الجامعة الكبرى مفتحة الأبواب يقول محمد حسن فقي عن المسجد من قصيدته (رسالة المسجد):

رسالة الله المستتر فسد
بوحي جبريل إلى أحمد
أنواره للعالم المهتدي
بسلسل العلم إلى سيد
يومئذ أو بعدها للصدى
والخارج الشامخ كالمريد
تستشرف الدنيا إلى مقصد
وما سواه كان كالجد جد
وتستوى منه على مقعد

رسالة العالم في المسجد
شاد بها الأسلاف أساسها
كم اطلعت من كسوكب مرسل
وانجبت من سيد نابه
لم تك من مدرسة مثلها
داخلها كالجوسق المعتلى
مقصدها سام ويا ربما
كان كمثل الباز فيمجده
فكيف لا ترفع بنيانه

(١) الديوان، الجزء الأول، نحو كيان جديد ٢٦

بمرصد يكسر من شرة بحسبها القاصمة المعتدي



يا قوم قد كان الدجى حالكا ثم أضاء الليل بالمسجد^(١)

ومن الأماكن الإسلامية التي لها مكانتها في قلوب أبناء الإسلام جبل طارق وذلك الجبل الشامخ الذي يرمز لانتصار المسلمين عبر الاحقاب التاريخية، ويجثم عند ملتقى البحر الأبيض بالمحيط الأطلسي ويمثل البوابة لأسبانيا الأندلس سابقاً، وقد تحدث عنه الشاعر الكويتي عبدالله الصانع المتوفي عام ١٩٥٤م.

صرح مدى الأزمان ناطق يروي أقاصيص البواشق
يروي أقاصيص العسلا والمجدد من أيام طارق
ويحدث التاريخ في صحف مطهرة نواطق
صحف تشامخ مجسدها فتتمطرت زهر المناطق
ويدت تعطر بالشهدا بيض المربع والمرافق

شهد البطولة ذلك الجبل الأشم، رأى الحقائق

فمضى يمجد باللسان الطلق أحداثاً ثوانق

ويسجل الدرر الخوالد في سجلات صوادق

شهدت ذراه طلائع الجلى وأعلام الضيالق

ويادية الفتح المبين ومسوكباً في الدهر باسق



يا شامخاً في الأفق حدث فالحديث العسذب رائق

حدث عن الأبطال للأجيال والعصر اللواحق

حدث ولا تبخل فقد حدثت أجيالاً سوابق^(١)

لن تقم لليهود قائمة إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وكانوا شيعاً متفرقة في أرجاء المعمورة هيمنتوا على العالم بأموالهم وديانتهم، وقد تأذى منهم الغرب، قرأوا إخراجهم من ديارهم بإيجاد أرضاً لهم في بلاد أخرى، فوعدهم بفلسطين، ودعموا وجودهم، وقيام دولتهم، ثم تعهدوها بالقوة العسكرية، والمالية. والسياسية، وزرعوها في قلب العالم العربي

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة، ١: ١٠٧.

(٢) خالد الزيد، ادباء الكويت ٣: ١٩٨.

والإسلامي وحطم الغرب جميع المبادئ الإنسانية وحقوقها، والمواثيق الدولية، والقرارات الأممية، إرضاء لليهود، ولمال اليهود ولصوت اليهود، وخشية من مكر اليهود ومن هنا فإن عدالة الأمم المتحدة لا وجود لها ولا أثر إذا ما أصدرت قرار يدين اليهود.

يقول الشاعر الكويتي عبدالله زكريا الأنصاري المولود عام ١٩٢١م:

رفعوا عن مسرح الظلم الستارا	وانبروا يبغون في الأرض جهاراً
أوجلوا في الجور حتى خلتهم	في مدى جورهمو قوما سكارى
أزعجوا العالم في أرجائه	ويحهم قد خلعوا اليوم العذارا
عبثت بالحق أيديهم وقد	ملأوا الدنيا خرابا ودمارا
أو لم يأتك ماذا فعلوا	حين سناو لفلستين قـرارا
عبدوا صهيون في أمواله	وتخلوا عن بني العرب ازورارا
ما دروا أن الذي أغراهمو	ليس يدري أن للعرب اعتبارا
حلم سوف ترى أطيافه	كسيف تنزاح هباء وانتشاراً
وانتظر سوف ترى ما شيدوا	من أمان كيف تنهار انهيارا
أعلنوا التقسيم ما أرخصه	فلقد دوى ذيوعاً وانتشاراً
إيه يا دهر اسفنا من خمرة	عصرت من عنب الجور عقارا ^(١)

والتقسيم في عام ١٩٤٨م ولا زالت قرارات الأمم العادلة التي تراعي إنسانية الإنسان، وعدالة الدول تخضع لمنطق القوة، و(فيتو) الولايات المتحدة الأمريكية إلى زمننا الحاضر عام ٢٠٠٦م.

يلج الأيمان الرياني فيعمق الوجدان الشعوري للأديب في بلادنا، فهونع أو هو مصدر النبع، أو هو الآلية التي تصبغ الأشياء بصبغتها الدائمة، فهو يتجاوز الشهوانية الحسية أو لنقل يتجاوز وسائل الشهوانية التي تتبع من منابع الشرور والآثام التي تصارع أو تقتصب أو تختلس، وهذه الحالة السوية لا تكون إلا من أحس بالرقابة الإلهية، فهي التي تربأ بالإنسان عن الآثام، يصور ذلك محمود عارف في قصيدته (موكب النور) التي يقول فيها:

رب هب لي من الضياء نعيما	أو هب لي الهوى بغير حرام
فشضاء الحياة لم يبق للـ	روح مجالاً لقوة الأوهام

(١) خالد الزيد أبناء الكويت ٢: ٢٨٢.

يرتقي بالنفوس والأفهام
أعز في سبحة، من الإلهام
ل، فسيجني عليه بالإجرام
ع فيحتال في ضروب الغرام
فأقعي على بساط الرغام
فجاري الضلال تحت القتام
فألوى عيسىه بالأثام^(١)

والذ الهوى هوى شعري
وهوى الخالدين يدركه الش
لا كحب الدعى يطلبه الغ
أو أخی لوثة يند عن الطب
أو قعيد أسف من فشل الحب،
بهر (النور) مقلتيه، فأغشاه،
وجنى غافلاً على الحب والظهر

وتُذهل الطبيعة المكانية الشاعر، ويطيب له المقام، فيروح النفس وترتاح مع المعالم
الجمالية الخلافة، والصور الربيعية، البديعية، فيبصر ويتبصر، ويتدبر ويتأمل سرّ هذا
الخالق لهذه الطبيعة، ويدرك ضآلة العقل وتأمله أمام عظمة مخلوقات الخالق.

فيقول مصوراً (الربيع الأزرق على شاطئ بلادنا الشرقي في حوض الخليج العربي).
واستمداد الفكر العربي وحوادثه نبع ينهل منه شعراء بلادنا ونحن في هذه الأيام نتألم من

حيث العباب سحره المترقرق
خلق الخضم بقدره المتألق

طاب المقام مع الربيع الأزرق
سحر لعمر الحق أودعه الذي

ومنها:

في سباح وهو بدون تدفق
رام الحقيقة فهو غير موفق
كون الكبير وسره المستفلق^(١)

والحسن أسمى ما يروق جلاله
لا العقل يدرك كنهه أبدا، ومن
من أين للعقل الصغير يحيط بالذ

تولى «شارون الطاغية» رئاسة الوزارة في إسرائيل فإذا بالشاعر البواردي قد تألم قبل
عشرين عاماً من فتكه بالبلد العربي «لبنان» وقتله الفلسطينيين في مخيماتهم يقول فيثير
فكرة الجهاد:

«شارون» ... يا «فيرون»

«صيدا» .. و«صور»

«بيروت» .. و«الدامور»

(١) محمود عارف، تراجم الليل، المجلد الأول، الطبعة الأولى، النادي الأدبي الثقافي جدة، عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ص ٨٥

(٢) المرجع السابق ٢٧

«والدمار، .. والدماء،

«والجوع، .. والآهات .. والظما...

جميعها... يا أيها السفاح

لن تقتل الكفاح

لن ترهق الإنسان

لن تزهد الأوطان

❖ ❖ ❖

«شارون، يا ... «نيرون،

كل «طلقة،

وكل «صاروخ، يدك .. أو «قذيفة»^(١).

وشارون الآن مغمى عليه لأكثر من ستة أشهر.

والشاعر محمد العطوي يواكب الأحداث الإسلامية شأنه كشأن أي مسلم يعاني ما يعانيه أخوه المسلم، يستشعر أحزانه، من ألم الحروب ويستحضر الثكلى واليتامى، والباثسين، فيقول عن وزير خارجية البوسنة الذي جاهد ضد الحرب الدينية العنصرية ثم اسقطت طائرته فأخذ يبكيه، ويشيد بأفعاله:

والقضية الإسلامية والعربية تبع يتدفق في وجدان الشاعر، فيلامس مشاعره ويفيض

هوى فجدنا له بالمدمع الحامي

يصددها دون عورات وأيتام

مرفرف فرق بناء وهدام

خيراً، ويوليهم من عطفه الضامي

وهيض ذاك الجناح الخافق الدامي

تأسو جراحاتنا من غير إيلام

تحنو وتمنع عنهم كل إجرام؟

تردها عنهم في خير إقدام

واقبلا بين إيماض وإظلام^(٢)

في ذمة الله ذاك المركب السامي

جرت عليه العوادي وهو منهمك

كالنسر من علم يسمو إلى علم

يجـيـل نظرتـه للأملين به

حتى طواه الردى من سهم رائشه

(عرفان) يا لمسة بالعطف حانية

جرم دهاك فمن للنازقين يد

ما بنت عن ساحهم إلا لتازلة

مضى جناحك نحو الجو واصطفقا

(١) سعد البواردي، إبحار ولا بحر، ٢٠

(٢) محمد فرج العطوي، «بوح الروح»، ١٤٥

بالأماني والآمال، وتارة بالألم والأحزان، وأخرى بالإيقاظ والنداء وهناك جمع من الشعراء في بلادنا تعاطفوا مع مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في مطلع القرن الخامس عشر الهجري في مكة المكرمة، ومنهم الدكتور عبدالرحمن العثماوي، وعلى النعمي، وعبدالله إدريس ومحمد هاشم رشيد وغيرهم، ومما قاله الأخير:

والشاعر محمد هاشم رشيد يبوح بأشجان المجتمع تجاه (الجزائر) قضية العرب الكبرى

أحمد الله الذي جمعنا	في حمى الكعبة والبيت الأمين
أخسوة في الله، يروي حبه	كل قلب، وضمير مستتبين
عاش لله، وفي أفيائه	مستهام النبض، مشبوب الحنين
فهنا الخير، هنا الحب، هنا	مشرق النور، وينبوع اليقين
وهنا حيث التقينا، زلزلت	دعوة الحق، صروح الظالمين
وصحبا الكون، على أصدائها	ومشى الإنسان، مرفوع الجبين!

◆ ◆ ◆

يا ذؤابات العلاء، في أممتي	وصوى الأمجاد، بين المسلمين
نحن مهما بعدت أقطارنا	ونأى فيها خدين، عن خدين
جسد أن يشتك العضوبه	راعاه الداء، وأشفاه الأنين
وتداعى بشعور، واحد	يستوى الطاعن فيه، والطعين ^(١)

في ما بين عام ١٣٨٠ - حتى عام ١٣٨٦هـ.

ويشاطر مجتمعنا أخاه في انتفاضته الكبرى، ويبارك الجهاد، ويترنم بانتصاراته، ويأسى على جراحه وقتلاه ونحن في صياحنا قد شهدنا تلك الحركة الشعبية المؤيدة للجزائر حين دعت الدولة إلى التبرع:

فالقضايا الإسلامية، مصدر من مصادر شعر محمد هاشم رشيد كما هي مصدر سائر

وتثر ثورتك الكبرى، فما وهنت	قواك يوماً لدى حرب ولا حرب
حتى انجلي الفجر عن أزمى مطارفه	ولاح صبح المنى... بالفوز والغلب
يا أيها الفتية الأحرار.. في زمن	حرية الرأي فيه.. بهرج الخطب
عذراً إذا حشرجت في الصدر اغنية	قطعتها.. وأنا في نشوة الطرب

(١) بقايا عبر ورماد. ١١ -

حرى.. تفجر دمعاً غير منسكب
عبر الصحارى.. وفوق البيد والهضب
وللردى حولهم إيماء مرتقب
ثكلى.. وطفل ينادي: أين أين أبي؟
صراخ مستنجد.. أو صوت منتحب
قد راح يزحف.. أو يجثو على الركب
مشاعر اليتيم، والتشريد والسغب
وأمنيات تهافت.. غضة الأهب^(١)

فلم تزل في حنايا مهجتي.. غصص
ولم يزل ملء سمعي.. صوت اخوتنا
ساروا على الصخر والأشواك وانطلقوا
في كل خطوة طفل.. صوت باكية
وكل آهة شيخ راح يتبعها
ومأتم في فجاج الأرض منتشر
على أساريره الدكناء.. قد برزت
وفي مآقيه أحلام.. ممزقة

الشعراء كالشاعر عبدالله بن خميس وغيره وقد كتب الباحث عبدالله العطوي رسالة ماجستير عن الكفاح ضد الاستعمار في الجزائر كشف عن المشاركة الوجدانية والمادية من سائر المجتمع وعبر عنها جلُّ الشعراء في بلادنا.

وهناك رسالة ماجستير أعدها الباحث عبدالله القرني عن فلسطين في الشعر السعودي والإبداع في الخليج شارك العالم الإسلامي قضاياها في أفريقيا وآسيا، وأوروبا فقضية اليلقان المعاصرة لكتابة هذا البحث استقطب الشعراء حتى جُمع الشعر عن هذه القضايا وسجلت رسالة ماجستير عن الشعر في اليوسنة والهرسك للباحث هاجد الحربي.

(١) محمد هاشم رشيد، يتايا عبير ورماد، ٩٦ -

مهصرة الحق عديمة الحى
أوقعه الضقر، وأشفاه الضنى
وهل له عافية على العفاء؟
وجه تقي مثل تشهاق العضا
أقتل للإسلام من حد الطبى
ضريبة من كرم ولا تقى
يترك ما شاء وما شاء رمى^(١)

شعراء غبراء عليها ذلة
وصفرة على يتيم صاحب
مفترشاً على العفى أديمه
وضربة من سيف باغ نهكت
وسطوة من ظالم شباته
ينتiek الحرمة لا تريعه
يرى عيال الله صيد قوسه

وسجل بعض الشعراء المعاصرون تطور النهضة في بلاد الخليج فكل حدث يستثير مشاعر الشعراء، ومن الشعراء من أخلص في صحبة المنفذين من مثل محمد بن عثيمين المتوفى ١٢٦٢هـ وأحمد الفزاوي المتوفى ١٤٠١هـ وفؤاد شاكر وهناك شعراء سجلوا تطور الحياة في بلادهم لا سيما الشعراء الكويتيين فإنهم عايشوا التطور والحياة المعاصرة وخاضوا عباب الفكر، واشتركوا في صناعته، كمثل صقر الشبيب، وأحمد العدوانى، وفهد العسكر، وكذلك سائر الشعراء في دول الخليج العربي ومنهم مانع سعيد العتيبة.

والدارس لحركة الحياة الحديثة يجد بغيته في الشعر الحديث لبلاد الخليج يستوي في ذلك علماء النفس وعلماء الاجتماع، وأصحاب الدراسات الأدبية ومن هنا ظهر علم النفس الأدبي، وعلم الاجتماع الأدبي.

ومن الشعراء الذين سجلوا بأشعارهم بناء الدولة السعودية وحركة النهضة الحديثة الشاعر محمد أحمد العقيلي أحد الشعراء المعمرين فقد تحدث عن رحلة الملك عبدالعزيز الحربية لتوحيد البلاد حتى جمع الله شمل الأمة، واستقر الأمل، ومد الأمن أطنابه، وأنطلقت بذور المعرفة، وتواصل العمران بينما الغرب الأوروبي يمد استعماراه على البلاد الإسلامية والعربية يمنة ويسرة، فإذا بدولة عربية تظهر شعلتها في الجزيرة لتحمل راية التوحيد، وتلتزم بالضاد لساناً يقود وحدتها الملك عبدالعزيز آل سعود، وينطلق بنهضتها وتطورها إلى بناء حضاري معاصر.

عاد والشرق شارد الفكر واهم
ء وتنتاشه النسور القشاعم
من عود السراب أو بالdraهم

قمت والغرب والغ في دماء الضد
مئخن بالجراح ينهشه الددا
كل ما أن، خدروه بمصل

(١) علي عبدالخالق علي، الشعر العُماني، مقوماته واتجاهاته ٨٦ .

سنن المجد (للعصور) القوادم
همما فاستفراق من كان نائم
ق فخاراً، رغم الأنوف الرواعم
خلصت من شوائب وأعاجم
وزكت عنصراً وطابت مناسم
فما وتبني على الأساس الدعائم
روعة الملك في جلال المواسم

أنت بعث لنهضة قد أقامت
شعلة حرزت نفوساً وأذكت
شدتها دولة يتيه بها الشر
دولة تبرز العروية فيها
نقبت جوهرأ وشففت طباعا
تستقي من منابع الدين اخلا
جددت مسجد يعرب وأعادت



سادة العصر بل أسود الملاحم
سر والملك، رشحوا للعظام
وجلالاً وسؤدداً ومكارم
بياء والبأس والقنا والصوارم
لاق والجد، لا الرقى والتمائم
بهم الشرق عريه والأعاجم
يوي وصدق الوفاً ونبذ المظالم^(١)

انجبتك العلا وانجبت حقاً
رضعوا المجد قد غدوا بلبان النص
كل ندس يفاير الشمس حسنا
مثل للشباب والهمة العدا
يطلبون البقاء بالدين والأخ
زينة فوق مفرق الضاد باهي
قد بنى بيتهم على عمد التق

وهناك شعراء واقعيون رصدوا الحركة الاجتماعية الشعبية، وصورها في إيجابيتها، وسلبياتها، وأمانيتها وأحلامها، وواقعها، وما يشاد فيها فهم رصدوا تعليم المرأة وقضاياها الأخرى، وهم رصدوا الحركة التعليمية، والحركة المرورية، والحركة العمرانية، والزراعية والصناعية.

فيتبارى كثير من الشعراء عند قيام منشأة كبرى أو بناء مصانع وطنية أو مؤسسات تعليمية، أو مشافي، وهم تارة يطالبون بأمانى المجتمع، وكم من الشعراء من استثمر المشاريع بقصائد شعرية فاذا ذكر أن أحد الشعراء، قال قصيدة أمام الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود في مكة المكرمة يتمنى قيام جامعة في أم القرى، فصدر الأوامر في ذلك الحفل مباشرة، وحكام الخليج من العرب الذين يتأثرون بالشعر ويستجيبون له، فيتجاوزون الدراسات التي تعرقل قيام بعض المشاريع، ويتحملون مسؤوليتها، فيكون بذلك خير أعم وأنفع.

(١) محمد أحمد العقيلي، الأنغام المضبنة ٢٢

ونحن لو نظرنا إلى مدن الخليج وعواصمه ودرسنا شعر الشعراء الذين ينتمون إلى هذه المدن لأدركنا مدى التطور المعاصر لهذه المدن من خلال الشعراء، فالغزايي رصد التطور العمراني لمكة المكرمة، ويشارك معه سائر الشعراء في مكة من مثل إبراهيم فوده وإبراهيم خليل علاف، وشعراء المدينة المنورة رصدوا الحياة فيها كالشاعر عبيد مدني والشاعر ضياء الدين رجب، والشاعر محمد هاشم رشيد، والشاعر محمد الخطراوي، وسليمان رفة ومدينة الرياض نجد معالم تطورها في شعر عبدالله بن خميس وعبدالله بن إدريس، وحمد الحجى ومحمد الدبل، وكذلك مدن الطائف وأبها وجازان.

والشعر في الكويت رصد التطور في مدينة الكويت، ولا سيما الحركة التعليمية والفكرية والسياسية، ولتنظر في شعر عبدالله الأنصاري والسقاف، وأحمد العدواني، وقد رصد الشعراء حركة الشعر في الأقاليم والمناطق، فهناك الشعراء في الحجاز والشعراء في نجد والشعراء في المنطقة الشرقية، وشعراء الجنوب، وشعراء الشمال، لكن هذه الظاهرة في السعودية أظهر منها في غيرها لاتساع البلاد وتعدد أقاليمها.

فهم قد رصدوا معالم كل إقليم - ونحن نلمح خصائص تلك المناطق من الجوانب الروحية والجوانب التراثية والجوانب الطبيعية نلمس كل ذلك وغيره في جلاء من خلال الإبداع الشعري ومنهم الشاعر يوسف عبداللطيف أبو سعد الذي هام بالأحساء فأكثر من نصف شعره في التفني بالأحساء، والشاعر أحمد العقيلي والشاعر محمد السنوسي وعلي النعمي الذين تغنوا بجازان ومنطقتها.

ويؤرخ اشاعر لأحداث الخليج في سلمه وحره، ومما رصده الشعر بناء الجسر الضخم الذي يربط السعودية بالبحرين الذي يمتد أكثر من خمس وعشرين كيلاً عبر البحر، وقد ألقى الشاعر غازي القصيبي قصيدة في حفل الافتتاح الذي حضره ملوك وأمراء دول الخليج العربي في عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م:

ضرب من العشق.. لا درباً من الحجر
هذا الذي طار بالواحات للجزر
ساق الخيام إلى الشيطان.. فانزلت
عبر المياه سراعاً أبيض الخضر
ماذا أرى؟ زورقاً في اليم مندفعاً؟
أم أنه جمل ما مل من سفر؟

وهذه أغنيات الغوص في أذني؟
 أم الحداة شدوا بالشعر في السحر؟
 واستيقظت نخلة وسنى.. توشوشني
 «من طوق النخل بالأصداف والدرر؟
 نسيت أين أنا.. إن الرياض هنا
 مع المنامة مشفولان بالسمر
 وهذه جدة جاءت بانجمها؟
 أم المحرق جاءتنا مع القمر؟
 أم أنها مسقط السمراء زائرتي؟
 أم أنها الدرة الخضراء في قطر؟
 أم الكويت التي حيت فهمت بها؟
 أم أنها العين؟ كم في العين من حور
 بدو وحرارة.. ما الفرق بينهما
 والبر والبحر ينسابان من مضر؟
 خليج! إن حبال الله تربطنا
 فهل يقربنا خيط من البشر؟^(١)

وتزهو البلاد في عين الشاعر حين يرى الصحراء القاحلة التي درج عليها قد كستها حلل
 خضراء من المزارع الممتدة الأرجاء، وقد عايش الشاعر مسلم العطوي تطور الزراعة في
 السعودية، وفي تبوك بالذات، ولم اطلع على ديوان في الخليج تحدث عن الزراعة وتطورها
 أكثر مما وجدت في شعر الشاعر المذكور، يقول عن النهضة الزراعية في عام ١٤٠٤هـ:

يا حادي العيس تستهويه ببداء
 مهلاً رويدك إن البيد معشبة
 إن كانت تعهد تلك البيد مقصرة
 فاليوم اضحت بحال لست تعهدا
 اهتز منها أديم الأرض مغتبطاً
 يا حادي العيس هل نجواي تسمعها
 يمضي سريعاً تقود العيس وجناء
 ارفق خطاك فهذي الأرض خضراء
 تكسو البطاح ووجه الأرض صحراء
 يزهو بها الزرع والأغصان غناء
 في لمحة العين زانت فيه أنحاء
 فالصوت رجع وفوق الأرض اصداء

(١) غازي القصيبي، المجموعة الشعرية الكاملة ٧٢٩

إهداء من شبكة الألوكة
إن كنت تحسب هذا القول معجزة
فانظر تبوك تباهي اليوم منظرها
تلك الحقيقة للأبصار واضحة
فرش رقيق من الديباج زينتها

www.alukah.net
صعب الحدوث وما يحويه إطرأ
كما تباهت بثوب الدل حسناء
ما تشهد العين للبرهان اجلاء
مع وشي سندس والجنات فيحاء

هلا رأيت فجاج الأرض إذ كُسيت
إمّا تمعنت تلقى كل سنبله
إذ ما غشاها نسيم ثم داعبها
بحر تلاطم في البيداء لجتسه
حين القطاف إذا الإيناع أبدله

قمحاً تضيق به في الأفق أرجاء
بالرأس تعلق شموخاً وهي شماء
مالت وعادت يشد الجذع أرساء
من شدة العمق لمراى العين زرقاء
أضلال تبر، روابي الأرض صفراء

أكرم بيوم بدا والحفل يشهده
يوم الحصاد ذا يوم مآثره
تشدو تبوك لهذا اليوم من طرب
من جد فاز وراعي الزرع يحصده

يوم ستبقى له في النفس سراء
دوماً سيلقى لها في القلب إحياء
نشوى تغنى كما تشدو ورقاء
والأرض فيها من الخيرات نعماء^(١)

(١) د. محمد عيد العطاوي، تبوك قديماً وحديثاً، ١٩٤.

ثالثاً: الفكر الاجتماعي

- تمهيد
- الأبوة والأمومة
- الأولاد
- الزواج وقضاياها

الفكر الاجتماعي والإبداع؛

يعترف كثير من المفكرين أن علائق الفنون الأدبية، ذات تشكيل اجتماعي متواصل عبر الأحقاب الماضية، وتصوير للحاضر المعاش، واستشراف للمستقبل الفردي والاجتماعي، فهو عملية تراكمية فكرية تحمل تجريد الفكر الاجتماعي «فهم لا يجادلون في الفكرة التي مؤداها أن الأدب، بوصفه إبداعاً فنياً وممارسة إنسانية، لا ينهض على أفكار وقضايا جمالية فحسب، بل يقوم أيضاً على أفكار وقضايا، ويستخدم وسائل ذات صلة بالسياقات التاريخية والاجتماعية التي يظهر فيها»^(١).

والوقوف عند القضية الاجتماعية يستمد من الواقع التكويني للعملية الإبداعية، فأربابها متعددون التكوين الذهني ومختلفو المواقع الاجتماعية البشرية والبيئية ومتفاوتو التكوين الحضاري والثقافي، ويدلفون إلى الفطرة البشرية تارة وتارة إلى تطوراتها فتواجههم الأقرب إلى استبطان الفكر الاجتماعي.

حتى أولئك الذين يغلب عليهم الخروج عن المسارات الفكرية والاجتماعية لا يستطيعون الفكاك من القضية الذهنية الرسوبية المتأتية من التكوين المبدئي، للتشابك الثقافي والاجتماعي.

إن النظرة الاجتماعية هي التي تجعلنا ندرك التكوين الذهني والسلوكي والفكري لالتزام كثير من الشعراء كابن عثيمين والغزاوي والنظرة الاجتماعية تمحص لنا فكرة الانطلاقة الأدبية الفكرية التي تحاول استقطاب الفكر المعاصر، وتثير كثيراً من القضايا بماهيتها الحديثة تلك تمثلت في أدب محمد حسن العواد الذي انتفض إبداعه وكسائر أدبه انتفاضاً فكرياً يواكب الانتفاضة الفكرية المعاصرة، ويلتقي معه في هذا المضمار الفكري الأديب محمد سرور الصبان وفهد العسكر وإبراهيم العريض.

والتفسير الاجتماعي هو الذي غمر البوح الوجداني عند جلّ الشعراء وصيغه بصيغته الملتزمة، وأزاح عنه الإفراط في العبث الوجداني، وتلك محمّدة عند شريحة الملتزمين، ومنقصة عند آخرين، لا يبالون بالقيم ويزعمون أنها تعطيل للحرية الفردية.

والصراع الفكري بين الإقدام والإحجام قدم لنا شمعة الرواية الأولى في بلادنا (التوأمان) لعبد القدوس الأنصاري التي تمثل مسيرة الواقع الاجتماعي في انطلاسته الأولى فهناك

(١) عالم الفكر، المجلد ٢٣ يناير ومارس ١٩٩٥م.

المندفع وهناك الملتزم بفكره ونمط حياته، مما يماثل الاختلاف الاجتماعي في استقبالية الحياة الحضارية الحاضرة والمستقبلية فالظاهرة الاجتماعية في بلادنا ولدت نتاج أدبائنا في شتى الفنون الإبداعية.

ونحن حين نلتمس التماثل بين رحلة مجتمعنا ورحلتنا العلمية الإبداعية، ندرك التماثل الاجتماعي بين رواية (ثمن التضحية) والصراع الحضاري الذي تعاني منه الأسرة بين الوافد الجديد والانتماء للمجتمع القديم، فهي تصوير لأولئك الذين سبقوا إلى التعليم والتفاعل الحضاري الذي لم يدرك من فاتهم قطار التعليم ولم يرتحلوا إلى التفاعل مع المجتمعات الأخرى، فالبطل يعشق فتاة مثقفة في القاهرة وهو مرتبط بوعده مع ابنه عمه الأمية في مكة المكرمة.

والتكوين الاجتماعي هو الذي أفرز روايات إبراهيم الناصر (التي صحبت التطور الداخلي للمدن والشريحة الانتقالية من الريف إلى المدينة أنجبت الفكر المكون لروايات المشري، إذن فالتكوين الاجتماعي حتمي التواجد في التكوين الإبداعي.

ونحن لو تأملنا النتاج الأدبي على مستوى الشعراء لاستطعنا أن نحيل السياقات الإبداعية من الدواوين بل حتى القصائد إلى سياقتها الاجتماعية فالشاعر الحجازي تشكل في نتاجه الشعري الروح الحجازية كما يتكاتف في نتاج حسن القرشي، وأحمد قنديل، وطاهر زمخشري، التي تتعاقب مع الذائقة الحجازية القديمة عند عمر بن أبي ربيعة، والمرجي وعبدالله بن قيس الرقيات تلك الرقة الوجدانية التي تبلغ ذروتها عند يحيى حسن توفيق، وإبراهيم خفاجي.

ويتشكل التكوين الاجتماعي النجدي في شعر ابن عثيمين وابن بليهد وعبدالله بن خميس فأنت ترصد القوة والصلاة والجدية في الحياة، والعناية بالقضايا الأعم والبعد عن الذاتية، واجتباب البوح العاطفي وإن تضاءلت وخفت قوة التأثير الإقليمي في شعراء المناطق الأخرى فهي تمثل حصيلة السياقات الاجتماعية للوطن بعمومه أكثر من انفرادها بالإقليم - ما عدا بعض الشعراء في منطقة جازان الذين ألحوا على البيئة يتجلى ذلك في شعر علي النعمي أكثر منه عند السنوسي والعقيلي ويكشف الإبداع الشعري التطور في دولة الكويت وعمان.

بخلاف الفن القصصي فإنه يتلاحم مع السياق الاجتماعي في المنطقة الجنوبية والحجازية أكثر من تلاحمه في نجد والمنطقة الشرقية والشمالية، فالنتاج الإبداعي للمشري

وليد البيئة الجنوبية ويسير في هذا المنحى نتاج علوي الصافي، ومريم الغامدي، وإن انضردت قماشة السيف بالتفاعل مع صحراء الشمال في قصصها وكذلك تظهر صورة الحياة في الشمال في روايات عبدالرحمن السويداء وقصصه المستسقى من الحياة الشعبية.

والظاهرة المجتمعية في كل إقليم هي التي حتمت هذه التجليات والانحسارات، ولو رصدنا المضمون الأدبي لاقتنعنا أنه نتاج التفاعل الاجتماعي عند سائر المبدعين، ويصور في بلادنا محاولات الفرد الدائمة لكيفية التفاعل الاجتماعي الداخلي لذاته، وتعايقه مع مجتمعه مصطحباً ذلك للتكيف الدائم مع العالم الخارجي، فهو تارة راغب للمتغيرات خاضعٌ للتطورات يشرب لمعالم الحياة التي تتراءى له من جنبات الكون، بل إن الإبداع يحمل أشباع الآمال والأحلام، ويقدح أزند الطموحات، كإبداع العواد، وظاهر زمخشري، وسعد اليواردي وتارة: يتمثل روح الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وهو على شفا مسارب سبل مجهولة المصائر بل مجهولة المعابر ويتمثل ذلك في شعر أولئك المعتدلين كالشاعر محمد حسن فقي، ومحمد فهد العيسى، وحسين سرحان، وتارة يكون الإبداع نتاج الصراعات والتوتر بين الأفراد، والمجتمعات، ويتمثل ذلك في الأدب الذي يحمل روح التمرد والحدأة بأنواعه القصصي والشعري والتشكيلي عند حمزة شحاته، وأفلالي، والثبتي، والدميني، ورجاء عالم، ويلتحق شرائح النقاد بتلك الشرائح. ويتعانقون مع إفرازات الفكر الاجتماعي، فالناقد إفراز لأحد توجهات المجتمع فهو نتاج إما لشريحته الملتزمة، وإما لشريحته المعتدلة، وأما الشريحة المندفعة أو غيرها، وهو حين يرصد توجهات النقد الأدبي يكتف على ما يعتلج بتكوينه الذهني الذي يؤجج وجدانه الإبداعي التجريبي فالناقد عبدالفتاح مدين له توجهاته الفكرية التي تخضع للعقلانية في أطروحاته النقدية، فعيناه ترنوان إلى الانطلاقة التي لا تعرفها القيود، والناقد حسن الهويل مشحون بفكر التزامي يستوعب المستجدات المعاصرة التي لا تتعارض مع المعتقد، ويبوح بفكر الالتزام بصراحة لا مرأ فيها وهناك شريحة من النقاد تفرغ كل جديد وتموج مع التيارات الهائجة المتلاحقة الموج.

ويتشكل لنا التأطير الفكري الاجتماعي للنتاج الإبداعي في أدب الأسرة، فالروح الأمومية والأبوية التي ترسخ كيانها في التركيبة الاجتماعية تطوف على وجدان الإبداع الذي يفيض بالتجارب الأبوية، وتقذح بالايحاء الفطري الذي يتعدى للأباء ويؤطر التجليات الحانية

الرؤومة والرؤوفة والمنطلقة والمرتجفة والمرجفة على تلك البنوة ومنها تتجلى الفطرة البشرية التي تبتغي الصون والحفاظ على درة الحياة المتمثلة في البنوة فتودعها في أحسن وأمنع ملجأ للحياة، فلا تجد إلا الرب والحماية الإلهية وتجانس في ذلك مختلف الشرائح الفكرية. لكن الفكر الاجتماعي تتشطر إلى شظايا عند العلاقات الفردية الأخرى، فهناك من يسمو بالرباط الزوجي إلى قمة التلاحم والتآلف كما يتمثل في قصائد الثريات لحسين قطان، وكذلك عند إبراهيم فودة، ومحمد سعد الدبل.

بينما هناك من يتمرد على التقاليد الاجتماعية في كيفية التعامل الأسري والنظرة للمرأة بل يتجاوز كيفية التواصل والتعارف لتلك المرحلة التي تعهد للرابطة المقدسة كما يتضح من شعر الشاعرة بديعة كاشغري التي سأحدث عنها فيما بعد^(١).

وتتشكل الذائقة الثقافية في النتاج الأدبي لأولئك الذين يمارسون الإبداع فهي تبرز بوضوح في إبداع (رجاء عالم) التي تطوف في رواياتها علي مناحي الثقافة والمجتمع والفكر، وتجمع حشداً من المعارف الاجتماعية، حتى تكاد أن تنسرب الرواية عندها من صنف الرواية إلى تداعي الخواطر المتعاقبة مع الكوين الحضاري، وبقترب من ذلك الشعر التجريدي الذي لا تتشكل معالمه وبوضوح حتى في اللون الرثائي، وسنورد بعض النماذج القليلة من الكم الوفير في الديوان الخليجي من مثل شعر محمد الحربي، والخشرمي، وعبدالله الزيد، وعلي الدميني.

ومن الكتب التي صدرت كتابي (البنات في شعر الآباء) رصدت فيه نظرة الأب الحانية الدائمة إلى البنت، ودأبهم على تربيتهن التربية الصالحة التي تهدي إلى الاستقامة حتى تحقق آمال الآباء الذين يطمحون إلى بناء أمماً تحمل مسؤولية الأمومة.

فلا غرابة أن يشنف الآباء آذان بناتهم بمواعظ ونصائح تعلقو بهن إلى تكوين تلك المنزلة السامية كما أراد الله لها وخلقها لتحمل أمانة هي من أسمى الوظائف.

ومن هنا فالشعراء يزرعونها في بناتهم ويرغبونهن فيها، كي تترقى بسائر قواها العقلية والروحية والجسدية إلى منزلة الأمومة رمز البقاء البشري، ورمز التربية الصالحة، ورمز القوة، ورمز الحضارة ورمز الأمة والوطن فالمرأة تبيء عن هذه القضايا سواء كانت قوة أو ضعفاً.

(١) انظر. الأسرة في الشعر، د. هيلة المساف، مخطوط.

وقد تناولت في الكتاب معالم التربية الإسلامية وغايتها التي يهدف إليها الآباء، ثم تناولت في الكتاب صورة البنت في الشعر بداية من الولادة، ومداعبتها صغيرة والاحتفاء بها ثم محادثتها، وزواجها ومشاركة الآباء لبناتهم بأفراحهن وأحزانهن.

ثم ناقشت رسالة دكتوراة عن الأسرة بعنوان (الأسرة في الشعر السعودي) للدكتورة هيلة العساف تناولت جلّ قضايا الأسرة من الأبوة والبنوة، والزواج وقضاياها كشفت في رسالتها عن حضور الحياة الاجتماعية في الإبداع الشعري السعودي، ولم يتركوا قضية إلا وقد تناولوها حتى كيفية الخطبة وتعدد الزوجات والطلاق.

الأبوة والأمومة غريزة استتبها الله في مخلوقاته الحية، فهي ليست وليدة عقلية بشرية أو رابطة ذات منفعة، بل هي غريزة روحية لا تدرك كنهها، وتعجز عنها البراهين والحجج الدامغة، ولا ريب في تمامها وازديادها نتيجة التواصل الحميم إبان الطفولة، وربما نقصانها بعد البلوغ نتيجة العقوق والانحراف، لكن المحور الثابت قائم لا يتزحزح، فهو غرس الأحشاء، تسقيه دماء الأم فهو بعض منها تحس بحبه قبل ولادته تحكي سعيدة بنت خاطر الفارسي الصورة النفسية للحامل وهي نادرة في الإبداع العربي.

وقاربت هولاً به مأملي	ولما تواليت شهـوري الطوال
ومن تلك مـثلي ولم تدبـل	ذبلت ذبول غصون الخريف
بـعـاق سـأرزق أم بولي	وقـد راودتني شـتى الظنون
وأكـرمـني في بكرى الأول ^(١)	إلهي اثبني طيب الأصـول

ويتدفق الحب والحنان بالعرفان للأمهات عند كل إنسان بل لدى كل حي أفلا يكون مصدراً ثرياً للإبداع عند الشعراء الذين هم أرق عاطفة، وأكثر إحساساً وهذا الشاعر عبد الرحمن العشماوي يعلن على الملأ فضائل أمه، التي أحاطته باللغة الحانية، والنية الصافية، والتربية الصالحة فقد عوضت الأبوة المفقودة فجمعت بين الأمومة والأبوة، فكان أن أنجبت ذهنية وإبداع هذا الشاعر الإسلامي المتألق:

تُروى وأنتِ الرواية	(وجعلت مني قصة
م، روح حب عالٍ يسه	وصنعت من طفل يتيم
والرجل مني حافيه	وسلكت بي درب الهدي
ح وقد نسجت لباسيه)	فصحت في كنف الصلا

(١) هيلة العساف، الأسرة في الشعر السعودي الحديث ١٧، مخطوط

ن لكل عين باكيه
ولكل نفس شاكيه
ض وللنجوم العاليه^(١)

(أصبحت أشعر بالحناء
ولكل قلب خافق
للطير تصدح في الربا

والأبناء يلهجون بمحامد الآباء، فصورهم الحسية، وصور فضائلهم المعنوية وأيديهم الخيرة صورة ماثلة في ذاكرة الأبناء يقول عمر كردي عن أبيه:

يبقى حديدتك يا أبي
ب ونورها لا يخفت بي
سي أن أظل لك الحبيبي
ل من النمير الأعذب
سك ماؤها لم ينضب
أروي وإن لم تشرب^(٢)

(وكتبت أم لم أكتب
تبقى طيوفك لا تفي
مازلت استأذي وحسب
أسقيتني الماء الزلا
وبقيت ظمأناً وكأ
أثرى ما الذي أرضاك أن

ومحمود الحلبي، يستحضر أيام الأُنس في رقة والده، ويستذكر الرعاية المحفوفة بالحب والرأفة في قوله^٣

(كل الزهور التي في روضتي أبتسمت
لما غسلت بماء البشر ماساتي
كل الغصون التي في روضتي انتعشت
لما سقيت جذوري بالمسرات
كل الجراح التي في حلمي التامت
لما رأتك يداً تأسوا جراحاتي
أصبحت والفضل للرحمن ثم لكم
يختاً من الأُنس في بحر ابتسامات^(٤))

وجل الشعراء الذين وقفت على شعرهم في بناتهم يلهجون بالأُنس معهن في ملاعبتهن وأحاديثهن، وما يجري من حنان نحو الأبوة والأمومة، إنهن أقدر من البنين على استمالة قلوب الآباء، والأمهات فهن يجلبن السعادة إلى البيت ولرب البيت المثقل بهمومه الكادح في حياته يزحن عنه كل ذلك عند العودة والالتقاء بهن ويمكن تمثيل ذلك في النص التالي:

(١) ديوان «إلى حواء» عبدالرحمن العشماوي ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ديوان «محبويتي» عمر كردي، ص ٢٢٤ .

(٣) ديوان «أشواق على طريق الأمل» محمود الحلبي، ص ١٧ .

أبوح بحبي.. وأماليه..!!
كما باحت الطير.. للداليه!!
إلى قطرة، للندى حاليه!!
وعيناك لي.. جنة غاليه..!!
فؤاداً.. إلى كل قلب حنون..!!
بعينيك.. هذي الحياة فتون..!!
وهل يفضح الحب.. إلا العيون!!
كحب الأبوة.. فوق الظنون..!!^(١)

بعينيك.. يا طفلتي الغالية!!
أبوح بحبي.. لهذي الحياة
كما باحت الزهر.. في قفزة
فأنت لقلبي نعم الحياة
لأجلك يا طفلتي أنتمي
أدعب أحلى المنى، بل أرى
أرى فيهما فرحة في اللقاء
وحب الطفولة.. فوق المدى

إن الولد جزء من أبيه، فالمشاعر والأحاسيس تتدفق عطفاً وحناناً وتفيض رعاية وعناية، وتحمل أملاً عريضاً، وحلماً طويلاً، بالبنوة الجديدة، الولد زينة الحياة قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ﴾ آل عمران: ١٤ . وقد سخر الله الآباء والأمهات للأولاد، يعنون بهم، ويكدهون من أجلهم، ويسهرون الليالي، ويبدلون الأموال حتى في الأمراض الميئوس منها فإنهم يطوفون الدنيا بأولادهم المعاقين لا يفرق بين بنين وبنات، وأني أعرف رجلاً كلفه علاج ابنته ما لا طاقة له مع كثرة البنين والبنات عنده، إنها الغريزة التي وهبها الله سبحانه وتعالى.

ويصور الشاعر مقبل العيسى الأبوة وما يتدفق منها من رضى وحبور، وما تبذله من سخاء، وما ترقبه من أمل:

يا أصدق.. قلب.. يهـواني!!
قد غرد.. باسمي.. ودعاني!!
ببراءة... شوق.. وحنان!!
وردأ وشقائق.. نعيمان!!

وئدي.. يا وئدي.. الحـواني
يا أجمل ثغر.. في الدنيا
عـيناك.. إذا نظرت لي
أبصرت الدنيا.. من حولي



وأداري.. حُرقة.. أشجاني!!
في كل زمان... تلقساني!!
تمتد إلى .. شيء فـانـي!!

من أجلك أيسمُ لئدنيـا
والحزن بصدري.. أكتمه
فأنا.. لولاك اعيش.. يدا

(١) مقبل العيسى، الهروب من الحاضر ٧٨ .



جسماً.. مهدود.. البنيان!!
ويحي.. من قدر.. الإنسان!!

أسمى .. في الكون.. بلا هدف
هل أخشى القوة.. من قدري



قد .. وارى ظلمة.. احزاني!!
ويوجه.. يحمل... عنواني!!
في أثري... نضحة إحسان
أن .. تحيا دوماً بأمان
أو تلقى قسوة ... حرمان^(١)

يا طفلي الغالي.. يا قمرأ
بضياء.. الفرحة.. يفرني
أملتي.. في الله.. بأن تبقي
رحمن الدنيا.. أسأله
لا تعرف كيداً.. للدنيا

وغربة الأبناء أمر مؤلم وأشد فتكاً منه غربة البنات وقد عانى من ذلك الذين ابتعثوا بناتهم التعليم العالي في الخارج قبل تكوين الكليات والجامعات في بلادنا ومنهم محمد مغربي الذي بعث ابنته (أميمة) إلى جامعة كاليفورنيا، فهو يودعها بنبض الوجدان الأبوي فهي بعض قلبه، وهي دائمة الحضور وهو يصور متعة الأنس بمجالسة الأسرة من بنين وبنات متعة لا تعادلها متعة في نظر الوالدين، لا سيما حين تكون المؤانس والمداعبة، والحوار الفكري يهيمن على المجالس، فينبغي للأولاد أن يشبوا على ملاطفة الوالدين وبث روح الحياة في المنتدى الأسري، وأن يكون الابن أو البنت هاشأً باسمأً لوالديه وأخواته، ولا يكون مكفهر الوجه عابساً ولا مقطب الجبين، فليس هناك بخل أشد من بخل الأولاد على والديهم بالمؤانسة والمضاحكة والملاطفة، ونحن نجد أثرها في نفسية الشاعر حين افتقدها بسقم ابنته:

فمن لي بمجلس في المساء
فما شئت من فنون الأداء
ودروساً تلقى بلا إنشاء
تبعث البشر في الوجوه الوضاء
بعد أين وراحة من عناء
فضيكت الشناء كل التناء
من معانيك حافل بالعطاء
وتذكرت في جوى الغبراء

كنت أنت السمير في مجلس ليلى
طاب فيه الحديث وانطلق الفكر
طرفه تملأ الجوانح بشرا
والأضاحيك كالمزامير رنت
مجلس فيه للنفوس حياة
كنت أنت الفخار إن ذكر الدرس
كنت ما أنت يا ابنتي كل معنى
فإذا شاقك الحنين إلينا

(١) مقبل العيسى، الهروب من حاضر، ٧٥

واذكري اننا ارتضينا لك البعد

سبيلاً للمجد للعلياء^(١)

يتواصل الشاعر البحريني إبراهيم العريض في إبداعه الشعري مع الإنسان، في تأمل العقل، وفي موجات وجدانه، وفي علاقته الاجتماعية، وهو يؤمن بالقيمة الكبرى للفكر الإبداعي، فلا جمال فني بلا مضمون إنساني يحمل قيماً علياً رفيعة، والمآسي تستوقف الشاعر، وتحدث الموجد الانفعالي عند العريض، ويلفح وهج الحريق الذي يلتهم الابنة التي لم تتجاوز العاشرة من عمرها، فيستبطن لواعج الأم التي فقدت ابنتها في هذه المأساة والقصة في خمسة فصول نقطف منها نتائج الكارثة يقول عن الواقعة بعد نهاية الحريق:

واحتملوها في غشوة، لم
فاسترجعت وعيها لتلقى
يلتمس الثدي فوق صدر
فأمت خلتها بدون وعي
كم سمعت باسمها ينادي
فما استبانف إلا وجوها
وقال من قال «بنتها قد
فساءت .. أين خلفوها
فوزيتي .. لييتني فداها

تطل -على البرد- غير ساعه
رضيمها باسطا ذراعاه
وكلما مسه أضاعه
قد جمدت عينها ضراعاه
فانتفضت .. لولها استطاعه
ينذري عليها اللظى قناعه
نجت... ولم تنتظر سماعه
من ذا رأها من الجماعه؟
ألا كـريم يمد باعاه^(٢)

وتقيض المشاعر الوجدانية عند محمد مغربي حين ودع ابنته مسافرة تطلب العلم
بأمريكا:

استودع الله ما أغلى وديعته
لم يعرف البين لم يخبر مواجده
فارقته وهو ملء المقلتين رضا

بعضاً من القلب تشجيني مواجعه
حتى استحرفما ترقى مدامعه
وملء قلبي وما ضمت نوازعه

هذا القلب الذي يتفطر وهداً على ابنته، والذي تثقله غربتها وبعدها، وما تحمله من
إرهاق، ومما تعانیه الفتاة البعيدة عن والديها، فهذه الأبيات تمثل قلب الأب المشفق على

(١) محمد الحسون، محمد مغربي حياته وشعره ٤٧٩، مخطوط.
(٢) غازي القصيبي، قصائد اعجبتني ٨٢



ابنته، ولولا الأمل الذي يعقده عليها لتكون رائدة لبنات جيلها في ميدان العلم لما بعث بها إلى

تلك الديار النائية وهو يوصيها بتقوى الله وطاعته، والمحافظة على إيمانها وسلوكها:

كم نازح وشغاف القلب مسكنه	وحاضر كاللقى لم يدر موضعه
يا من تحملت منه بعد فرقته	شوقي إليه وأشواقاً تنازعه
ومن تمنيت أن تشفى مواعجه	لو كان يحملها قلبي وتنضعه
يا حبة القلب يا أغلى لآئسه	هذا الدعاء، لباب الله نرفعه
يصونك الله ترعاك عنايته	تهديك في الدرب عيناه ومسمعه
تقود يمينه يمينك وراحته	مبسوطة لك بالتوفيق أودعه
فلا تراعي وعين الله ساهرة	من ذا يراع وباب الله يمنعه
يا زهرة في رياض الدرر ناضرة	تهفو إلى العلم تصببها روائعه
عبي من العلم أروي من مناهله	فؤادك الحر - إن العلم ينضعه
شقي إلى المجد درياً أنت رائده	لنخبة من بنات العرب مشرعه ^(١)

من مصادر الإبداع الفكري، الطفولة، فالشاعر يستعيد ذكريات الطفولة، ولكن طفولة الأولاد أكثر تأثيراً فالطفل مصدر الأنا والسرور والسعادة لوالديه، والطفولة تتراءى فيها الفطرة التي لا التواء فيها ولا أمنأ والطفولة تمثل صفاء الحب الذي لا تشوبه شائبه، والطفولة ودلالاتها، وملاعبتها، ومناعاتها، وأحاديثها زهرة الحياة للوالدين والشاعر مانع العتبية يكشف عن ماهية الطفولة، فهي الحقيقة وهي البراءة والصفاء:

فإطيع (أروي) كيف اعصى أمرها	وهي الحقيقة إن أردت ضيائها
وهي البراءة إن نظرت لوجهها	وتشير فيض عواطف عيناها

والشاعر يجعل من ابنته زهرة البيت، وعطره الفواح، وهي روضته الغناء التي تجلو همومه، بصوتها الندي ومرحها الفتان، فهي سلوة والديها ومتعتهم حتى وهي تشاكس أخاها، أو تنفر وتمنع أو تشتكي وتلح في الطلب، كل حركاتها وسكناتها ترنو إليه أنظار والديها في عطف وحبور يقول الشاعر عن ابنته (أروي):

يا وردة في البيت ما أحلاها	جادت على بعطرها وشذاها
«أروي»، تطل على الحياة كزهرة	فواحة وندى الصباح رواها
لما أراها ينجلي همي فما	غير ابتسام القلب حين أراها

(١) البنات في شعر الأبياء ٥٦

ونداؤها بابا يجيء بنفسمه
وتحوم مثل فراشة من حولنا
فإذا بكت قمنا إليها نبتغي
لا يحجب الدمع الغزير جمالها
هي لي وللأم الرؤوم هدية
كلماتها كم تستنير مشاعري
تأتي إذا طلع الصباح لتشتكي
وكانني القاضي فأسأل هل ترى
فتغيب مع صمت طويل حائر
ما كان زايد قاسياً أو مؤذياً
وتقودني نحو الطيور وتدعي
جاعت وقد كان الغذاء موقراً

تصفو حياتي دون أن ألقاها
يبقى على مر الزمان صداها
تلهو فنتبع بالحنان خطاها
ان نستعيد صفاءها ورضاها
هي حلوة في ضحكها ويكاها
رب الوجود بفضلها أهداها
ولكم يطيب الوقت في نجواها
من زايد فأعيش مع شكواها
«اروي، الصغيرة لا تحب أخاها
كان السؤال الفصل في دعواها
ويحب اروي لا يطيق أذاها
أن الطيور تنوح من بلواها
هيا وضاعف للطيور غذاها»^(١)

(١) مانع العتيبة، خواطر وذكريات ٨٨

تراوح مضمون الزواج في الأدب العالمي بين المفهوم الرومانسي المثالي الذي يعتبره تنويجاً لعاطفة جمعت بين قلبين، وبين المفهوم الاجتماعي الذي ينظر إلى الزواج على أنه جزء من البناء العام للمجتمع يتأثر به ويؤثر فيه. وقد تتفرع تنويعات جانبية من هذين المفهومين الأساسيين، لكنهما يظلان الهيكل الفكري الذي يحتوي مضمون الزواج في الأعمال الأدبية التي تتناولها، فالمفهوم الرومانسي المثالي يعتبر إتمام الزواج بين الحبيبين نهاية كل المشكلات والعقبات التي وقفت في طريقهما، في حين أن المفهوم الواقعي الاجتماعي ينظر إلى الزواج على أنه بداية المشكلات والعقبات، والمحك الحقيقي لاختيار مدى صلابته وصموده في مواجهة تقلبات المجتمع ومتغيرات الواقع، والأديب الرومانسي يخلق من الحياة الزوجية جنة وارفة الظلال يسعى إليها العشاق كما يسعى المسافرون بحراً إلى بر الأمان، وظلت هذه النظرة سائدة في الأدب العالمي - إلى حد كبير - حتى ظهور علم الاجتماع وعلم النفس والنظريات الاقتصادية الحديثة. عندئذ رأى الأدباء مضمون الزواج في جو جديد، وظهر المفهوم الواقعي الاجتماعي الذي يحاول تعرية الزواج من كل، والتي قد تعوق تقويمه صحيحاً^(١).

والزواج له حضوره في الإبداع الشعري في بلادنا استهلالاً بالأمان والأحلام حول فتاة وفتى المستقبل، ثم الخطوبة واستهلالها، وتواصل الأشواق معها، وقد وقف الشعراء عند ليلة الزفاف ومنهم عبدالسلام هاشم، وأحمد قنديل، وعلي زين العابدين، وعلي حافظ، ثم منهم من تواصل مع زوجته حباً وثناءً، وحسن معايشة ووداد كطاهر زمخشري، وحسين فطان، وإبراهيم فوده، ومنهم من بكى زوجته كثيراً بعد وفاتها كمحمد الدبل وإبراهيم فوده، وقد ازدهرت الدواوين الشعرية في الخليج بالحديث عن الحياة الزوجية، وكشفت الدكتورة هيلة العساف في كتابها (الأسرة في الشعر السعودي) عن كثير من جوانبه ونحن نقطف مثلاً هنا؛ موقف الخطوبة والرؤية الأولى للخطاطب والمخطوبة أمر محرج للشابين معاً، يخشيانه ويخشيان، عواقبه، ويخجلان لتحضيره، وصدمة الأولى، تقول عنه (بديعة كشغري):

(وامرتني أي ان أزين ضفائري)

وأرتدي أحسن ما عندي

دخلت إلى المجلس وأنا أحمل

(١) نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي، ٢: ٨٢ (بتصرف)

تشدني خطواتي إلى الوراء
وتشابك أقدامي المضطربة
في تضاريس وجهها
تفشاني أنفاس المكان المختنقة
وتسقط أكواب الشاي من يدي
وهي بأعينها الأربع
تواصل التحديق فيما أرتدي
ترسم لطخات بلهاء
على خارطة جسدي
تجاهرنى الطعنات
تتسلل عبر شراييني
تحاول يداي جمع الأقداح المندلقه
يندلق معها الدمع
كما الوجد يرفل في إبريق دمي وزندي
تخبو أفراس الأغصان الأوتية
وهذا الغزو الهمجي يحاصرني^(١)

ولم تفتت الرحلة الطويلة للحياة الزوجية من وهج الحب والألفة، وإنما تزداد تماسكاً وتزداد توأماً وتفاهماً عند من يسعهما الله بحسن المعاشرة والألفة واجتناب صغائر الأمور التي تنغص الحياة الزوجية:

والشاعر حسين فطاني يصور الفتنة بالزوجة التي تتجمل أمام زوجها وتلبس أفضل الحلل
(رغم طول المدى ودوم التلاقي
والزواج الصحيح ليس سوى الحد
يلتقي العاشقان فيه على العهد
والأماني ترفرق الروح والفك
وإذا قوتان قد ألف الحد
لم نزل عاشقين في إغراق
بوثاقاً قد شد حول وثاق
كـريماً والمنهل اللـفـاق
رة تنوي زنادها بالعناق
بـقـواها في رقعة ووفـاق

(١) بديعة كسغري، الرمل إذا أزهـر ٤٩

يا مضياً بالحب والأشواق
والأمانى على الهوى كالمعاق
بين روحين وحداً في اتساق^(١)

فتشق الطريق في مهمة الدت
وتدع الآلام عنها الأمانى
هكذا هكذا الزوج
فيبادل الإعجاب، كما يستحوذ على الأبواب:

لبس العفاف ثيابها فأجلها
ما كان أجملها وأحلى دمها
كأساً هو السحر المبين أحلها
فرنت لتبصر في المشاعر فعلها^(٢)

(حسناً رائعة الجمال كريمة
نظرت إلى المرأة فاختلفت بها
ناجيتها فشریت من أفاضها
ورات عظيم تحييري وتولهي

والشاعر ينقلنا مع صور الحياة الزوجية التي تنامى بجلسات الأوس ويعتريها الصفاء،
وتبتعد عن المنفصات من اللوم والعتاب، وكثرة السؤال:

فقلت: أهل في طلعة الشمس أنواري
وفي ثغرها البسام نهر الهوى جاري
وفي نورك الأسنى جلاء لأنظاري
ولونك مزج من جمال وأزهاري
وانت كظل وارف بين أزهاري
وفي وصفك الضتان تزويق أشعاري
ولكنني أرجو حقيقة أخباري
فقلت لها تنوين أن تشعل نار
لتحطيم صب مرهف الحس صياري
فما ذنب أشعاري وما ذنب أفكار^(٣)

(جلست إليها في الأصيل بخلوة
واعجبني في خصرها النضج يافع
فقلت لها في نظرة الشمس جهرة
وللشمس لون السقم حين غروبها
وللشمس في وقت الظهيرة نضحة
فقلت أرى في مدحك اليوم خلة
ولست أروم الشعر منك لهذه
وقامت غصوباً تحسن الدل رائعاً
الم تعلمي أن البؤساد مظنة
إذا كان إحساس بنورك في دمي

الشاعر صقر الشبيب (١٣٩٤ - ١٩٦٣م) اشتهر بصراحتة الفكرية، ينطلق إبداعه في
حرية واسعة، وله شعر غزير يعالج به قضايا الأمة والمجتمع الكويتي، وشعره في سخرية لا
سيما حين يتحدث عن واقع الحياة الاجتماعية، وهو يتمنى المرأة الأنيسة، لينة الجانب، أنيقة

(١) ديوان «محالات وأعماق» - إبراهيم فودة - ص ١٤٧

(٢) ديوان «يا قبلة الجدء» حسين قطاني - ص ١٦٩

(٣) المصدر السابق - ص ١٧٦

من المصادر الإبداعية التي يكشف البوح بها عند الشعراء القضايا الإنسانية ذات التواصل

وأخوف مما أخاف اليوم أن لا
فكن لي داعياً بالخير عليّ
فألقي ما تمناه فؤادي
فتساء أوتيت عملاً ونبلاً
تلقاني بوجه ليس فيه
وتولج مسمعي بأرق لفظ
متى أفضى به سمعي لقلبي
فتملاً بهجة بيتي وأنساً
فليس إلى حقيقي سواها
وإن يصعب عليّ منال هذا
وأقصت فاقتني عني الأمانتي

يفادرنى الحجاج بلا اختلال
أرى حظي العليل بلا اعتلال
من الغيد الكوامن في الجمال
وحسنا في المحيا والخصال
عبوس الباخلين لدى السؤال
كأحسن صوت مهزوز اللآلي
يقبل هذا من السحر الحلال
ويملاً قريها بالصصوبالي
يميل القلب مني أو خيالي
لما يشكو من الإقلال حالي
فسوداء الجليدة لا الفععال^(١)

الاجتماعي، تلك التي تلامس الإنسان بنفحات النسيم أحياناً، وتارة تلعفه بوهجها المحرق كثيراً تلك قضايا الإنسان اليومية وأقرب رحماً منها الحياة الزوجية، وقد كان الرجل أكثر تعبيراً عنها لكن في زمننا المعاصر أخذت المرأة تبوح بمشاعرها ولا تخشى لومة لائم ومشاعر المرأة، مغنم فكري اجتماعي ازدهر به الإبداع في زمننا الحديث فالحديث عن العنوسة، والطلاق، والنشاز، تجسدت شاخصة للعيان، وهي الأقرب رحماً للفكر الفلسفي الأكثر تعاملًا وتأثيراً.

ومن الشاعرات التي كشف بوحها الإبداعي معالم من الحياة الزوجية المعاصرة، الشاعرة سعاد الصباح فالحياة الزوجية تستقي باللقاء، والألفاظ العذاب، وتورق بالحب والحنان، وتزهو أزهارها ويعبق عبيرها بالبشر والابتسام، والشاعرة تكشف عن حالة نفسية عميقة فالإقبال بين الزوجين يبني كيان الأسرة، ويغمر الطرفين، والفتور والابتعاد من أحدهما يولد النسيان والحرمان، والحياة الزوجية عند الأثرياء والوجهاء، الذين تتعدد قصورهم، وتكثر أشغالهم لها لون خاص كشفت عنه الشاعرة فزوجها لا يلتقي بها إنما يهاتفها وشتان بين

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ١: ١٤٠

والشاعرة الزوجة تبوح عن أحاسيس الزوجة التي تترقب ليلتها بين زوجات أخرى أو العودة

قل لمن كان بالمنى يلصقني ويفني بالبشر حين يراني
كيف بالله غيرته الليالي فطواني في غمرة النسيان
شغلته شواغل الدهر عني بعد أن كنت حبه المتضاني
يبها التائه الذي صهر القلب وفض الربيع قبل الأوان
انت من ضيع الحقيقة مني وأشاع الظلام في وجداني
انت أسلمتني لدوامة الدهر وأواجهها تهز كياني
أين شوق الهوى وهمس الأمانى وربيع الربى ورجع الأغاني
إنما ترتوي الأزاهر بالماء كما يرتوي الهوى بالحنان
كيف أرضى من هاتفي بحديث عابر منك ينقضي بثوان
لا .. وربي سأطعم النار قيدي فأنا لا أذل للسجان
ساولي لقصة الحب ظهري وأغني لعزة الحرمان^(١)

من أسفار متواصلة، فهي تزدهر من الأعماق، وتموج بالحبور، وينتشر البشر، وهي تلبس
أزهى الثياب، وتحشد معالم الإنافة، وترسل شعرها في رقة الحرير، ويمتد زمن الانتظار،
فتتحول الثواني إلى دهور، وما أشد الواقعة حين يكون العود سراياً، فيكون الإشراق ظلاماً،
والحبور اكتئاباً:

والحياة الزوجية، من سنن الحياة، التي تؤلف بين المرأة والرجل، تهفو النفوس إلى
أحبك حباً كثيراً قوياً عتياً مشيراً
أحبك يا روح روحي وباسمك أشدو كثيراً
وكم مرة يا حبيبي تواعدني أن تزورا
فألبس ثوبي ضياء وأرسل شعري حريراً
وأملاً يومى شمساً وأزرق ليلي بدوراً
وانظم شعري غناءً وأغمر جوي عبيراً
وتوشك لهفة قلبي إلى موعدني أن تطيرا
وتمضي عليّ الثواني فأحسبهن الدهورا

(١) سعاد الصباح، إليك يا ولدي ٢١

إلى أن يضيق خيالي ويصبح حزني كثيراً
لكم كان حلمي سراباً وكم كان وهمي ضريباً
وانت كما أنت باقٍ تحطم قلبي الكبيراً^(١)

تلاحمها ويشتمل الحب، بالتئام، وتزخر الحياة بالحركات والسكنات، والملاطفة والعناد، والنظرات واللمسات فسبحان الله الذي غرز هذه الفرائز في الإنسان فكانت ضروريات الحياة ومن جمالياتها والشاعرة سعاد الصباح تبوح بالفكر أو تروض الفكر الذي يلج بالنفس البشرية، فترسله في إبداعها موجات نفسية قريبة من كل إنسان: فهي تصور معالم الزوجية وانقطاع أمانها المورقة عند الهجران:

ما يتدعه الإنسان معرضاً عن التوجيه الرباني، والعلم التراكمي، والعقل المتأني يقرب

أتركني يا حبيبي أعاني الجوي والسعيرا
لقد طال بعدك ليلى وكم كان ليلى قصيرا
وعز علي ابتسامي وكان ابتسامي نضيرا
وهأنا اشرب كأسي شجياً شقياً مريراً
وأمضي إلى الغاب وحدي فلا أستشف العبيرا
وتتنحسر الشمس حزناً علينا وتبكي المصيرا
وتسقط في البحر هواناً وتجمد دفناً وتوراً
كان غروب هواناً لكل غروب نذيراً
وتهاجني ذكرياتي وتوشك أن تستجيرا
وتأخذني في دروب أطلنا عليها المسيرا
وتنقلني في رياض سكبنا عليها العطورا
وتفرقني في أمان بنينا عليها القصورا
وكفك في حوضن كفي سعيداً حنوناً قريراً
ومازلت أنت المضدي وما زلت أنت الأثيراً^(٢)

زلفى إلى الهاوية، فما يصدر عن الهوى يهوى بمن يقوده الهوى فالشرائع نظمت التواصل
الغريزي البشري، واصطفاه الرب بالتشريع والتنظيم الذي يحوطه بالقدسية، والنزاهة

(١) سعاد الصباح، إليك يا ولدي، ٢٧.

(٢) المرجع السابق.

والطهر والعفاف، ويسمو به عن مشاكلة الحيوان الأعجم ومن هذا كان تحريم الزنا، وتنظيم التعامل بين المرأة والرجل ولكن الهوى البشري طغى على إنسان اليوم وتمادت أصوات رعاغ البشر باسم الحرية ليكون الجنس مشاعاً ليحقق رغبة فانية، وفي سبيل ذلك اباحوا قتل النفس البشرية في مهدها فأباحوا الإجهاض وتلك من تهافت البشر..

وبل ذئب.. ملأ الأرض اغتيالاً... ودماراً ودماء

سيدي...

قد أجهضوا المرأة... والطفل رموه.. كنفائيات سجاره

هكذا ياسيدي، ما ذنب طفل لم يذق طعم الطفولة

وتراهم يمسحون الدمعة... من اعين ام يمناديل القذارة

عبثاً قد حاولوا...

هتك الستارة

❖ ❖ ❖

عبثاً كنا نغني

نصنع الفرحة في وجه الحيارى

بأغاني الأمنيات المستميتة

عندها كنا نغني...

شنقوا صوت الحقيقة

واباحوا جهض زواجات الحقيقة

وضحايا الغدر- لا حصر لهم- كل دقيقة

لست أنسى منظر المرأة تبكي

طفلها الأول مات... ألف طفل قبله بعده مات

مات في قلب حناياها هوى الطفل الصغير

وتلاشى جفنها...

يصرخُ ذعراً... (كل وعد لم يكن إلا ادعاء)

وصدى العود ادعاء... في ادعاء

مات فيها كل شيء كان حياً...

اليومية والتأثيرات المتبادلة بين المرأة والرجل، فهي تحكي قصيدة نزاع المرأة والرجل في

قصيدة بعنواننا «سدت السبل»:

جفـاها الزوج والأهل
لماذا الهـجـريـا سهـل
وأما الأبهـا تسـلو
بأهداب لهـا تحـلو
أحـان الحـزن والوجـل
لماذا يدبـر الكهـل
أمـيش وقـد دنى الأجل
يشـيب لبـعدك الطـفل
غـرورك زاده الجـهـل
أنت بخـافـقى الأصل
وقالت سـدت السـبل^(١)

بـدت أسـبابها تجـلو
وصـاحت بعـد ما نـدمت
أصـاب الدهـر أفـتـدة
وجـف الـدمـع من مـسـقل
فـقال الزوج في عـجب
أـتـلك الـريم في قـلق
فـقـالت كـيف يـمكـنـي
فـبـعدك زاد أشـجـاني
فـقال الزوج يا سلوى
فـأنت الـذات لو تـدرى
فـفـاض الـدمـع منـحـدرا

رابعاً: الوطن

- تمهيد
- قضايا وطنية

الوطن وقضاياها:

الأرض هي مصدر الإنسان الأول الذي خلق من طين، ثم أنزل إليها ليمارس الحياة، ويعيش من التلاحم بين الإنسان والأرض، فتكون مهد غذائه، ومأوى جسده، ومكان معاناته وعمله، وفيها يعمل عقله متديراً الطبيعة ومعالماً الكون كله، وتفاعله مع الأرض والإنسان، وقد كانت الأرض من الموحيات للإبداع الشعري فقد: «تنوع استخدام الأدباء لمفهوم الأرض عبر تاريخ الأدب الإنساني فمنهم من وجد فيها الأم الرؤوم التي لا تكف عن العطاء والنماء والخير، فهي في نظرهم مصدر الحياة البشرية، في حين رأى فيها بعضهم الآخر نهاية كل حي، فقد استطاع ترابها أن يمتص جميع أجساد كل الذين رحلوا من البشر من بدء الخليقة، ومنهم من اعتبرها تحدياً مستمراً للإنسان الذي يتحتم عليه أن يكدح ويعرق حتى يفرض عليها إرادته وعلمه كي يستخرج منها كنوزها وخيراتها»^(١).

من المصادر الثرية للأدب المكان وعبقه، فالشعراء يتعلقون بمناباتهم الأولى يرنون إليها ويستعيدون ذكرياتها، فكيف إذا كان المكان مصدر عظمة، وعطاء البشرية كلها، وحامل راية الحق والخير، ومهبط رسالة، ومكان تقديس ربانية، ومن هنا فإن المكان حاضر في مشاعر الأدباء أو الشعراء توأماً مع الانتماء الجمعي لأبناء هذا المكان وتكاد أن تلمح هذه الخاصية في شعر الشعراء، فالمكان المتمثل في الجزيرة يجمع أهله كونها مصدر العرب، ومصدر اللغة، ثم مهبط الوحي وأهله حاملو راية الإسلام، تلك التي يحملها كل عربي ومسلم، فكيف بالملاصقين لهذا الوطن الأم، والشعراء في بلادنا يحنون إلى ديارهم المتفرعة من الجزيرة الأم، ولنصحب الشاعر عبدالله بن إدريس، حين يتفنى بالجزيرة وأمجادها، فيقول عنها:

منحت لأهل الأرض أفضل مرسل	دانت له الأجساد والأرواح
أهدت ضياء لا يريم مع المدى	للعالمين، ففيضه سحاح
(بمحمد) الهادي لخير شريعة	يزهوها الإمساء والإصبحاح
شبه الجزيرة يا انبلاج صبا حنا	نحو الوجود وغيرنا أشباح
شبه الجزيرة يا منارة مجدنا	لك في القلوب منازل أفياح ^(٢)
شبه الجزيرة يا انبثاق حضارة	بيضاء فيها رحمة وسماح

(١) د. نبيل راضب، موسوعة الفكر الأدبي، ١٩٠: ١

(٢) إبحار بلا ماء، ٤٢

أغفلت فيها والجذور صحاح

لما انطوت عنك الخلافة اعصراً

وأبناء الجزيرة فرحون جذلون، يظهر الدعوة السلفية الخيرة على يد الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتكاملت بقيام الدولة السعودية المعاصرة بقيادة الملك عبدالعزيز:

وتبسمت بعد العبوس بطاح

حتى انتفضت بدعوة ميمونة

للمسلمين يحوطها الأنجاح

عادت إليك مع الزمان قيادة

فقد استعادت البلاد مكانتها العربية والإسلامية، وتحملت هذه الدولة السعودية الفتية حمل أمانة هذه الجزيرة وتراثها الذي يحمل الحق والخير، والجمال، ويصون البشرية ويعلي من قدرها تلك الجذوة النارية التي تقدح في مشاعر أهل الوطن ليواصلوا مسيرة الحضارة:

وشمارها الإيمان والإصلاح

عادت إليك بهيجة مزدانة

أني لها الإحصاء والإملاج:

أم العروبة والمآثر جمة-

لولا جهاد مرعف وكفاح

هذي المكانة ما اعتليت سنامها

من صفحة التاريخ وهي بياح

هذا التراث الحي نسخة ما مضى

لغد وریش طيره صداح^(١)

هو لمسة من أمسنا وخميرة

والشاعر عبدالله بن خميس يتلاحم مع الطبيعة المكانية، فهو العلم الشامخ، وطويق ذلك الجبل الأشم فتسري فيه الكبرياء عبر العصور، تمر عليه الأجيال وتأوى إليه الكواسر والجوارح، تندثر وتهلك ويظل يحكي أو يعلم أخبارها كما هو في خيال الشعراء:

هلا ابتغيت مدى الزمان تحولا

يا جاثماً بالكبرياء تسريلا

ما ضععت منك الحوادث كاهلاً

شاب الغراب وأنت جلد يافع

تتري على مر العصور تداولا

ترنو إلى الأجيال حولك لاتني

ألقى بكلكله وذاك تحملا

مثل الضيوف المعتقين فقدام

وتمر أحقاب السنين جوافلا^(٢)

تنتابهم سود الخطوب عواتباً

وأحداث الخليج كشفت عن بطولات اجتماعية وفردية ومنها الطيار (عايض الشمrani)

(١) إبحار بلا ماء، ٤٢ .

(٢) عبدالله بن إدريس، إبحار بلا ماء، ٤٢ .

(٣) عبدالله بن خميس، على ربي اليمامة ١٢٧ .

الذي اسقط طائرتين في طلعة واحدة، يقول عنه القصيبي:

ذلك الصقر الذي يحيي سماءه
 خلع المجد عليه كـبيرياءه
 ضاقت الأرض على ~~ميتته~~
 فغزا السحب... ولم تلمس رداءه
 عزة المؤمن في أعماقه
 وصمود الوطن الغالي إزاءه
 غرس الراية في قلب السهها
 فإذا التوحيد للكون إضاءه
 قل لمن يقبع في ~~مخبيته~~
 بعد أن وزع بالقسط وياه
 اتعود القسوس إن هاجمنا
 في رياض العرب صاروخ دناءه
 أبرد القسوس طفل نازف
 لم يكن ينزف إلا بالبـراءه
 عـدة الإيمان ~~بـبروتقى~~
 وسلاح الكفر ~~غدر~~ وبيداءه^(١)

وأحمد الصالح (مسافر) ثاني اثنين يوظفان المرأة توظيفاً وطنياً بارزاً لا تنفك صورة المرأة عنها، فهي المثال الأعلى، وهي الأعلى، وصورة الحب لها صورة سامية، يسمو عشقها يكون مأرب البشر، وقد التحق بها حب الوطن فتمازج الوطن والمرأة، أمّا الأول فهو غازي القصيبي وأما الثاني فهو شاعرنا أحمد الصالح فالأول يمزج ذاته ووطنه وما يتعلق به بالمرأة والآخر يلح إلحاحاً كبيراً على الوطن لا ينفرد به ديوان عن ديوان وإنما كان النماذج مبكراً طالعناه في ديوانه الأول «انتفضي أيتها المليحة» وها نحن نطالعها في ديوانه (عيناك)، يقول عن وطنه وعن مدينته عنيزة:

مليحتي .. اي حب كنت أعرفه ولا أزال بهذا الحب مرتها
 وأي حسناء تغويني فأتبمها إلا تلفت قلب والفسؤاد رنا

(١) مرثية فارس سابق، ٩٠.

فما فطمت ولا عفت الهوى لبنا
ويلهم الحسن في كُثبانه الحسننا
حور نسيم الصبا يغري بها فننا
كأنها جنة طابت فطاب جنى
وكم لديك عشقت الأهل والوطننا
فكل شبر يناديني أقمت هنا^(١)

إليك يا وطناً بالحب أرضعني
في القلب يسكن أدناه وأبعده
تختال بين الرمال الباسقات بها
في كل ساح «عُرُوسُ» صفقت طرباً
«عنيزة»، كم إليك الشوق تيمني
وفي دروبك أيام تذكّرني

والشاعر سعد البواردي التصق بالوطن، وأطال الوقوف عند المكان، والإنسان والزمان، وروض شعره ترويضاً واقعياً حتى إن دواوينه تنتظم في اتجاه الواقعية الأدبية، فهو يحيل بصيرته أينما حل أو ارتحل، في المدائن، وفي المعابر، ويشدو بالأسس التراثية التي تفاعل معها المجتمع قديماً، ويتمنى نظائرها كي تؤدي دورها حديثاً. فهو يحكي سيرة (سوق عكاظ) الإبداعية، ويؤامى إلى تواصل الصحيفة عكاظ المعاصرة لعلها تؤدي دور عكاظ الأولى:

عكاظ.. فـيـك تنـاغـى الجـرس والنغم
اليوم يوماً... سجل أيها القلم
عكاظ.. الضاد لم تعقم، وما هرمت
عكاظ.. الضاد خصب .. بل هي الهرم
اطلالة الفكر من واديك خالدة..
لا الجهل يحجبها .. لا الذل... لا الظلم
في كل حبة رمل منك ملحمة
يفيضها في عراق الفكر ملتحم



مرحى ثقيف فضي واديك جمهرة
تواقدوا من صقاع الأرض.. وازدحموا^(٢)

وهو يصور لنا المشهد الواقعي لبلادنا: فهي تُعنى ببيوت الله، وترفع المآذن عالية في الأحياء وعلى الطرقات، ولم تر في العالم القديم والحديث تكاثر المساجد كهذه الصورة المشرفة لمدن المملكة العربية السعودية، ثم يصور امتداد المصانع، والمزارع الكبرى عبر

(١) أحمد الصالح، عيناك ينجلي فيها الوطن ٥١

(٢) سعد البواردي، أغنيات لبلادي ١٥ .

لمحتك يا موطني لوحة
مأذن تسبح في راحتك
مماهد تعطي لكل بنيك
مصانع.. إنني أراها الضباب
وعبر صحاريك يمتد شر
عليها تضح جميل الصور
بأحلى الدماء بأجلى السور
المعارف يجنون فيها الثمر
تزين وتملأ ضوء القمر
يان خط طويل قصير السفر^(١)

إن بناء الأوطان مصدر شعري لا سيما قيام دولتنا بقيادة رائدها الملك عبدالعزيز الذي وحد البلاد بعد شتات وفرقة دامت قروناً وأقام دعائمها على المبادئ التي يعتز بها كل فرد من أبناء المجتمع، ومن هنا توحدت قلوبهم وأفكارهم وبلادهم خلف قيادة آل سعود ونحن عايشنا معاناة البلاد في فترة الخليج الكبرى التي كانت لحكمه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد دوره في درء شرورها بتوفيق من الله وقد استقطبت الحادثة الشعراء حتى تكوّن كما هائلاً من الإبداع الشعري والنثري فأثرت المصدر الإبداعي، مما دعا الباحثين إلى إعداد رسائل عنها تدرس ما فيها من شعر، وبعض الشعراء خصها بديوان كديوان «مرثية فارس سابق» القصيبي، ومنه قصيدته عن خادم الحرمين المعنونة «أبا فيصل» فهو يقود الشعب المؤمن الذي لا تلين عريكته، ولا تنقاد شكيمته إلا للحق:

راية الشعب.. الذي تعرفه
مما اتحنى إلا لرب العالمين
يا ابن من أشرق في صحرائنا
شامخ الإيمان.. مرفوع الجبين
أيقظ التاريخ من غضوته
ودعا... فانطلقت أسد العسرين
ربط الشاطئ بالساحل... في
وحدة تلج صدر المسلمين
وحدة قعد رفع الله بها
راية الحق ورد الحساسين

(١) سعد الواردي، أغنيات بلادي، ٩٧.

نحن ما زلنا على العهد الذي
صانه الأجداد... عهد الصادقين
نحن أجناد أبو تركي، .. فمن
صدا السيف ولا كلت يمين
خض بنا الموت... فمن أعذبها
مسما الذ الماء عند الظامئين

وهو يصور تدافع الطامعين وحقد الحاقدين، وطفغان المستبدين ونكران الأخوة، فتجاوزوا
المبادئ الإنسانية والإسلامية إلى الفتك وهتك المحارم واغتصاب الأرض وتشريد الأمنين من
المسلمين الذين لا حول لهم ولا طول.

يا أبا فسيصل! هذي ساحة
برزت فيها نيسوب الطامعين
أسفرت احقادهم عن وجهها
يومية.. تؤذي عيون الناظرين
ذلك الزنديق.. اضحى بغتة
يتزنا .. بمسوح المؤمنين
وينادي لجسدهم .. وبله
ما سمعنا بجهاد الملحدين
يده - شلت يدا - مصبوغة
يدهم - اء المسلمين الأمنين
وعلى اظفسماره أشملاؤهم
لعنة تتبعهم عبر السنين
يستشير الفة - راء المعوزين
وهم لولاه كانوا مـوسـسـرين
البلالين التي احرقها
في سير الحرب تغني الجائعين
والبلالين التي يعثرها
يقتل العوزل تؤري اللاجئين

عجب لا ينتهي .. أمجابه
أن غدا الدين شمار الكافرين



يا أخا المليون جندي أما
يستحي المليون من ذبح مئتين
في ظلام الليل تفـزـو بلداً
كان في الجلى لك الحصن الحصين^(١)

والمكان له أمجاده الكلية التي يفاخر بها المجتمع، وله السمات الأنفرادية لخصوصية أحد الأمكنة، فالكرم سمة أهل الجزيرة، لكن كون مدينة حائل موطن كريم العرب حاتم الطائي، فإن أهلها توارث هذا المجد ليظل راسخاً فهو مصدر اعتزاز يشدُّ به شعراء المنطقة، ويمدحهم الشعراء يقول ابن ادريس عن هذه الخاصية التي تكاد أن تكون جدولاً من مصادر الشعر للجزيرة العربية:

زمت بخصال ذكرها متناول	بها الجود، والتاريخ، والحسن، مائل
بها خلدت آثارها وسمائها	وعز ضريب مثلها ومعاقل
ومرت بها الأدهار يسراً وعسرة	وما أثرت فيها الدهور الكواهل
بلى إنهم، تزداد مجداً وقيمة	ويزهرفيها حسنها والفضائل
يدل : على الأيام فجر شبابها	وما وهنت منها القوى والمفاصل
على حسنها الفياض عاشت عزيزة	حصان رزان لم تشنها فعاقل
وتحفظ من تاريخ الجدود ملاحماً	هي الكرم الأسنى؛ عطاء ونائل
عليها (لزيد الخيل) رسم ومدرج	من الفضل والإقدام ما هو طائل ^(٢)

ويصور الشاعر محمود عارف عظمة المكان الذي ينتمي إليه والشاعر لسان المجتمع، فكل فرد من المجتمع يبتهج بموروثه، بل يستلهم قدسية المكان، ويستحضرها، بل إن علو شأن القدسية وكونها مرتبطة بالتوجيه الرباني ينمي هذا الانتماء، فيستأثر بنزعة الفداء التي تتلو مرحلة العطاء والجهاد فالشاعر يبت لواعج مجتمعه حين يتحدث بلسانه عن المشاعر المقدسة وأثرها على الحياة في الأقطار الإسلامية.

(١) غازي القصيبي، مرثية فارس سابق ٢٦ .

(٢) ديوان إبحار بلاء ماء ٩٦ .

اهداء من شبكة الألوكة
في منزل الوحي، والقرآن شاهدنا
والضاد من (مكة) سارت قوافلها
وفي الكنانة قد طابت روافدها
في كل شاردة منه وواردة
يا أمة (الضاد) أنت الدهر صائنة
تراثنا (العلم) حتى اليوم متصل
وجهدنا سابقاً رمز، لحاضرنا

تسلحت لغة الضرقان بالقيم
إلى (العراق) إلى (لبنان) من قدم
وفي (الشام) صفا تبعا بكل فم
أبقى لنا (الضاد) شحماً غير ذي ورم
جهد الأوائل، فخرأ غير منقصم
بواقع الضضل في ماضيك والنعم
يزهو بمستقبل خالٍ من التهم^(١)

المال يميل بالنفوس، ويرجح بالعقول، وهو مصدر الصراع البشري، على مستوى الأفراد والجماعات، فالمشاحنات الضردية، والحروب الدولية، نبتت من اللهاث وراء المال، لكن المتدبر لهذه الحياة يدرك عظمة التوجيه الرباني، لعملية التوازن المادي لكل فرد وجماعة، فقد كشف الشرع عن وسائل الخير للكسب الحلال، وأبان عن أوجه الوظائف الحقة للمال، فمن أخذ بحظ وافر من هذا التوجيه الرباني كان المال عوناً له، وسعادة دنيوية، ووسيلة أخروية، فالرؤية المادية التي يتهالك عليها البشر ينفر منها الشاعر عبدالله بن إدريس فهو ينشد الاعتدال لجمع المال ويلح على الوسيلة المشروعة.

فلقد رأيت المال بجهد أهله
وتقد رأيت الكثر خادم ماله
في جمعه مما أسف وما علا
لا المال يخدمه حنيا مبهلا

فقد راعه كما راع غيره لهاث أهل المال، وتسخير أنفسهم لجمعه والحفاظ عليه وهو يعلن عن وظيفته الحقة:

ما المال إلا بلغة ووسيلة
لا تحسبوني داعياً لزهادة
كلا... ولا ادعو لرفض متاعه
أبدأ... ولست بكاره انداءه
إن تجمعوا بين الوسيلة جهدكم
والغاية المتلى طريقاً أفضل^(٢)

يثير إبراهيم الداغ، قضية تربية الأبناء التي يعاني منها المجتمع في الزمن الغابر، يسعد الإنسان بكثرة الأولاد، ولا تمثل قضية التربية أعباءً وأثقالاً على الأباء، فلا كلفة مادية بل هم

(١) ترانيم الليل، ٤٦٢.

(٢) عبدالله بن إدريس، إبحار بلا ماء، ١١.

يجنون المال، ولا خشية من الانحراف والضياع، فالأب اليوم يراقب تصرفات الأبناء، ويتابع تنمية فكرهم، وتلك مشقة كبرى، فكيف إذا قوبلت بالعصيان والتمرد والجحود من الأبناء، فتلك قاصمة الظهر، والدامغ يحكي جانباً من نكران الجميل، وتمرد الأولاد، ومعاناة الآباء داخل بيوتهم التي يفترض الأُنس فيها: فهي أصبحت مصدر المعاناة:

كفرت بكل عاطفة وحب	يمزق فطرتي ويذيب عزمي
فـلا ولد ولا بنت أراهم	بعين الحق غير ظلام وهم
هم السيف الذي ينزو رهيباً	على عنقي ليفصل منه عظمي
وهم في خافقي كزعاف سم	يذيب الروح في صنف وحسم
يروون بي اعتلالاً من أساهم	فيشتطون في ظلمي وهضمي
كأن لهم على قديم ثأر	يطاردني فيحرقني بغرمي
فكل مكابر فيهم غني	يرى عطفي عليه خيال ظلم

❖ ❖ ❖

امزق رقعتي وأذيب نفسي	لأنهم برهم بشفاء حلمي
واغضى عن سفاهتهم حزيا	لأنسى كل قاصرتي وعمدي
فأسمع ما يذيب وجيب قلبي	على العلات من سب وشتم
والمح في وجوههم اختناقاً	يراود فيهم استنزاف حلمي
يكيلون التمرد كل يوم	كأن الكل منهم بات خصمي ^(١)

والشاعر عبدالرحمن العبيد يستلهم المستجدات في البيئة المعاصرة فيثير كوامن فكره فهو يصور وظائف الهاتف الحديث:

واليوم أخبرنا تأتي مجددة
بهاتف ينقل الأحداث للبشر
إن قيل (نجد) وسبل في مراتعها
سمعت ترحيبة الوديان بالمطر
أو قيل في (جدة) الأعراس قائمة
سمعت ما دار من دف ومن سمر
وكم حديث صداه مرف في أذني

(١) إبراهيم الدامغ - شرارة النار ١٢٤

مذبذباً كترنيمه الأطييار في الشجر
وكم حديث أعدا الشمل فائتلفت
منه القلوب وكانت قبل كالحجر

❖ ❖ ❖

واليوم يأتي اتصال في مسرته
وهو الذي كان قبيل اليوم في كدر
وكم مكالة جاءت مطمئنة
لتساجر ظل في هم وفي حذر
أضحى يكلم في الأعماق باخرة
كما تكلم الناس في الدمام، والخبر،
وكم به نبضات في مكالة
خلف المحيط لقلب شبه منكسر
والعلم كم حقق الأمال يغمورها
بكل مخبتوع يأتي ومببتكر
تيسارك الله في آلاء قدرته
أصفى على الخلق منه اجمل الأثر
أكرم بها دولة تبني حضارتها
للناس يجنون منها أطيب الثمر^(١)

والشاعر العبيد ينبض بحياة البيئة التي تحرق به فما هو يحكي لنا لوحة عن الفواص وما
يختلج في أماله وما يعانیه في عملية الفوص وراء الأصداف الجميلة واللؤلؤ البراق الثمين
إنها حكاية لجانب كبير من حياة أبناء الخليج في غابر الأزمان وحاضرها:

يا أيها الفواص مسالك مبحر
تعب الشراع ومل من ليل الكدر
ترنو إلى الأصداف علّ بطيها
حلم السمادة تق تفينه كالأثر
وتفوص في ذاك الخضم تلاحمت

(١) عبدالرحمن العبيد، في موكب الفجر ٦٤

فيه ... المنى.. وتواثبت فيه الصور
 حلم تجود به البحار وكم به
 سطرت من ألم وسرت على حذر
 هذا هو الفواص في سفراته
 ألف الشراع فكاد يصرمه القدر
 أطفاله في وحشة حتى يروا
 منه الإياب غنيمة بعد السفر^(١)

يهتز كيان الشعراء بأموج الوطن فيمرحون بمعالم جمالها، ورقيق أحاسيسه، وكثافة الخير فيه، ويكتوون بوهج مشاكله وينثون مع المسحوقين، ويتعانقون مع المثقفين المتطلعين، الذين يحسون بحرارة الاحتراق قبل ظهور اللهب المحرق فالبدعون أصحاب فكر يحملون الماضي ويمحصونه، ويتبصرون الحاضر ويفرزونه، ويستشرفون المستقبل ويدعون لصالحه، ويحذرون من مغبات انحرافه والشاعرة الكويتية سعاد الصباح، تقف على شواطئ مجتمع الكويت، فتبصر في ثرواته، وتفقد تلاحمه، وتنذر بمخاطر الوفود الوافدة التي لا جامع بينها إلا شهوة المال وجمعه، يتصارعون على الغنيمة، ولم تكن الوطنية هاجساً لهم، ولم تكن قوة البلاد غاية قصوى، وإنما تاه الشباب الكويتي في التهاون وعدم المبالاة، وتارة في الخلاف الجدلي الذي يؤدي إلى الفرقة وتلك أمراض دبت إلى أقطار الخليج عندما أنعم الله عليه بهذه الثروة التي أخذ يبني بها بلاده لكن التجاوز في استبداد الثروة وعدم الرقابة المالية، وفقدان التخطيط الواعي، والعمل المخلص، والثقافي وصيانة الوطن وحمايته كلها أمور يستشعر الأديب فقدان حذوتها عند فئات من الشرائح الاجتماعية:

يا بلادي انت انأى من سني الأنجم عني
 بيد أن الجرح في أعماق يبكي ويفني



غرياء الأرض أغراهم بريق الذهب
 فاستباحوا دون حق أرض أمي وأبي



(١) عبدالرحمن العبيد، في موكب الفجر، ٩٩ .

وغدا ديدن أهل الحي خبث ونفاق

كيف يرتاح الضمير الحر، والحق مراق؟

❖ ❖ ❖

في بلادي، في مفاني أرض أجدادي الجميله

نسي الناس من اليأس التواريخ الجليله

❖ ❖ ❖

أضحت الأخلاق بين الناس عملات قديمه

سحب الحب طوتها عبرة الجرح الأليمه

❖ ❖ ❖

كلما عدت أراني في حمى أهلي غريبه

وهم مثلي أغراب على أرض سليبسه

❖ ❖ ❖

نحن أمسينا مع الأغنام في أرض بلادي

والكلاب السود ترعى والخنازير تنادي

❖ ❖ ❖

ربما تأكلنا يوماً وباسم المدينة

يسقط الوعي ويغدو الشعب للغازي ضحية

❖ ❖ ❖

ثم تمسي بعد هذا الهون تاريخاً قديماً

ورسوماً باليات... آه ما أشقى الرسوما

❖ ❖ ❖

سيقولون هنا كانت كويت وإمارة

رفعت في البحر قبل البراعلام الحضارة

❖ ❖ ❖

شقت الريح وأجرت في المحيطات السفينه

قسيل أن ينشا ملك وملوك ومدينه



ثم غرتهم أباطيل الحضارات الجديدة
فتناسوا أنهم إرث التقاليد العتيده



يا شبابي إنا فيكم كل آمالي الرقيعه
ويلادي بين أيديكم تراث ووديعه



فانهضوا من غفوة الوعي ومن أسر السكينه
قبل أن نفرق في الطوفان اعلام المدينة^(١)

والبيئة منيت من منابت الفكر الإبداعي، فما يصدر عنها يؤثر تأثيراً حاسماً في الحياة البشرية، فهو يلامس الفكر الفردي والاجتماعي من خلال التفاعل الحياتي حتى يتحول إلى تفكير للإنسان والقوى الموجهة للمجتمع، ويكون الإبداع موجهاً توجيهاً فكرياً للمؤثر العظيم، كما اهتز الشعر لقضية النفط التي أثرت في مجتمعنا فكانت من نعم الله التي أجزاها علينا في زمننا الحديث والمعاصر.

والعواد يبادر فيصير البترول مصدراً للفكر الإبداعي انطباعاً لتفاعله الاقتصادي والسياسي والاجتماعي:

الشعر ينبع من داخل الأعماق

ثم يتبلور شعوراً وأفكاراً

ثم «يسيل»، معاني والفاظاً وصوراً



وهناك ما يتصيده الوجدان الواعي من خارج

الأعماق

ثم يعيده شعوراً متبلوراً، وأفكاراً متبلورة

ثم يسيل معاني والفاظاً وصوراً



(١) سعاد الصباح، إليك يا ولدي ٥٦

من خارج الأعماق.. من أشياء مادية ليست من

الشاعر.. من مناظر الطبيعة المتهادية بين

الوديان، والجمال والسماء، والمياه والأشجار،

والحيوان.. من الطبيعة المخبوءة وراء المناظر

الطاهرة...

من طبقات الأرض

من أغوار البحار

من أجواف الجبال الصم

من كل هذه، ومما إليها من آثار الكون البديع من

خلق الله ومن خلق الإنسان

هكذا يفعل الشعر

◆ ◆ ◆

والبتروال المتدفق في أنابيبه..

النابع من حقوله، وآباره المتناثرة في بلادنا الحية

المناهضة

إنه واحد من تلك الأشياء المادية، التي ينبثق

منها الشعر خارج الأعماق وخارج الكيان...

هو واحد من تلك المناظر الطبيعية المتهادية بين

عوالم الأرض..

هو الجامد الذي سال بفعل العلم..

هو الجماد الذي استخدمه الإنسان، فسير

الحيوان

هو الذهب الأسود اللاعب دوره الكبير في

إنعاش الروح الاقتصادي المنتشر..

هو الحرارة التي تنفضها الكهرياء تياراً يسرى في

الأنابيب فيبث الحياة الطواعة في مرافق

الحرب النفطية قامت بين المنتجين والمستوردين، لكن الحرب الأشد ضراوة هي التي وقعت بين المنتجين أنفسهم الذين أخذوا يتنافسوا في كثرة الإنتاج بل يعتمد بعضهم أن يضرب الآخر، ويلحق به الأضرار، ولم يستجب أحد للنداءات التي تدعو إلى تقسيم الحصص حتى يجدوا من الفيض الذي غمر الأسواق فكان الإنتاج أكثر من الطلب، فالشاعر العتيبة يوجه رسالة مفتوحة إلى وزراء الأوبك في عام ١٩٨٢م، لعلهم يستجيبون لنداء العقل الذي يلبي نداء الوطن، ويصون ثروة الأمة:

من «الأوبك»، ومستموم
وما في الأمر مكتوم
وسعر الخام مستقوم
وجو السوق ملغوم
إن الحل معلوم
وق من مخزونها صوموا
فإن الفيض مذموم
لرب الإنتاج مقسوم
كم إختوت قوموا
فخضض السعر محتوم
لدى الوزراء مستموم
ضيد والإيثار معدوم
وفي التوزيع مظلوم
وقلنا أنت مالزوم
والاحقادنا الشوموم
وقال: الأمر محسوموم
واني فيه محكوموم
وهاج العُسر والروم

أنا والله مستموموم
تمر بأزمة كبرى
فسوق النفط راكدة
تنادينا إلى لندن،
وقلنا أيها الأمراء
إذا شئتم شفاء الس
ضعوا سقف الإنتاج
خذوا حصصاً من المط
وحتى لا يضيع السوق من
بإعلان تخفيض
وما قلناه معروف
ولكن يصعب التن
فإن الكل مسكين
رجسونا كلنا «ديكو»^(٢)
برفع السعر دولاراً
فلم يقبل توسلنا
حكومتنا رات هذا
فقلنا نصف دولار

(١) العواد، الديوان ٢: ٢٩٦ .

(٢) وزير النفط النيجيري

ولم يقبل وقبل: كفضيحة

على أسرارنا عوموا

فإن لم تم تشددنا

فليس يهـمنا، لوموا

تظن اللوم يقنمها؟

صديقي أنت موهوم

تبأحـثنا، تناقـشنا

إلى أن جف بلعوم

فإن ضاقت تشاءمنا

ونعق فوقنا البيوم

وإن فرجت تشاءلنا

وقلنا: الحل مجزوم

وكم من لجنة قامت

وجو الخلف محموم

ولكن الدواء سـدي

إذا ما ساد جرثوم

وسـمر النفط منحدر

على التخفيض مرغوم

فهيا نبـحث الكوتـا،

وهذا البـحث مرجوم

فخبـر الشر أهونه

وبعض الخير مزعوم

مضى أسبوعنا الثاني

وقلب الكل مكلوم

تنادينا لتضحية

بها المجهود ملموم

وحتـمـاً إن تنازعنا

فإن الكل مهـزوم

وسـمر النفط منحدر

لأن السقف مخروم^(١)

فالإبداع طرح فكرياً فاعلاً حياً لمعالجة قضايا عالمية، لها أساسها بالفكر الوطني، وبالحياة الحضرية عامة. تلك الحضرية عامة، تلك التي جعلت هذا الشاعر يئن تحت وطأة الغبن العالمي الذي تتعرض له أوطاننا التي منحها الله الذهب الأسود.

ويستفحل أمر تسويق النفط العالمي ما يعد عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م فتتوحد الدول الصناعية الكبرى وقررت خطة طويلة المدى متعددة الجوانب، حاولت من خلالها تقليل الاعتماد على النفط، ثم حاولت الحد من استهلاكه بأن وضعت ضريبة داخلية ترفع من سعره حتى يكون المستهلك على وجلٍّ ومحاسبة، وهذه الضريبة أكثر من قيمة (برميل) النفط الإنتاجية والتسويقية، مما رفع قيمة النفط عالمياً وعملت الدولة على تخفيضه من الطرف المنتج، فجعلت الأرباح قليلة، وأما الدول المنتجة، فهي في خلاف دائم، وخاضعة لهيمنة الدول الصناعية، مما جعلهم على فرقة من أمرهم، فنزلت أسعار النفط وهي قضية عالمية ما زالت قائمة يقول عنها الشاعر الإماراتي الدكتور/ مانع سعيد العتيبة:

(١) خواطر وذكريات ٩٧

كلماتنا رغم الصراخ عقيمه
والسوق بالنفط الرخيص سقيمه
لا تنتهي بالمدح أو بشتيمه
غضب تلظى والوجوه كظيمه
للمشترين الطامعين وليمه
لما نشأ في سوقهم تكريمه
وخطيئة المتغافلين جسيمه
كانت أيادي الزارعين غشيمه؟
هذا البلاء بهمة وعزيمه
تخفيض إنتاج ولا تنظيمه^(١)

والله ما أقول يخفف محنة
والمحنة الكبرى التي تجتاحنا
ماذا أقول وفي صميم قلوبنا
ماذا أقول ونفط أوبك قد غدا
ما استرخصوه وإنما نحن الأثني
فيض تغفلنا عن استمراره
اليوم نحصد زرع أيدينا فهل
كلا وأقسم إننا سرنا إلى
المنتجون جميعهم لم يقبلوا

تعددت الدول المنتجة المنتجة للنفط في العالم والتفت بعضها في منظمات مثل الأوبك التي ضمت دولاً عربية وأفريقية، ومن أمريكا الجنوبية ومنظمة أوبك وهي تضم جل الدول العربية المنتجة للنفط.

وهناك دول صناعية كبرى لم تدخل في المنظمات مثل روسيا، وبريطانيا، وهي من الدول المستفيدة من تخفيض الإنتاج، والاجماع حول كمية الإنتاج، وقيمة الأسعار مفقودة بل يكون التنافس في كثرة الإنتاج مما جعل هذه المادة ترخص أسعارها وتقل فائدة المنتج، ومع كثرة الاجتماعات لوزراء النفط، إلا أن الخلاف هو المهيمن، ويتألم الدكتور مانع العتيبة من واقع هذه المنظمات ومن الدول التي لم تنتظم داخل المنظمات، ويصرخ في نداء حار لعلمهم يحافظون على الثروة الوطنية ويستشرونها حتى لا تذهب هدراً فهي ملك الأجيال القادمة:

حاذر طريقاً اتقنوا تلغيمه
جدواه في رفع البلاء عديمه
ونريد فيما بيننا تقسيمه
كان الأشد صلابة وشكيمه
بمراكب مثقوية وقديمه
وثبات قلبٍ أعلن تصميمه

من كان خارج أوبك قلنا له:
تخفيض سعر النفط إهدار له
والحل تضحية بإنتاج طفئ
لكن صوت العقل ضاع وحمقنا
ومعارك الأسعار خضنا بحرنا
قلنا بملء فم ولهجة واثق

مع أن عاقبة الحروب وخيمه
أسعارهم وغدا التهور شيمه
والنصر في هذا المجال هزيمه
في قلب أرضي بالأمان مقيمه
في هذه الحرب الضروس جريمه
في ظل حرب بالخراب عميمه
أم صار قول العاقلين تميمه؟
أتريد بعمد بنائه تهديمه
لم يستطع أهل النهى تلجيمه
أن تستطيع بحده تدعيمه
أسياف غيرك واجتنب تثليمه
بسيوف نفض المنتجين حميمه
خيل وليل والجراح اليمه
فالنقط بحر والنفوس كريمه
جودا لحاتم كي يفيظ غريمه
فبلاده بالمشترين رحيمه
تأتي قرارات الدفاع سليمه
للنهب أم لا نرتضي تسليمه؟^(١)

إنا لهذي الحرب جند كلنا
وشعارنا التخفيض إن هم خفضوا
لن ننثني حتى نحقق نصرنا
وهل انتصاري أن أبدد ثروة
هي ملك أجيال وإن ضياعها
ماذا أقول وهل لصوتي سامع
أقول لا، عودوا لحكمة عاقل
يا من بنى بيتاً لأوبك شامخاً
أشجاعة أم تلك ثوثة أحرق
أتحيل نفضك سيف حرب أملا
كلا... حسام النفط لا تضرب به
شهران مرا والمعارك لم تزل
والسوق صارت للوغى ميدانها
هذا يبيع بأي سعر نفضه
وبصر ذاك بأن يفوق بجوده
وتفيض بالنفط المخفض سوقه
ماذا نريد؟ هو السؤال ويعده
ماذا نريد؟ وهل نسلم نفضنا

الشاعر الإماراتي مانع العتيبة، يحكي مراحل الفكر المالي الذي يتحكم به تداول النفط العالمي ويكشف عن المسارات الفكرية التي تتقاذف هذه الثروة الوطنية، ومنها:

١- إن الخلاف بين الدولة المصدرة لهذه المادة المالية يمثل العقبة الأولى، والخلاف له براهنه عند كل مندوب دولة، ولكن هذه البراهين لم تقنع الشعوب ولا المفكرين وإنما هي خضوع لأسباب داخلية وخارجية، وانحراف في التفكير.

فعيون «أوبك» تشهد الأهوال
والخوف بين رفاقنا ما زالا
إلا إذا حسم القرار، جدالا

أن الأوان لنشرح الأجوال
سيف الخلاف على الرقاب مسلط
وأظن أن جدالنا لن ينتهي

(١) الرسالة الأخيرة ٢٨

٢- إن هيمنة الدول الصناعية، وتخطيطها لبث الرعب والخلاف، والإرهاب الإعلامي، زرع الاضطراب الفكري عند رجال السياسة التي تهيمن على اتخاذ القرار، فالشاعر يخاطب أولئك ويعلن في صراحة أن تلك الثروة مال الشعوب فلا يحق العبث بها، وإنما تصان وتحاط بالبرعية والحفظ بل يعمل المسؤول عنها على نمائها وازديادها:

هو ملك أجيال وما في وسعكم	أن تخدموا ببساطة أجيالا
قوت الشعوب محرم تبديده	فمن الذي جعل الحرام حلالا
السوق؟ كلا إنها العوبة	بيد الكبار وترفض استقلالا
ويد المطامع أنهكت أسواقنا	جرت عليها نعمة ووبالا
اليوم تحتاج الحقيقة فارساً	لا نافخاً في البوق أو طبالا
ليقول: إن النفط صار ضحية	لتأمري يسمى له الإذلالا؟

والأعداء يرون أستنزاف هذه الثروة، والاحتفاظ بالمخزون النفطي عندهم، حتى تنضب هذه الثروة، وتكون البلاد صحاري قاحلة لتعود إلى حياتها القاحلة الأولى فلا موارد ولا مصادر للخير، فتعود الحياة البدوية والريفية وتكون القصور والعمائر الفخمة أطلالاً، ويرتحلون الحمير والإبل بعد أن ارتحلوا الطائرات والأفلاك البحرية:

لما رأى المتأمرون سلاحه	بيد الشعوب بعزة يتلالا
يبني لها الأوطان يزرع بيدها	بالخير حتى لا تظل رمالا
ويشيد أمجاداً لها وحضارة	خيراتها بمحبة تتوالى
قالوا: سنحرمها غدا من نفلها	ونحيل كل بنائها أطلالا
ويعود للمصحراء بدورحل	القوا عليها الحل والترحالا
وئشربوا من بعد ذلك نفلهم	ويحولوا سفن الفضاء جمالا
فالبدو للمصحراء لا لحضارة	عن قدرهم ومقامهم تتعالى
وهل الحضارة أن تزيّف صورة	لحقيقة الأشياء أو تختالا
إني أنا البدوي ثوبي ناصع	ما عشت دجالاً ولا محتالا
إن أنكر المتحضرون عباةتي	فأنا لها لا أقبل استبدالا
وليعلموا ان الحضارة لم تقم	في أرضهم لو نفلنا ما سالا
فعلام يجحد فضلنا إعلامهم	ونظل نمدح فيهم الأفضالا

وهو يعرج إلى قضية حضارية فكرية، فالغرب يسخر من العرب ويرى أنهم رعاة أغنام، وبادية لا يستحقون حضارة ولا ثراء، بل لا قدرة لهم على قيام النهضة الفكرية والصناعية، وهو يرد هذا الفكر إلى الفكر النازي الذي رفع لواءه هتلر الألماني، فهم وإن تقدمت حضارتهم المادية فما زالوا يبرزحون تحت همجية هذا الفكر النازي فهل أدرك العرب حقيقة الأمر وأدركوا أن اندحار النازية لم يكن إلا بالفداء والقوة المعالي ثمنها غالي:

إن الرقي رقي فكري والذلي	لا يرتقي بالفكر ساء مآلا
يا من يراني دون قدر رقيه	ويريدني متسولاً جوالا
إني لا شهد فيك عودة نزعة	نازية وأراك زدت ضلالا
ما أنت من نور خلقت فكلنا	طين أينكر كبرك الصلصالا
حتام تنظر لي بعين تكبر	وأنا أريك الحب والإجلالا
إن الحضارة عنك جمد بعيدة	وإذا أردت جوارها فتعالا

فالعرب هم مصادر الفكر العنصري الذي قوض الدول الشرقية والإفريقية والعربية، فهم الذين أوجدوا الفوارق بين شعوب الأرض، وزرعوا الخلاف، ولم يبالوا بفقر الشعوب:

مهما فعلت فإن تسيء لأوبك	فسموم حقدك أفرزت أمصالا
ما عاد يخدع بالدعاية عاقل	ويد الحقيقه تصفع الدجالا
وسجل أوبك ليس فيه مواقف	ضد الشعوب تخيب الآمالا
لم تتخذ ضد الشمال ولم تكن	يوما جنوباً لا يحب شمالا
مع أننا كنا الضحايا عندما	كان الشمال يسيء الاستغلالا
شركاته ما سجلت لشعوبنا	فضلاً ولم تحفظ لها أموالا

وهو يكشف عن مكونات المشكلة ويحدد معالمها، ومن ثم تتضح حلولها، فالفائض الذي يزيد على طلب الأسواق العالمية مصدره الدول المنتجة فإذا خفضت إنتاجها فإن الأسعار سترتفع:

وبات سوق النفط تشكو فائضاً	ما زال رغم الخفض يشغل بالاً
وبأن هذا الفسيض أصبح عندنا	ورما خبيثاً يطلب استئصالا
وبأن أسعار النفط ترنحت	تحت الضغوط كحامل أثقالا
وبأن بيع النفط أصبح متعباً	وعليه بأبعه غدا دلالا
لكنني مع كل ذلك مؤمن	أن العلاج اليوم ليس محالاً

ولن يكون إلا بتجاوز الفكر الخاطئ الذي ولد رغبة الغرب المستفيد وليكون ذلك بأعمال قوية لها تأثيرها السريع لكن لها فوائدها المستقبلية الجمّة، التي ترفع من شأن ثروة الأمة.

مُستسلم مال الزمان فما لا
يحتاج من أصحابه إنزالاً
لنكون في وجه الصعاب رجالاً
نسمع بخصم يفسد الأحوال
حتى تقدم للشعوب مثالا
حتى يكون دفاعنا فعلاً
بصمودنا سنقاوم الزلزالاً
أفعالهم لا تنقض الأقوالاً^(١)

تخفيض سعر النفط خطوة عاجز
وليشهد التخفيف سقف لم يزل
ونجعل الأيدي جميعاً تلتقي
وليلتزم كل بحمصته ولا
ولنتخذ في وجه أشرس هجمة
لنشدد أحزمة البطون لفترة
سيمر هذا الصيف صعباً إنما
إن النجاح حليف من قد أصبحت

المال زينة الحياة الدنيا، وأمل الإنسان، وكبرى غاياته، وهو منحة الحياة والمال المحرك الرئيس للنفس الأمارة بالسوء أو هو ثاني اثنين الهوى الحسى والمال، وقد انداحت البشرية في مسارب المال قامت الحروب الاجتماعية والدولية يوحى من المال، فالمال فتنة الإنسان إلا من رحم ربي من الرسل والأنبياء والصالحين والزاهدين، وثلة من الحكماء والعقلاء والشعراء أدركوا فاعلية المال والصراع حوله، تبرموا منه كثيراً، والشاعر العُماني عبدالله بن علي الخليلي يورد قصة الثلاثة الذين وجدوا كنزاً فمكر بعضهم لبعض فماتوا وبقي المال وتلك حالة الكثير من البشر والقصة تزرع فكرة الزهد التي تمثل العلاج العالمي للتهاكك على المال، وقد بذرت هذه الفكرة الأديان السماوية فهي توجيه رباني:

من مال نبت به الأرض دارا
ض عضة بين الأنام حيارى
ويعيون الصيف صوماً ونارا
جمع جاءوا فأبصروه نضارا
رب ميل أولى النفوس دمارا
هكذا الحظ قسمة لا تجارى
كل واثنان يبقيان حصارا
فسم الطعام ظلما وعارا
لصنويه باسم ما مكارا
ما أتى ثم أوسعاه ابتدارا
أكلاه أو لافيا الحتف جارا
بقي المال للفتون سوارا
عليهم لكي يكونوا اعتابارا
ان لكن رأى النفسوس بوارا
فهم في يد المنون أسارى
وستضى ما عشت ديرا ودارا
ت كما كنت قبل فيها حجارا

بقي المال في العراء ينادي
أفلا بائسون في هذه الأر
يقتصون الشتاء برداً وجوعاً
فإذا بائسون كانوا أقل ال
فاستمالتهم النفوس إليه
ثم قـالوا ثلاثة وثلاث
يمض للسوق واحد لطعام ال
فمضى غير أنه أضمر السوء
وأنى بعد أكله يحمل الزاد
إذا هما أضمرتا له البشر خنقاً
واستراحا إلى الطعام فما إن
ذهب الكل للجحيم ولكن
خمسة كلهم قضت بعض ساعات
ثم عاد المسيح في ذلك الأب
خمسة كلهم تضافوا على المال
قال عيسى يا تبرافنيت خلقتنا
فلتعد في اديم ذي الأرض ما دم

ك إن الدنيا روى تتوارى
 أنت في أفقها إلى أن توارى
 إلى الله ساجداً لا يجارى
 تبلىك الدنيا فتقضي خساراً
 ليسته التقوى عليها إطاراً^(١)

وأتق الله يا ابن آدم في نفس
 ولبعض الرؤى التي قد تراها
 فكن الحازم الذي يمتطي المال
 وابتل النفس بالعبادة إلا
 والبس المسك خاتماً من سلام

خامساً: التطور والتعليم

- تمهيد
- التعليم

التطور والتعليم،

التطور الإنساني مبدأ يفجره الفلاسفة والمفكرون، ويدعون إلى مثالية فكرية وعمرانية، وكلما حدث بناء دولة ينادي أفرادها ومجتمعها للتطور، بل يحدث التطور بتفاعل مجتمعات يعضد بعضها بعضاً مثلما حدث في أوروبا في عصر التنوير، والمفكرون والأدباء هم الداعون إلى كشف آفاق المستقبل، وهم الذين يستنبطون فكره ومن هنا تبلور التطور في الإبداع الفني والأدبي.

«أما من ناحية المضمون الفكري فقد كان التطور موضوعاً أساسياً لأعمال فنية كثيرة منذ فجر الأدب الإنساني، ولكن كانت معالجة الأدباء لهذا المضمون تتميز بالعضوية والتلقائية بحكم الطبيعة المتطورة التي جبل عليها العمل الأدبي، وبحكم الصراع الدرامي المتفاعل داخله، أما التطور كفلسفة متبلورة تركت بصماتها واضحة على أعمال الأدباء الذين جسدها، فلم يظهر بأسلوب محدد إلا في القرن التاسع عشر عندما نادى أتباع مذهب التطور بمبدأ الصيرورة والتحول الذي يضع قانوناً عاماً تنمو الكائنات يتلخص في تنوع وتكامل مستمرين. كذلك فإن النمو المتدرج يؤدي إلى تحولات منظمة ومتلاحقة تمر بمراحل مختلفة يؤذن سابقها بالحقها، كتطور الأفكار والأخلاق والعادات والتطور -على النقيض من التقدم- لا يكون مسبقاً بتخطيط ولا مستهدفاً لغاية ولكنه -بصفة عامة- انتقال من المختلف إلى المؤتلف، ومن غير التجانس إلى التجانس، ومن اللامحدود إلى المحدود أو بالعكس. ولا يتضمن التطور في ذاته فكرة التقدم أو التمهق. وإنما يعبر عن التحولات التي يخضع لها الكائن العضوي أو المجتمع سواء أكانت ملائمة أم غير ملائمة»^(١).

بعد أن توحدت البلاد، واستظلمت بظلال الأمن الشامل، واستقرار قرار المجتمع، فقد اتجه إلى النهوض، فبدأ بمحاربة الجهل، والدعوة إلى العلم والعمل.

وقد كانت الصحافة السعودية، أم القرى، وصوت الحجاز، والبلاد السعودية صحفاً رائدة فهي لسان المفكرين التي تنشر أعمالهم الأدبية والفكرية، ويتلقفها المجتمع متعاطفين مع المثقفين من أبناء المجتمع، فكانت المقالات والقصص، والشعر، تبث روح الحياة في المجتمع، وتصدح بالآراء الحكيمة مدوية، فكانت الدعوة إلى بناء العقول بالتربية المتطورة، وكانت الدعوة للبناء العمراني، وإلى تحديث الزراعة، وإلى قيام الصناعة، وبشير الفكر الإبداعي

(١) د. نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي ١١ : ٦١ -

إلى القضايا الاجتماعية، وإلى التعليم لسائر أفراد المجتمع بنين وبنات وما فتئت القصائد تسجل مراحل التطور التعليمي، ففي مستهل الأمر كان الشعراء يبتهجون بافتتاح المدارس مدارس الفلاح، والمعهد العلمي السعودي، ومدارس الأيتام، والمدارس الليلية ثم تطور الأمر إلى قيام الكليات في مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ وكليات الشريعة واللغة العربية في الرياض ثم قيام جامعة الملك سعود عام ١٣٧٩هـ، وقد صور الإبداع فرحة المجتمع ببناء كل جامعة بل جلّ صروح المعرفة حتى في المدن الصغيرة والنائية.

فديوان الشعر الخليجي حافل بمسيرة التعليم والتربية يدعون إليها فإذا ما تحققت يشيد بها الشعراء ثم يتمنون المزيد، فالشعراء كان لهم دورهم في إذكاء الحركة الفكرية والتعليم، وكانت أمنية الوعي والمعرفة تذكية التجارب الشعرية مثلهم مثل غيرهم من أبناء الأمم الذين يستشرفون أمانى الشعوب وتطلعاتهم «فقد كان العنصر التعليمي في الأدب مثاراً لجدل واسع بين المفكرين والأدباء والنقاد منذ العصر الإغريقي القديم، وهذا يرجع إلى طبيعة الأدب ذاته، ذلك أنه يحتوي على مضمون فكري يعبر عن نفسه من خلال اللغة التي يستخدمها الناس في حياتهم العادية، التي لا بد أن تقول شيئاً ذا معنى مفهوم لأكثر عدد ممكن من المثقفين، من هنا ركز البعض على العنصر التعليمي على أساس أن الأديب يستخدم اللغة ليقول شيئاً محدداً، ولا بد للناس أن يتعلموا شيئاً مما يقوله، فهو بدهاءة - يضع الصالح الإنساني العام في اعتباره كلما شرع في إبداع عمل جديد، وتراوح الجدل بين الرفض المطلق والقبول التام للعنصر التعليمي في الأدب»^(١).

«وإذا أردنا تتبع العنصر التعليمي في الفن بصفة عامة والأدب بصفة خاصة، نجد أنه يرجع إلى عصور مبكرة قبل أفلاطون عندما اعتقد الناس أن التعليم هو الوظيفة الأولى للشعر، وفي عصر أفلاطون نادى الإغريق بهذا الاتجاه الذي تبلور على أيديهم وأصبح قضية فكرية وفضية لا يمكن تجاهلها، بل إن هيزيود الشاعر الإغريقي ورائد الملحمة التعليمية نادى في القرن الثامن قبل الميلاد بأن قيمة الشعر تكمن في التعليمات والتسجيلات التي يحتويها، وذلك على النقيض من أرسطو الذي أوضح أن العقل الذي لا يرى سوى العنصر التعليمي في كل شيء يقابله عقل لم يبلغ مرحلة النضج بعد».

وكان الشعر قد احتل مكانة مرموقة ضمن وسائل التربية والتعليم عند الإغريق الذين اعتقدوا بأن الأطفال يعرفون الآلهة من خلاله، وأن الأبطال الذين يرد ذكرهم في الملاحم والأشعار جديرون بالحاكاة والتقليد، وأن كثيراً من الموضوعات والمعلومات حتى القيادة

العسكرية، استطاع هوميروس أن يعلمها للناس في ملاحمه، لكن أفلاطون هاجم هوميروس لأنه ادعى أن الآلهة يفتقرون إلى الأخلاق، وأنه ليس من اللائق أن يحاكي الناس أخيل في شكواه وعويله، وأنه لم يحدث قط أن نصب قائد عسكري لأنه تعلم القيادة من الشعر، ونظر لهذا، وبالإضافة إلى الإثارة العاطفية التي تشتت القدرة على الحكم الصحيح، فإن هوميروس قد تم نفيه من جمهورية أفلاطون^(١).

ويرفع العواد صرخة مدوية على مسامع الأمة العربية منادياً بالتقدم والتطور:

فتى الشرق لا تغرك في الشرق ضجة	فتفهم أن الشرق صار مصفدا
إلى المجد سابق إنما المجد آية	وفي الضجر غالب لا تحف وطأة العدا
وكن وطنياً صادق العزم ثائراً	هماماً إلى الغايات لا ترهب الردى
إلى المجد سباقاً إلى العزم ناهضاً	إلى المجد مقداماً عن الدم مبعدا
وكالليث زائراً كالنجم ساطعاً	وكالسحب سياراً وكالبحر مزبدا
اجب داعي الأوطان إن راح صارخاً	ينادي فتى الأوطان يسعى ليسعدا
فإما هبوط يترك الشرق بلقعا	وإما علو يترك الشرق مسعدا ^(٢)

إن المتتورين من المجتمع هم أولئك الذين تلاقحت أفكارهم بالعلم والإيمان والعلم المدني الحضاري، فتكشف لهم التخلف الاجتماعي الشامل، فكان لهم ما أرادوا، وأدركنا أنهم مشاعل نور يحدون بإبداعهم لمجتمعهم الساري في غياهب التحدي والظلام.

هتف القلم
فشجا الأمم

ودعا بني العرب الكرام إلى الصعود
نحو الحقيقة غير أنهم رقود
ذهبت سدى صرخات قلبك يا يراع!
عشنا سدى
طول المدى

أفلا زحام على الحياة ولا اقتحام
حتى متى قواد فكرتنا نيام؟

(١) د. نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي ١ : ٦٧
(٢) محمد سرور الصبان، أدب الحجاز ٣٥



هبوا معاً نعتي بفوضى الاجتماع

حكمانا ١١

خطباءنا ١١

كتابنا شعراءنا المتيقظين

لا تهملوا مرضاً ألم بنا سنين

داووا الحياة وبرروا علل الرعا

سلو اليراع!

ودعوا النزاع

وابغوا العراك فلا حياة بلا عراك

واتمطروا همما تحن إلى الحراك

وإلى الحياة، وغادروا سقط المتاع

ليس المديح

يشفي الجريح

ويحلل الأوصاف من ألم الخمول

ما إن يرام المجد في أدب يزول

المجد رفع الروح عن نوم التلاع

وخذوا الزمام

وإلى الأمام

فهنا على لجج المزاعم زحمة

تقف النفوس بها وماهي نعمة

أبدأ وأن الوهم يجتذع الضياع^(١)

والدعوة الفكرية للمجتمع الإسلامي والعربي كانت مبدأ كل مفكر وكل مبدع فإلهم الإسلامي هو النهوض ولا وسيلة له أقوى من إبداع الفكر الأدبي فالإثارة الفكرية وزلزلة الجمود مرحلة أولى تدعو إلى التأمل، والعواد يدعو أولئك الذين تعلموا في مستهل النهضة إلى الجهاد بالقلم ومن ثم الوعي كيما بينوا أمة ووطناً:

(١) العواد، النديوان الجزء الأول ٥١

إذا كنت أصدق مبدأ، فدع الزفير إلى الصرير
ودع مغازلة الحسان ونسقُ الأدب المشير
واسمع من الوائين الأئنين
آه لتأثير الأئنين!

العقل فوق الحس، إنك قلت ذاك فأين ذاك؟
دعني، وقم بالواجب الوطني وابتدر العراك
أرسل خواطرك الصريحة واخرق حجب السكوت
وادع البلاد إلى الحياة فهل يروك أن تموت؟
وأهب بها أن لا تهون
رياه كم لبثت تهون

واللهما خلق اليراع لأن يعيش محيرا
لابد للركان يوماً أن يرى متفجرا
نم لا تثور؟ وإنما خلق الشباب لأن يثور
خلق الشباب بطبعه يأبى مسaire الدثور
ويكر مندقق المعين
ولظى الحياة هو المعين

فطفقت أرتبط الخواطر بالتأمل والكتابة
وأهبت بالقلم العنيد أسيل معتسفاً لعابه
ورسمت للوطن العزيز نماذجاً من صورته
شوهاء عباسية المحيا كي يحس بشقوته
هذا جنون الناقدين
أف لعيش الناقدين

وطني! أجهل، أم غيباء، أم سبات ما عراك؟
تجري الحوادث في رباك وأنت كالجسد الطريح
ويقودك المتأخرون وكالمكتم لا تصيح
إركن إلى المتنورين

فالخير في المنورين

أمم تسيير إلى الأمام بقوة ونصراً!
أفسرت أنت إلى الأمام بهمة المتدبر؟
أم لذهي عينيك طعم النوم فاخترت المنام؟
قم، وانتفض الأحلام، إن الليل آذن بانصرام
وأتى صباح الناهضين
ليهز عزم الناهضين
ودع حياة السادرين فإنها فصمت عراك!
واستقبل العهد الجديد فإنه يعلى ذراك
عهد الحقائق والتأزر بعد تفسير صحيح
عهداً تحوك خيوطه حرية الفكر الصريح
يعنونه المتعنتون
وهشيمه المتعنتون
حطم قيوداً طالما فيها رسفت مكبلاً
واخلع رداء قد تقادم، فاستحال إلى البلى
كن مصفياً للمصلحين ولا تقل ما المصلحون!
فإلى متى يودي بك المتنطمعون العابثون
بغرورهم متسرعين؟
والخسر للمتسرعين
ظلموك يا وطني إذن، وبرغم ضعفك أرهقوك
ورموك بالموت الزؤام، وحاولوا أن يدفنوك^(١)

وفي مستهل النهضة تحول مضمون الشعر الحماسي من الحرب إلى النهوض والتقدم،
والتحلل من الجهل والجمود وإلى طلب العلم والنهوض فالذي يدرس شعر أولئك يدرك هذه
النزعة الحماسية التي تدعو المجتمع إلى الرقي والتطور، وتزرع في الفتية الإقدام والعمل
وحب العلم يقول العواد وقصيدة قبل توحيد البلاد:

(١) العواد، الديوان ١: ٢٧ حتى ٢٩

صاح حي الرقى، حي السلام
 حي داعي الوئام، حي الوئام
 حي عصر النهوض، حي التوعالي
 حي بالمجد أمة تتسامى
 ألف اهلاً بصباح تتغنى
 في نواحي البلاد يبغى التشام
 يا «بريد الحجاجان» إن قلوباً
 ظلمات ترى الجمود حراماً
 يا «بريد الحجاجان» بل غليلاً
 ق يراها، واربأ بها أن تضاماً
 يا «بريد الحجاجان» أفواه قوم
 ملجومات فحل عنها اللجاماً^(١)

وانطلقت الحركة الأدبية في الكويت في منتصف القرن الرابع عشر حين تجسد أثر التعليم في البلاد إثر اهتمام أمراء الكويت بالأمن والاستقرار فأخذ رجال الكويت يبنون منابع العلم من المدارس ومنتديات خاصة الأدباء منهم.

والجيل الأول للشعراء كانوا من رجال العلم الذين كونوا ذهنيتهم تكويناً دينياً شرعياً فالتحقوا بالتعليم الشرعي والوظائف الشرعية، والتدريس النظامي المحدود، والتعليم الذاتي وهؤلاء صقلوا فكرهم حين اخذوا يطوفون بالبلاد العربية والإسلامية، فهم ينتقلون إلى الأحساء والبصرة، ويسافرون إلى الهند، ويلتحقون بأمراء الخليج في الدولة السعودية، وإمارة البحرين وعمان، ودبي، ويقبسون من الفكر المتطور في مصر والشام والعراق، ومن هنا أضحت هاجسهم النهوض ببلادهم، عن طريق نشر المعرفة، وتعليم المجتمع، والنهوض بالحياة الفكرية والإدارية، ومن أشهر هؤلاء عبدالجليل الطبطبائي ١١٩٠هـ / ١٢٧٠هـ والشيخ خالد بن عبدالله العدساني (١٢٥٠ - ١٣٠٦هـ) وله قصيدة نادرة في الجراد ويسمى في الجزيرة (الدبي) وله جولات يتكاثر فيها فيهلك الحرث ويضر الزرع، ويؤذي البشر وهو أرخ له في عام ١٣٠٧هـ ونحن نذكر ما يسمى (بسنة الدبي) عام ١٣٧٢هـ وصفها لنا الأدباء

(١) العواد، الديوان الجزء الأول نحو كيان جديد، ص ٤١

كأنه لم يكن فيها وما عرفها
 شيء فما ملّ من شيء ولا وقفها
 وقد كسا الأرض ثوبا منه مختلفا
 ولا جدارا ولا سقفا ولا غرفا
 ومن اذاه وما ظنوه منصرفا^(١)

وصير الأرض لا نبات بها
 قد جاء كالسيل يعدو ليس يمنعه
 حتى أتانا فعمتنا بليتته
 فلم نر طرقا إلا وقد ملئت
 واشتد أمر الورى من عظم كثرتة

ومنهم عبدالله الخلف (١٢٩٢ - ١٣٤٩هـ) وهو من الذين توافد طلبه العلم على داره صباحاً ومساءً، ومن أشهرهم عبدالعزيز الرشيد (١٣٠١ - ١٣٥٨هـ) فهو (علم من أعلام النهضة الفكرية المعاصرة في الكويت ولست مبالغاً في شيء إن قلت إنه علم من أعلام النهضة العربية المعاصرة أيضاً^(٢)) وقد تعاون مع الملك عبدالعزيز في أندونيسيا وكان له أعماله الخيرية والتعليمية، وهو يستهزئ الأمة الإسلامية، والشاعر أحمد خالد المشاري (١٣٠٤ - ١٣٦١هـ) يعالج قضية الجهل الجاثمة على الأمة في الكويت والخليج والأمة العربية ويعرج على السلوكيات والأخلاق، ويدعوهم إلى الالتزام بالقيم السامية، ويستهزئ عزيزتهم إلى العمل النافع:

فشمرو ولا تكسل عن النصح والزجر
 وايقظ نياماً خادرين من السكر
 إذا ما ثوي بين الضمائر والصدر
 فما دابهم غير الغواية والختر
 كأن لم يعوا ما في الكتاب من الأمر
 واسكرهم مس الرضاب من الثغر
 وزجهمو في منهج البغي والخسر
 مكاسب جاءت بالخيانة والفدر
 وغدر ضعيف الجأوه إلى العسر
 وليس غبي في العلا مثل من يدري
 لخير وعاء أودعت غائي الدر

فتى العلم هذا موطن الكسب والأجر
 ودور كلوم الجهل في بلسم الجحا
 فتى العلم هل للعلم ثم مزية
 ودع عنك أقوام بها ضل سعيهم
 وترديد أقوال السفاهة جهرة
 كذلك أقوام بها تاه رشدهم
 فأتساهم ما قد وعوه من الهدى
 ودع عنك أقواماً بها جل قصدهم
 كنوز حووها من رياء وخلصه
 فتى العلم دعهم فالعبارة شأنهم
 وعرج بنا نحو الشبيبة أنها

(١) خالد سعود الزيد أدباء الكويت، ١: ٦٠ .

(٢) المرجع السابق، ١: ٩٧ .

فالشعراء الأوائل في الكويت دعاء علم وعمل، ونهضة وتطور، يحملون فكراً يعلو به شأن الوطن، ويشعل الحماسة في بناء الأمة كيما يحثوا المسير ويتجاوزوا التخلف والجمود.

ينبض الشاعر المشاري بحرقه الأثم الوطني، ويئن تحت وطأة المرض الاجتماعي في بلده الكويت، وكأنه الأسي الذي يشخص الأمراض، ليسهل معالجة الداء، فهو يستوحي الفكر النير من الكتاب والسنة، وهو يضارع أبناء المجتمع العربي من المفكرين والمبدعين الذين يرفعون أصواتهم مدوية للنهوض بالمجتمع، وهي حركة فكرية في مطلع النهضة لا يستهان بها

في مسيرة الحياة الأدبية خاطب بها الأدباء مجتمعاتهم، وقدحوا وهج التطلع في ولاتهم:

في حندس من ظلام الجهل غاشيها
تضت فيعضد منها وترديها
إلى شجار على ما ليس يعنيهها
تحت المكاره والويلات تضميها
تزداد يوماً إذا ما هب داعيها
بل نضت من لهيب الحزن أرميها
إلى الأمير أبي النفس اثنيها
إليك أرسل آمالا وأزجيها
وكل محمداً في الفضل حاويها
وغفلة عن نفوس أنت واليها
أنت الطبيب لها والعلم يشفيها

لهفي عليها نفوس في الكويت ثوت
فيها قد انتشرت أوبأؤه وغدت
فمن رياء إلى خلف إلى حسد
إلى خمبول إلى جبن إلى خلد
فيا نفوسنا بمهد الذل قد رقدت
لا تحسبوا القول للتشهير انظمه
منكم يئست ولما ضاع لي أمل
فيا أميراً له في الفضل سابقة
يا احمد من سما في كل مكرمة
حاشا لمثلك أن يركن^(٢) إلى دعة
هذي رعاياك من جهل بها مرض

وهو يدعو أمير الكويت إلى قيادة مجتمعه إلى التطور والنهوض، وأن يعبر بهم محطات الجهل والظلام إلى النور والتطوير، ويسلك سبل العلم والمعرفة ويعرض عن المنهزمين المشبطين الذين يعيشون في الظلام والانزواء.

ولا سراة لها للرشد تهديها
وللتخاذل داء قد فشا فيها
فلضت بانعطاف منك تحييها

هذي رعاياك فوضى في مقاصدها
هذي رعاياك فوضى لا اجتماع لها
فاجمع لها شعناً وانهض بها أمما

(١) خالد بن سعود الزيد، أدباء الكويت، ١: ١٠٢.

(٢) حق يركن النصب بأن ولعل الشاعر سكنها لضرورة الوزن ولو قال (ياوي) اللعن



وأنت مأمنها إذا أنت حاميتها
وارحم طفولتها إذ أنت راعيها
نقح معاهدها واسمع شكاويها
واخذل بها فتنة باقت مساويها
فاعطف بفضلك، ابلغها أمانيتها^(١)

هذي الشبيبة شبح الجهل يفزعها
هذب مداركها عضد مدارسها
أكثر معارفها أبعث مشاغبها
عضد دعاة غدت للمرشد طالبة
هذا رجاها بكف من تضرعها

فالشعراء يحملون همَّ الأمة وأمانيتهم، ويقدمون شعلة الأمل،، والتطلع، ويكشفون عن واقع مظلم ويدفعون إلى مستقبل مزهر.

والشعراء يدعون ولاة الأمر إلى بناء الصروح العلمية، وتعليم أبناء المجتمع يستوي في ذلك البنين والبنات فالشاعر سيد مساعد الرفاعي (١٨٨٣ - ١٩٣٦م) ينادي بتعليم الفتاة مبكراً يقول:

وأول ما أجود به انتحاري
ودامت شمس سعدك بازدهار
ليشرب حب مصلحة الديار
اكفكف للمداع في إزاري
ومما في الدار من العلم دار
ولكن للجهالة والبواري
ومما للجاهلين سوى الخسار
يحث القوم في طلب الفسخار
ومما في الجهل غير الاحتقار
والا للمذلة والصفار
وقد قلت لصحيح ولم تمار
ومما أخلاق ريات الخمار
بنقش الكف مع لبس السوار
وصف الشعور أو سحب الأزار
ولا يحسن تربية الصغار

ولا شيء يعزز عليك مني
فقلت لا عدمتك يا ابن ديني
فخذ هذا اليتيم لدار علم
ظللت نقولها حيران ساه
وقلت العلم مفقود لدينا
كان القوم ما خلقوا لعلم
لقد خسروا حياتهم وضلوا
أما في القوم من شهيم لبيب
إلام القوم في غي وجهل
فإن أنتم تكافلتم نصرتهم
فقلت قد صدقت رأي صدق
ولكن ما حياة بنات جنسي
فقلت لها معارفهن أضحت
وترجيح الحواجب واكتحال
ولا يظعن تدييرا لببيت

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ١٠٨

هذي تلامذة تلتقت فيك معسول المعارف
وتقدمت بالعزم متقدماً، وذو شيم الغطارف
لله مدرسة النجاح تبث من وطنية
في همسة فضلي تحقق خير ما أمنية

فالعواد عاش المرحلة الأولى للنهضة في الجزيرة، وكان التطور أمنية فردية واجتماعية
تسعى إليها الدولة، ويسعى إليها المجتمع، ويستجيب الأفراد، فالنهضة هاجس الجميع
والإبداع يشعل هذه الحماسة، ويدعو إلى العزيمة، ويستنهض الهمم، فلا تقدم بلا علم، ولا
علم بلا عمل، وهما سبيل التقدم والرقي:

هذا مجال الأملين أمام أحمال النهار
فتذوقوا فيك العلوم، تباركت هي من تمار
فليحي شبان بها، وضعوا لرفعته الأساس
وجنوا كما غرسوا قبورك من جنى أو من غراس
هذا هو العمل المبارك، ذا هو العمل المجيد
هذا الفخار لطالبيه، وذا هو الأمل الوطيد



يا أيها الرءون شدوا أزره، قووا خطاه
إن انتموا عضدتموه فتلك مفخرة البناء
العلم ينديكم إليه وأنتم ورواده
والعاملون لرفعه هم في الحياة عماده
والخير كل الخير في هذي المعاهد والمدارس
هي للبلاد نواتها، هي للحضارة خير حارس
لولا المدارس كان للعظم العلو، وللجهالة
وتكاثرت فرص الرذيلة والتأخر والبطالة
وتهدمت يا قوم للأخلاق أركان مشيده
وتشوّهت قيم الأمور على محاسنها العديده
ولسادت الفوضى، وصار الفرد مهضوماً وهاضم

لا حق، لا قسانون، لا تشريع ينزع المآثم
إن الشعوب إذا نهضت إلى الحياة فإنما
تختار من هذي المدارس للتقدم سلماً^(١)

المعارك الانتخابية:

يسود المعارك الانتخابية حالة الاضطراب، وتكون المنافسة غير مشرفة، وتتجاوز حدود الحوار والعقلانية، وتتبارى فيها الخطابة، ويتخللها القبح والشتم ويتنافسون في نصب الأيونات وتقديم المواد الشهية، ويثيرون الاتجاهات والعصبية، ويفرون بالمشاريع الوهمية يقول الشاعر سليمان الجار الله المولود في الكويت عام ١٩٢٧م في قصيدة (المرشح المخدوع):

وباغرائهم أسالوا لعابه	خدعوه أصحابه والقراية
قم ورشح فأنت كفوء النيايه	خدعوه بقولهم حين قالوا
الصحب وحيأ مشرعاً أبوابه	فاشترى خيمة ونادى لها
فانبرى مصقعاً يجيد الخطابه	وأناه المؤيدون تباعاً
القوم ونادى مسفنداً أسبابه	فاعتلاها منصة يسمع
حيث أبدى جميعهم إعجابه	ذهل الناس حين قام خطيباً
حين يلقي النجاح والاستجابه	ناقشوه بما يريدون منه
وتراءت وعوده الخلابه	فمضى يرسل الأمانى جزافاً
حين لم يبق بينكم (عزابه)	قال يا قوم سوف ترضون عني
ويبوتاً جميلة جنابه	سوف أبني لكم قصور رخام
سوف أغني كهوله وشبابه	سوف، لم يبق في الكويت فقيير
كل شهريأتى بمد كتابه	سوف أجري لكل فرد معاشاً
فتعالى هتافهم بصلابه ^(١)	فمضت (سوف) تفعل السحر فيهم

الجنديّة:

أصبحت الجيوش العسكرية، والجنديّة معلم من معالم العصر، فالجندي الإجمالي ضرورة حتمية في أغلب الدول العالمية بمعنى أن كل فرد يمارسها، فالجنديّة أو لنقل الجيوش النظامية ظاهرة اجتماعية تجلى صداها على الإبداع الشعري ليس في المعارك ونتائجها وحسب، وإنما على التكوين الاجتماعي منهم شريحة اجتماعية وشريحة عملية، وشريحة عمرانية، وشريحة سياسية، والعرب أحوج ما يحتاجون إلى الجندي البازل المدافع ليقف في

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ٢٧١

إذا أوشكت، قسوي الجنان
بالمنى، والجندي رمز التضاني
مستميت يختال في الأكضان
أخرست عبقرية الفنان
يد الحق في أدق مسمان
لبى بالروح، لا بالسنان
بزفير الآلات والنيران
شدو قيثاره، ورجع مثاني
هتاف، لا عاش كل جبان
نشاطاً مهارة الريان
الروح، فهو في غليان
النقع بين سحب الدخان
فلله سكرة الندمان
هتف المجد للشهيد الثاني^(١)

(حمل) قبل أن تدور الرحى (ليث)
يتغنى -الموت منه قريب
أي وقع في النفس -صاح- لمراى
تترأى في عينه صور قد
رسمتها بريشة الحزم والعزم
وإذا مادعاه قائده الياسل
يتخطى الصعاب غير مبال
وزئير الحديد في أذنيه
وانين الجرحى وحشرجة الموتى
ويزيد الملاح، في ثورة اليم
دمه في عروقه أججته ثورة
هاتف صارخ به، وهو في ليل من
وكؤوس الردى يطوف بها الهول
كلما صفق العلاء لشهيد

المخترعات:

المخترعات المعاصرة من الوسائل الزراعية، ووسائل الاتصالات، ووسائل الحياة اليومية التي عبرت حياة كل فرد حتى أصبحت ضرورة حتمية، ألحت على فكر الشاعر ووجدانه حتى تبلورت في إبداعه وأكثر ما تجسد من تلك الآلة الطائرة، لعلوها في السماء، ولسرعتها، يقول الشاعر العماني، محمد الحارثي عن الطائرة:

تحلق بي هذه الطائرة

تحلق، تمنحنا، نحن، ركبها بسمه حلوة من مضيفاتها، الشاي بعد الطعام

العطور التي تُشترى..

وانعتاق العيون الطفولي في الأجنحة.

تقول لنا:

(١) خالد الزيد، ادباء الكويت ٢ : ٢٧١

أنتم الآن فاصلة الوقت بين الزمان، وبين زمان
 أنتم الآن فوق الحدود، وفوق الجنود، وفوق الجودود
 الذين يفتبون في حضرة الأضرحة
 .. وتقول لنا:

أنتم الآن خارج كل الممالك
 أنتمو فرس مسرع ضد كل اتجاه بلا كبوة ..
 وبلا حافر مثقل بالسنايك
 تحلق بي هذه الطائرة
 تحلق .. لكنها لا تدافع عنا
 أمام رجال الجمارك^(١)

(١) أحمد درويش، تطور الأدب في عُمان ٢٠١٥ .

سادساً: الطبيعة

- تمهيد
- الليل
- القمر
- الضجر
- البحر
- الريف

خلق الله الإنسان وأودعه العقل، وخلق له العوامل المساعدة الجسمانية ليتفاعل مع الطبيعة فلا غنى له عن الطبيعة، ولا ثمرة للطبيعة إلا بتفاعل الفرد عن طريق التفاعل الزراعي، والصناعي، والتأمل فيها من أجل كشف أسرارها، وتوظيف موادها، إذن فالعلاقة علاقة وطيدة مؤثرة في الفكر والوجدان والجسم، وسائر الشأن الإنساني ومن هنا «كانت الطبيعة من المضامين التي توغلت في معظم الأعمال الأدبية التي شكلت البناء العام للأدب الإنساني ابتداء من الأدب المصري القديم وحتى أيامنا هذه ويتمثل هذا المضمون الفكري في العلاقات العضوية التي يستحيل حصرها بين الإنسان والعناصر المتعددة للطبيعة التي يتسع مفهومها ليشمل الكون كله بحيث يتحول إلى وحدة متكاملة تنبض بالحياة والتناغم، وداخل إطار هذه الوحدة اللانهائية يقوم كل عنصر بواجبه، أو على الأقل يجب عليه أن يؤدي واجبه، يتساوى في ذلك الإنسان أو الطائر أو الحيوان أو النبات أو الشمس أو القمر أو المطر إلخ من عناصر الطبيعة التي تشكل في نظر أدباء كثيرين عملاً فنياً متكاملاً أبدعته يد الخالق العظيم، ويعتمد بعض الأدباء الرواد في مختلف العصور والبقاع أنه لا توجد في العقل الإنساني فكرة تستحق التسجيل والتشكيل الفني إلا وكان مصدرها الطبيعة الكونية الباهرة»^(١).

وتلج الطبيعة إلى أعماق النفس البشرية لأبناء الجزيرة العربية ومن هنا كان لها دورها في بناء حياتهم، فهي مصدر غذائهم، وهي المؤثر في ارتحالهم، وإقامتهم، وهم يقتاتون من نباتها، ويستظلون بأشجارها وأحجارها، ويسكنون بكهوفها، وغيراتها، والأمطار لها وقعها على مشاعرهم، وهم يتألفون مع أرضها وسماؤها، وشمسها وقمرها، ومع حيوانها فنمها الأليف، ومنها الوحشي، وكلها مصدر للإبداع الفني في الأدب الجاهلي وما تلاه من عصور. وفي أدبنا الحديث تتفاعل الطبيعة في أدب الخليج وأن تحولت من مصدر حياة في بعض مناحيها إلى أن تكون مصدر جمال، ومصدر تأمل، ومصدر عطاء، لكن غلبة التفكير فيها تجلّى في الأدب لا سيما الشعر عند أصحاب المعاني، والاتجاه الفكري أولئك الذي غلبت عليهم المشاركة في بناء الأمة، والتفاعل مع قضاياها الدينية أو الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية وكثير من شعراء الجزيرة شاطروا أمتهم همومهم، كالعواد، وخالد أبو الفرج ومحمد حسن فقي، وحزمة شحاته، وإبراهيم العريض من البحرين، وكثير من شعراء الكويت.

(١) د. نبيل راغب موسوعة الفكر الأدبي ٢: ١١

يتعلق في ذواتهم مما يسير النفس البشرية.

ومن فعل التمدن ظهور المعالم الجمالية في المدن في ردهات المشافي والمتزهات، والطرق، والتاسق العمراني، ومما أستوقفت الشعراء تلك المصايف الجميلة مثل الطائف وأبها والباحة التي تتلاحم فيها الطبيعة مع العناية البشرية إلى جانب الشواطئ في الساحل الشرقي والغربي معاً، وهناك من يوظف الطبيعة توظيفاً وجدانياً كالأمير عبدالله الفيصل، وطاهر زمخشري وحسن القرشي.

ومن أقدم القصائد في الليل قصيدة محمد سرور الصبان (يا ليل) مع أنه نشرها في كتابه (أدب الحجاز) الذي صدر عام ١٣٤٤هـ تحت مسمى (قصيدة لشاعر لم يشأ ذكر اسمه) وهو قد ترجم لسيرته ولم يشر إلى نسبتها له لكن المؤلفين مجمعون على نسبتها له والشاعر الصبان يسقط ذاته على الليل ويستقطعه لكنه يظل صامتاً، حتى أعجب الشاعر بهذا الصمت، الذي لا يكشف سر الحيارى المتألمين الذين أضناهم تكالب الحياة وخداع البشر، وكم حادث مؤلم شهدته في ظلماتك:

يا ليل صممتك راحة
خففت من آلامهم
أفما ترى حدث الزما
للموجعين أسى وكربا
ووسعتهم رفقاً وحباً
ن أمضهم عسفاً وغلباً



يا ليل إن بسم الخلى (م)
فبحينه يبكي الشجي (م)
هذا ينعم باله
يا ليل فارو محباً
فلنا بذلك حاجة
وابداً حديتك بالألى
فمسي بهم تأسو وعلاً (م)
وسادرهواً ولعباً
وربما لم يأت ذليلاً
وأخوه يصلى النار حباً
أخبرنا غيباً ففياً
إن تقضها فرجت كرباً
عانوا من الألام وصيباً
لنا بذلك منه طيباً



يا ليل ما للبدر يم
يبو فيضحك ساخراً
رح في السما شرقاً وغرباً
منا وطوراً قد تخبياً

باب يسوقها سرىا فسربا

د فليس يخشى بعد عتبا

والشاعر يولد حواراً مع الليل فيسأله عن حلته السوداء فلماذا تلوه دائماً وعن صمته المستديم، ولماذا هذا الذهاب والإياب في رحلة متواصلة كأن لا وطن ولا مأوى لك؟

ادعوك للسلوى فتأبى

مثلي قضى قتلاً ونهباً

أبدأ فقد أمضيت حقبا

م وثوعه أو كنت صببا

فدع الخلائق منك غضبي

يا ليل حزنك دائم

يا ليل هل لك مـوطن

يا ليل مـالك مطرق

يا ليل هل ذقت الغـمرا

سـرى وسـرك غـامض

❖ ❖ ❖

له سيرها تـها وعجبا

دلا فلا تسطيع خـسباً⁽¹⁾

يا ليل ما شان الغـزا

سـرى تـرنح عـطفـها

فالشاعر يسقط معاناته على الليل في غربة، وكأنه لا موطن له، وهو يحمل بفكره المتألم هموم البشر ويسير أغوارهم وكذلك الليل المستشرف على الكون، وهو حين يحنو على الليل في سواد وحلته إنما يعطف على ذاته ولونه الأسود، واضطرابه النفسي.

وفي خطرة من خطرات الفكر التألمي عند العواد يهجم على الليل فيراه رابضاً بكله على الطبيعة فهو يحجبها عن الرؤية، فكأنه يحرسها عن كل شيء، فهو خبير بالمعالم لكن أمين على أسرارها فالشاعر تألمي بعقله ووجدانه:

فوق الطبيعة، ترقب القدا

ترك النهار مقامه الخفرا

خبر الحياة لتكشفا الخبرا

يا ليل إنك رابض، جـنم

تأتي بدورك، كالخـفـير إذا

كالحارسين وليس عند كما

لكن هذه النظرة لم تحجب عنه جمال الليل بنجومه الساطعة التي تمنح الحياة فيضاً، وتدعو إلى تواصل التأمل في الكون العلوي.

الصماء تحكي العقد منتشرا

معنى الحياة يشع مبتهرا

تعطي الجواب أغف، مختصرا

يا ليل. كم سـامـرت أنـجمك

درر تـفـوق الدر حـيث بـها

وأث اسألها وما برحت

(1) محمد سرور الصبان، أدب الحجاز الطبعة الثانية ١٢٧٨هـ ص ٦٧

تحلو الحيااة لطالب أثرا
كل الوضوح لما غدا صورا
وغدا الخيال العذب محتقرا
تقضي وتمنع كلها الوطرا
ورواءها المعنى قد استترا^(١)

لا تستطيع إيانة وكذا
لو كان ما في الكون متضحاً
وغدت حياة الناس تافهة
كم في الحيااة مظاهر عجب
ومفاتن شتى منوعة

ويصغ العواد الليل بصبغته الفكرية، فيسقط حالته على الليل فيحادثه، ويحاوره ويستشعر ظلام الفكرة، ووحشة النفس، فيلوذ إلى الصمت أمام قوة الحوادث والقوارع، برمتها ولا يعارضها وإنما يكون كالمبتتل في مسجده، والناسك في صومعته، يقول من قصيدته «أنا والليل»:

إلى الليل في مجتمعه

هل أنت مثلي؟ أيهذا الظلام!

تشعر بالويل؛ فتخفي الغرام!

وتلبس الصمت؛ فتعلو الأنام

برهبة الفانت في قمة ونظرة الخاشع في همة

وفكرة الشيخ، وروح الصغير؟

ويتساءل هل سواد الليل وصمته تابع من هول التأمل وطول التفكير وصدمة الحوادث، فالليل البهيم وسواده العظيم ينبئ عن غموض لا ندرك كنهه، كالحب الذي يعتلج المشاعر لا ندرك ماهيته، فهل أنت يا ليل مصدر شقاء للبشر أم تعيش في شقاء حين تتأمل حياتنا البشرية وما فيها من جهل وفقر وظلم وتخلف وجمود:

يا ليل ما أنت وهذا الغموض؟

يا ليل. هل تعرف سر الفيوض؟

يا ليل، هل تدري حياة النهوض؟

يا ليل هل أنت بحب تهيم؟ يا ليل.. لا ... أنت الأصم البهيم

فاصمت فإني في ظلام أسير

❖ ❖ ❖

(١) العواد، الديوان الجزء الأول، نحو كيان جديد ١٦٢

ويتمازج الحب والليل في كونه سترًا للعاشقين، وعزلة للمعتزلين، وزمن البكاء للمؤلفين،

وصورة المشاعر للهائمين بسواده البهيم، وصدى الحنين والأنين:

الحب .. ياليل .. واذكرتني

ذاك اللظى، ذاك الذي لا يني!

آه من الحب وقد شفتني!

الحب يا ليل: الجحيم الجحيم لا يترك الأنفس إلا في رميم

فأسأل صريميك وسل في الحفير

❖ ❖ ❖

يا ليل. لا رحمة عند التي

كانت شفائي فغدت علي

امنيتي .. ويلاه امنيتي!

اراه! ما تفضل هذي الكلوم دائمة؟ تبأ لها إذا تدوم

إن ضحاياها كثير .. كثيرا!!

ويجيب الشاعر بشكواه من دوامة التطواف والترحال، ومن ضعف كيانه فلا قدرة له ولا عزيمة فالشاكبي الشاعر انحرف بفكره إلى ذلك الذي لا حول ولا طول له، لكن يعود الشاعر إلى رشده عند إجابة الليل، فالليل يعترف بأنه مسير لا مخير، وهذه إشارة إلى إيمان الشاعر بأن الله خلق الكون تحت تدبيره معارضاً تأليه الطبيعة عند الرومانسيين:

يا شاعراً مرقمه روحه!

الليل مضنى الجسم .. مذبوحه!

هذا النجيع الجهم مسفوحه!

وذا ظلام حالك قاتم والكون في جملمته نائم

فاغضر إذا كنت من الغافرين

❖ ❖ ❖

لا تنح باللوم على كائن

لا صادق العزم ولا مائن

قد كبلت في حسبته الخائن

أوقاته، والنجم فيه كليل فضل في مجتمه كالعليل

عجراً وعباً فارث للعاجزين

❖ ❖ ❖

لا تستثر في الهوى، والفرام

لا ترح مني بسطة في الكلام

لا تتطلب في شعوري الضراء

هل يعرف الوجد سوى واحديه أو يدرك القول سوى ناقيه

أو يضرم الحس سوى الشعارين

❖ ❖ ❖

والشاعر يستطق الليل ويجاور صاحبه الشاعر، فيعتذر له بأعجميته وحلته وأنه لا حول

له ولا قوة:

إني بهيم .. هل عرفت البهيم؟ فاعذره واني في عذاب اليم

نولا الصدى أصبحت في الهالكين

لكن مع هذا الصمت الدائم فالليل يرقب مسيرة الحياة البشرية غير أنه كاتم لخباياها

وأسرارها:

يا أيها الشاعر الساحر

إمي أيضاً ساخر ماهر

لكن سخري صامت قاصر

وسخرك الناطق والمستبين فاسخر فإني ساخر في الكون

إن كلينا لمن الساخرين

والشاعر يمتزج مع الليل في تفاعل فكري يؤثر ويتأثر فلا تدري أيهما المتحدث أو الموحى

بفكرة للآخر أم هو يخاطب الحب الذي يندثر بالظلام فيستفيد منه ذلك الحب فيكون الليل

برد سلام، ويشعل الفكر، والمشاعر يتجلى فكره الناجم عن هذا التفاعل في هذه القصيدة

التأملية:

فالليل موطن تأمل لكثير من الشعراء ولكل منهم ليله الذي يجوب أفاقه فأما ليل حسين

وتركت قلبك هائماً وتركت فكرك حائماً

وتركت شعرك ظالماً وتركته متشائماً

ونشرت حولك للقراءة صفحة الكون الرهيب

وسريت في الليل البهيم بفكرك العاتي الخصب
وخلقت أفكار التشاؤم هيكل تلتدغ الفؤاد
وتطيل ليلك بالسهاد، فلا قرار ولا رقاد



صورت حولك هذا الصور الكبير، أو الصغار
فالحب عندك كاللظى والقلب منك على آوار
والليل في عينيك أهول ما تصور شاعر
والنجم في حلك الدجنة بالأشعة غائر
وفناء رؤياك النفور، ها اللاظي المثير
والناي منها كالدجنة، في الحياة بغير نور



انا ذلك الوحي الأليم، اجيء بالفكر الأليم
انا صارم القدر المسيطر في يد القدر العظيم^(١)

سرحان، فهو دائم المكث، كثيف السواد، لا مناص من ثبوت ظلمته فلا انجلاء لها مهما علت
في هذا الليل من أقمار، وتكاثر في من نجوم أنه ليل هذا الفرد المكلوم بأحاسيس الأليم
والياس القابع على حياته، أو هو يسقطه على الأمة الإسلامية وما تجتاحها من ظلمات
بعضها فوق بعض إنها خيالات الشاعر:

يهتدي سعد البواردي إلى فكرة خيالية مستمدة من الواقع البشري ليسقطها على العلاقة

يَقُولُونَ، هذا الليل يسود لونه	وهل في الليالي أبيض اللون ناصع؟
الوف من الأقمار لا تذهب الدجى	إذ رفعت منه علينا الوقائع
فلا الصبح مرجو، وإن حان حينه	ولا طالع من كوكب سنطالع
ليالٍ على الدنيا توال.. كأنها	رماح عوال، أو سيوف قواطع
فلا تنخدع.. لو أشرقت فهي حنّس	ولو غمرت بالقوم.. فهي بلاقع ^(٢)

بين الليل والقمر فالليل امرأة تعشق الوجه الصبيح في القمر فهي ترنو إلى لقاءه، فيرحب
الليل بالضيء المتلاحم معه:

(١) العواد الديوان، الجزء الأول نحو كيان جديد ص ١٧

(٢) حسين سرحان، الطائر النريب ٥٧ -

هو أسر في فلكه «مأسور»

«الليل، مد له وشاحاً داكناً

فأشاح وهو مهلول مدعور

«الليل، قال له: «تعال وضمني»

لتذوب عندي صبوة، وتفور؟

إني لعشقتك في حداد مزمّن

ولدفق نورك مدلف مخمور

خذني إليك .. فانت حولي دائر

جفل الخطى... وأنا كانت أدور^(١)

يخاطب الشاعر الكويتي فهد العسكر، الليل فيشتكي له وهو قابع في ظلماته ما يشتعل في كيانه من حرمان ومعاناة اجتماعية، ويشتكي قهر الرجال، وهجر الأصحاب، وإرجاف المرجفين، وأزعم أن ليل الشاعر أطول من الليل الحقيقي، فحياته كلها ليل نهاره أشد ظلاماً لنفسه، وحياته في عزلة التي ضربها على ذاته ظلمات فوقها ظلمات، وهكذا الشعراء الذين نهجوا هذا النهج من التبذل الذي يشبه السريالية الغربية، كانوا يقبعون في عزلة ويظهرون في فقر ومدلة مثل الحامد المشاعر السوري وعبد الحميد الديب، وعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وإن كانت المعاناة والعزلة نسبتين عندهم، والشاعر العسكر أحدهم يقول مناجياً الليل في قصيدة (أنا والليل):

ويستمطر الشاعر العسكر الأحلام والآمال التي تسري عنه همومه وأشجانه، فليت الليل

وضغت من ذوبها شعري والحاني

من غور روجي ومن أعماق وجداني

ضاققت بغل واحقاد واضغان

لأدر درهم، أسباب خذلاني

هل في المجرّة من زي لعطشان

فهل بنجمك من زاد لغرثان

فهل بجنحك من رات لسهران

صهرت في قدح الصهباء أحزاني

وبت في غلس الظلماء أرسلها

يا ليل ضاقت بشكواي الصدور وما

فجئت أشكو إليك المرجلين وهم،

يا ليل والروح عطشى وهي هائمة

يا ليل والنفس غرثي وهي حائرة

يا ليل والعين مهري وهي دامعة

(١) سعد البواردي، إبحار ولا بحر ٩٩

يحاوره ويصارحه، فالليل يدرك عزلته وظلمته أو كان الليل يحس ويبوح، بل ويتمنى لذيد النوم كي ينسلخ من أتون الحياة وحرقتها أو لعل تتوارد عليه الأحلام ذات الآمال البراقة التي تعيد إليه نشوة الحياة:

الليل موطن الدفء للوجدانيين، فهم يأنسون بخلوة الليل ومواعيده، وفي استاره وظلماته
يا ليل حسبي وعدري ملؤه ضرم
تلك البقية فافتح صدرك الحاني
أودعته سر الأمي وأشجاني
فكم بوادي الكري ياليل واساني
مجنح راقص في النور نشوان
حلم يرف على الآلاء مبسمها
ليلا ويصدر صباحاً غير صديان^(١)

التي تخفي مغامراتهم ولقاءاتهم، ويكاد أن يتحول الظلام إلى ضياء نفس في قلوب العاشقين
لما تمطر عليها أمطار المجالس والالتقاء وهم أيضاً يذوقون إلى لجة الليل طلباً للعزلة
والخلوة، ومن خلاله يضرّبون في آفاق الأحلام والأمان، التي تقرب البعيد، وتجذب ما
طابت به النفوس، ويسهل فيها الصعب، وتحقق بالأحلام حتى تتجلي تلك أحلام اليقظة
فيكون السراب المميت يقول الشاعر الإماراتي مانع العتيبة:

نشـر الـليل وشـاحـه
قلـت: هل يـرتاح طـيـرٌ
أيـها الـليل أثار الشـوق
فـبـكى الـقلب لما
يـرسل الـآهات حـسـري
راـحـتي يا لـيل راـح
من لما ثـغـر كـريم
نطقـه الرائع شـهد
حيـنما يصـمـت أشـكو
وقـف الـليل وشـمـعت

ودعاني لاسـتـراحـه
كـسر الـدهر جناحـه
في الـقلب جـراحـه
يبدأ الشـوق اجـتياحـه
مخـفياً فـيها نواحـه
خـالق الـحب أبـاحـه
سكنت فـيـه الفـصاحـه
مكـمل فـيـه المـلاحـه
ثم أسـتـجـدى صـداحـه
من دياجـيـه السـماحـه^(٢)

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ٢٠١٢، ١١٢.

(٢) مانع العتيبة، محطات على طريق العمر ٨٦.

النجوم السماوية أجرام مضيئة، تتجلى كل ليلة في السماء، فتأسر الإنسان، وتستحوذ على عقله وقلبه معاً، فهي معالم الجمال العلوي فهي زينة الأفاق الليلية، وهي علامات الساري في الصحراء، وعلامات السفن في البحار.

«فالنجوم ظاهرة رآها الإنسان منذ القديم، فأثارت في نفسه كوامن الدهشة، وملأت قلبه روعة وجلالاً. فهي التي تروي قصة الخلق بصمت عجيب وهي التي تحتفظ بسر خلق الإنسان الذي بقي لغزاً، ولا تبوح به، وهي ساعة الإنسان القديم، وتقويمه، ودليله... اهتدى بهافي حالك الديجور، فوجد فيها النور المشع، والبعد السحيق، فأحس الإنسان بضالته لأنه يشاهد ما يند عن سيطرته، وما لا يعرف له حقيقة، فكان أن عبدها البعض على أنها ملك أو إله... وألقاها مجموعات وفرادى فأسمائها أسماء شتى، معتمداً في ذلك على خيال طارئ ومشابهة قائمة في الشكل، وتشخيص يميل إليه الإنسان بطبعه.

والأفلاك ذات بعد سحيق يكتنفه الغموض وعدم تغير ظاهري، وحركة منتظمة... رجفة، وتألُق واختلاج في سماء ليل مهيب.. كل ذلك، وسواء، حمل الإنسان، وبخاصة الفنان والشاعر الفيلسوف، على النظر والتأمل والتفكير، فكان ثمة جوانب فكرية وأبعاد شعورية، وقيم جمالية بدا أثرها واضحاً في مناحي تفكيره وخياله ومعتقداته وطقوس عبادته^(١).

واحتفل الشعر العربي بالنجوم والسماء، وتعرفوا على مسمياتها، ومنازلها ودلالاتها الحسية من هبوب الرياح وتساقط الأمطار، بل ورسومها وأشكالها وصورها من خلال خيالهم وتفكيرهم وقد أورد المؤلفون أشعاراً كثيرة عن تلك الأفلاك، فقد ذكرها أبو هلال العسكري في كتابه (ديوان المعاني) وجعل لها باباً في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر وكذلك الراغب الأصبهاني في كتابه (محاضرات الأدباء) وتحدث عن صاحب كتاب نهاية الأدب في فنون الأدب «كثيراً، حتى الشعراء العميان صوروها بطول تفكيرهم كقول بشار بن برد:

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا تيل تهاوى كواكبها

وقال أبو العلاء المعري:

ليلتني هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان

(١) يحيى عبدالله الأمير شامي، النجوم في الشعر العربي القديم ٢٣

وكان الهلال يهوى الثريا فهما للوداع معتنقان^(١)

وأطال العقل الإبداعي التأملية المعاصر الوقوف عند النجوم ولا سيما القمر فالإتجاه الذهني عند عبدالرحمن شكري، والعقاد الذي سمي (بالديوان) قلبوا العقل في الأجرام السماوية، ومنحوها ما يعتلج في خيال الإنسان يقول العقاد في قصيدته (يا قمر):

فَضُّضِ الْمَاءِ يَا قَمْرَ	وَانعَشِ التُّورِ فِي الْحَجْرِ
وَانظِمِ الْفَصْنَ بِالنَّدَى	وَالثَّمَّ الزَّهْرَ فِي الشَّجَرِ
وَاجْعَلِ الْكُونَ ضَاحِكًا	عَنْ سَمَاءٍ مِنَ الْفَرَرِ
فِي مَجَالِيكَ رَاحَةً	رَاحَةَ النُّومِ وَالسُّهْرِ
فِي لِيَالِيكَ بَهْجَةً	بِهَسْجَةِ الْفِكْرِ وَالنَّظْرِ ^(٢)

ويتأمل مصطفى صادق الرافعي القمر، ويناجيه بفكرة الوجداني الراقص:

«هلم ابئك نجواي أيها الروح المعذب، واخرج من أشعتك على قلبي لعلني أتبين منبع الدمعة التي فيه فأنزفها... دعني أيها القمر أحمل بقايا عمري... إن قلبي يطرح على ساحل أشعتك بقايا ما فيه من الآمال المحطمة التي طال ماثواها في لجج الهم... أنت يا قمري راية السلام الإلهية البيضاء، لا ترفع للنهار حتى يغمد حسام الضياء في جفنه الأسود...»^(٣)

والشاعر محمد حسن العواد من أوائل الشعراء المعاصرين في الخليج العربي وجزيرة العرب الذين أثروا الشعر بالتأمل الفكري بل قد استلهموا بعضاً من الفلسفة والفكر في الكون كما استلهموا معالم الفكر عند الإغريق فقد تحدث العواد وحمزة شحاتة عن أبولون، وغيره من الآلهة الإغريقية، ولكنهم قصروها على مضامين فنية لا اعتقادات فكرية، مما استوقف العواد التأمل في القمر، وقد أعجب بالتأمل الفكري في شعر الشاعر (توماس هاردي) فاقتبس المعاني التأملية وصاغها صياغة شعرية استهل العواد قصيدته (القمر يتكلم) بما يكشف عن التسلسل الفكري في هذه القصيدة.

«هي قصيدة لتوماس هاردي موضوعات أسئلة يلقيها الشاعر إلى القمر عن الحياة وأحوال الزمان فجرى بين الأثنين حوار عجيب نستخرج منه العبرة والموعظة، عندما يسأل الشاعر

(١) أبو العلاء المعري سقط الرند ٤٥ مكتبة الحياة بيروت، ١٩٦٥م

(٢) يحيى عبدالأمير شامي، النجوم في الشعر العربي ٢٤

(٣) المرجع السابق ٢٤

القمر بقوله ماذا رأيت، وبماذا تسليت، ومم عجبت، وما رأيك في الحياة؟ فيجيبه القمر (لسان حاله طبعاً) بما يجول في ذهن الشاعر الفيلسوف من أسرار الكون وقد ترجم القصيدة عن الإنجليزية الأستاذ عباس محمود العقاد نثراً، ونحن هنا ننظمها شعراً:

ايا بدر طال عليك الشبايا
فماذا رأيت، إلا من جوابا
رأيت وكثير ما رأيت من الوري
وذا حزن يستشعر الهم والأسى
رأيت جنود الليل، والليل نفسه
ومماذا سلاك وأنت الفريد،
على ما حيت، وأنت البعيد؟
تسليت بالأجيال تحيا وتفنى
عجبت، وأنت القصصى
عن الأرض في ذا المجال البهى؟
عجبت وكثير ما عجبت وشائق
توارد نحوي في قصي تجولي
ومن فكر الشاعر العواد:

ومماذا ترى في طريق السماء !!
أحق حياة الوري أم هباء ؟

وكما أن الأسئلة من التأمل البشري فإن القمر يستلهم الحياة البشرية بل يتلبس بحلة العقل المتأمل الذي يتألم من موجات الحياة المضطربة بالمخاطر والمهالك، بل ينبض القمر بحكاية سيرة أولئك البشر المنعمين واليائسين كلهم إلى الزوال صائرين فأجابه القمر:

أرى، ولصعب ما أراه، وطالما
أرى أنها السوق المحدد وقتها
فليست حياة المرء إلا تظلمما
فكم من بليد النفس فيها تقدا
وكم أسد أودى به الجوع والظما

أرى ولتلى أن يطيل التبرما
وسيان أن تبقى وأن لا تتما
من الأمل الخايب، إلا تألما
وكم عامر الأخلاق والفكر أحجما
وكم غرد أمني يعاف الترنما



صنوف تهاويل وشتى معاير يعز على الإنسان أن تتبهما! (١)

والعواد لم يقف عند القمر متبعاً آراء الفلاسفة فحسب وإنما هو مفكر فيلسوف أيضاً، فتهتز مشاعره حينما يرى غيمة خفيفة تحجب ضياء القمر الذي أنار الأرض، وحجب كثافة ظلام الليل غنا، وهو الذي يدخل البهجة ومعالم الأنس حين يشرق ضياؤه على الكون وهو يشد من عضد القمر أن لا يكثرث بهذه الغمامة، فهي زائلة وحسنه دائم، والنجوم الزهر تزيد بهاءه وهو في المواقع يسقط حياة نجوم البشرية من المشهورين على القمر فهو يقول لهم إن العقبات وتصاريح الدهور لا تثني عزيمة صاحب الإرادة والقوة:

قلت للبدر حينما برقع الغي	م محيا، عثرته الكأبة
أنت أنت المنير في أفق القلب	وفي الجو؛ رغم هذي السحابه
أنت أنت المجلل الكون بالنو	ر، وأنت الموحى إليّ خطابه
إن وحيا أشعرتينه، لوحى	طرق القلب فاتحاً أبوابه
أنت أنت الجمال يسري إلى النف	س فيوحي عذب الغرام وصابه
أنت أنت الذي يبدد بالחס	ن غيوماً خداعة كذابه
أنت يا بدر في الوجود حسياء	ثرة بالنسب عيادة الوثابه

فلا تبئس في خلال الغيوم
إن جلتك فإن النجوم
حوالك فائقة المتظر
تزيد بهالك على الأعصر
وحسبك فينا مقيم .. مقيم

أيها البدر هل عرفت تصاريح	ض الهوى وانتصاره وغلابه؟
هل ترانا وأنت كسالمك الساب	بح يرعى جنوده وصحابه؟
هل تحسست أن في الأرض قلبا	قد دعاه لك الهوى؛ فأجابه؟ (٢)

إذن فإن أصحاب الهمم العالية، والمقاصد السامية. والأعمال النافعة هم ضياء الدنيا، حتى وإن حجبهم حاجب أو تجاوزهم إعلام، بل وإن وقف في مواجهتهم معارض فإن الضياء الفكري سيبقى نوراً مشعاً في هذه الدنيا.

(١) الديوان، الجزء الأول، نحو كيان جديد ٢٩



وينال القمر إعجاب الشاعر محمد حسن فقي في مرحلة شبابه، فيجلو محاسن البدر
فيراه بهي الطلعة ملك السماء مكتمل الجمال، ودال بضيائه، يمنح الراحة والسعادة، يبت
الأمل للعاشقين، يزيح الظلام، ويستذكر صورة المحبين:

يا بدر ما هذا البهاء يا بدر يا ملك السماء!
أجملت من تاهوا علينا بالجمال وبالرؤاء!
لكأنك الملك المتوج، والكواكب أصفياء
النفس تمنحها الرؤى، والفكر تمنحه الصفاء
والواجد المكروب يشكو بثه لك والشقاء
ما يستريح إلى الصباح ويستريح إلى المساء
يفضي إليك بهمه، والهم في الأحشاء داء
فتمس بالنور المقدس روحه مس الشفاء
وتطل إطلال الرقيق، فيمأل النفس الرجاء
كم وحشة بين الجوانح كنت أنت لها الدواء
كم من شجي عاش بالحب المبرح في بلاء
ناداك، والأشجان تهصره، قلبت النداء^(١)

فالقارئ للقصيدة يطل على نفسية الشاعر المحبة للجمال الأنيسة به التي تغمرها
السعادة تلك في مرحلة الشاعر الأولى فقد قيلت القصيدة عام ١٣٦٤هـ لكننا نفتقد هذا
في شعره بعد أن تجاوز الخمسين من عمره.

والشاعر في الجزيرة يلبس الطبيعة رداءه، ويلونها بمشاعره، ويصورها بصورة فكره فتارة
يغلب عليه التأمل الوجداني، إذا كان الشاعر يلهب وجداً أو غلبت عليه العاطفة الوجدانية،
فالشاعر محمود عارف يلبس البدر حلة الشباب الوضاح الجبين المشرق الظلمة المتأجج
بالعواطف الوجدانية، وحوله صويحبات يوسف عليه السلام يرمقنه من طرف خفي تراءى
البدر وهو يخترق ظلام الليل، والنجوم تخبو وتبدو كأنهن الضئيات المدنفات حباً وصبا، يقول
في قصيدة «البدر والبحر»:

إن أنس لا أنسى سعادة فرصة
حيث المرائي ثرة، تختال في
قضيتها قرب العباب المونق
برد المضايق واليهاء الشيق

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة ٣: ٥٩

وطلاقة في لحظة المستغرق
فوق الخضم كسائل من زئبق
أبدا كرقرة السراب الديسق
من تحته حلل من الأستبرق
في الأفق إذ يمسي بخطوة موثق
يرنو إلى الدنيا بطرف مطرق
نار من الأشواق ذات تحسرق
للناس في محراب ليل ضيق
سرب «العذارى» في شفوف المتقى
وقلوبهن نقيية لم تفسق
جندا من العشاق رهن تآرق
حسنا تبلج وهي لما تعشق
في الأفق زينة عالم متفارق^(١)

والبدرافتن ما يكون سطوعه
تترقرق الأضواء فوق عبابه
يضفي على الأمواج ذوب شعاعه
ما كان اشضاء يعالج سبره
فكانه صب تحير في الدجى
وكانه ناء أطاف بقلبه
وكانه ورع أطال صلاته
وكانما الشهب المطيفة حوله
نظراتهن من الخشوع كليله
إذ ما توصوص بالعيون تظنها
لا السهد فارقتها ولا هي قد سلت
من علم الشهب الهوى وهي التي

فالشهب لم تتعلم الهوى وإنما اسقط الشاعر الوان مشاعره العاشقة على هذه النجوم، أو هو يزهو بذاته كما يزهو القمر المنير.

والشاعر محمود عارف يوظف الطبيعة توظيفاً وجدانياً قل أن تلمح فيه القيسات الفكرية فهو يسقط ذاته على البحر فيصيره عاشقاً:

أنا والبحر عاشقان كلانا يتمنى التسمو هجراً ووصلأ

ويقول عن الربيع:

طاب الربيع وفيه تطيب أحلام حبي

ويقول عن الليل:

يا ليالي دمشق قد طاب أنس عاد صفوا مع الليالي الملاح^(٢)

وشعر الشاعر ينبض بروح راضية، أو قانعة، تستجيب للملامح الحسن وطيب القول وتثأى عن الصراع وموجعات القلوب، وهو وإن تشابكت مشاعره الحرى مع تموجات الطبيعة ولانت لنسماتها، وهش بشاشة لرياضها فإنه يلتمس صدق الطبيعة وطهرها وعفاف الحب

(١) ترانيم الليل، المجلد الأول، ٣٩.

(٢) انظر المرجع السابق على التوالي ٤٠، ٤١، ٤٢.

الوجداني، فكان ينأى عن رغبات الشهوة الحسية ليواكب الطبيعة في جمالها الذي لا يفسده جموح الإنسان للذة الجسدية، وإنما عطاء الجمال فحسب والطبيعة تستوقفه فيتعاقب معها، لكنه لم يلجأ إليها هروباً من شرر الحياة وجور البشر، فإذا ما أضنته الحياة فإنه ينزع منزعاً دينياً لا عبثياً ولا خيالياً فالدين يؤثر العزلة والزهد حين الخشية من الفتن، يقول:

طوبى لمن عاش في دنياه منعزلاً عن صحبه وذويه عيش نساك

فالعزلة عنده محصورة بما يرضى الرب.

النجوم السماوية، يهتدي بها، ومعالم جمالية، ورجوم الشياطين تلك وظائفها لكن الشعراء يوظفون الطبيعة توظيفاً عقلياً فلسفياً وتارة ينظرون إليها بما يتراءى لهم، وما يعتلج في نفوسهم، وهم يتدبرون الحياة البشرية من خلالها، فأحجام النجوم بقوة شعاعها، وسطوع ضوئها أو خفوتها إنما يخضع لعوامل البعد أو ظهور الأقمار الأقوى لكن حسين سرحان يتعامل معها كأنها بشر منهم الضعيف والقوي، ومنهم الدميم، والرقيق، فإذا أتاحت الحالة لضعيف أن يقوى ويهيمن فإنه يتعالى ويتبكر ويفتك، ويكون الفرد الصغير كالمذنب ذلك النجم الممتد ذيله الساري في الأجواء الذي يرسل العواصف والصواعق، يقول:

كم للكواكب من معانٍ في الدجى تبدو طريقه
فيها الجميلة والدميمة والرقيقة والكثيفة
لكنهن إذا سطعن هتكن أسراراً مخيفه
تهدي إلى خطأ وتأرجح إن بدت كأريج جيفه
هي السرائر ما يضير لو انطوت طي الصحيفه

❖ ❖ ❖

ما ضر هذا النجم لو أن ذب عنه الكبرياء
وبدى لنا كمدنّب في الليل يعتسف القضاء
يلقي الصواعق والحرائق في عماء أو هواء
ويبيت يقذف بالحميم على رؤوس الأبرياء
ذنب البريء بأنه من كل موبقة براء

❖ ❖ ❖

انظر إلى السحب الكثيفة كيف تمضي في سراها

انظر إلى الأمم الضعيفة كيف حاق بها رداها

انظر إلى النفس الشريفة لا يبين لها صداها^(١)

إذن فهو يقارن بين تقلب أحوال النجوم وبين أحوال البشر أفراداً وجماعات ودول فالقوة للأعظم والهلكة للضعيف.

ويتسوقف الشاعر إبراهيم الحجي البدر وقفات تأملية تستلهم الفكر المحاصر فهو تارة يستمد منه النور والضياء، والأنس، والأمانى العذاب لكنه ما يلبث أن يموج فكره بثاقب التفكير حين يتساءل عن ماهية التكوين الجغرافي والبيئي والوطن والمواطن للقمر، فهل يتدفق أنهاراً، وتتداح فيها الغابات، وتتغنى فيه الطيور أم هو موطن للملائكة المطهرين من الأدناس والأرجاس.

مالي سواك مناغم لشعوري
فاعود موسوم المنى بالنور
حلكات بأسى إن دجى ديجوري
مرآك مرآى راعش مفرور
حلية الأفلاك بين مزاهر وزهور
ينساب بين جنادل وصخور
وتموجت بنسائم وعطور؟
لم يعرفوا درب الخنا والزور؟
وتنعموا بمسرة وحسبور^(٢)

يا بدر إنك في الظلام سميري
أرنو إليك وملء بردي وحشة
أجمل بضوءك يخفق الإظلام في
تهتز في الليل البهيم كأنما
عيني تناجي القلب أنك
هل فيك نبع ضاحك مترقرق
هل فيك جنات تغني طيرها
هل أنت ميدان الملائكة الألى
شاعت محبتهم ومات غرورهم

وكما أوحى خياله إليه باستبطان الملائكة للقمر المنير وكونهم أطايب السرائر، ضمائر مشحونة بالنقاء والصفاء، فإنه يتمنى للإنسان أن تسمو أخلاقه، ويسود الحب، ويتساوون في الحياة والمال، ويتمحي الظلام والصراع بين الشعوب:

أخلاقه عن خسة وفجور
أمر الهوى إن كنت خير خبير
ليلى ولم يك وصلها بيسير
يبدو ضئلاً تحت قصر أمير

ما أجمل الإنسان لو تسمو به
والحب قل لي ما الذي تدريه من
هل فيك قيس مات من شوق إلى
هل فيك كوخ للفقير مرقع

(١) حسين سرحان، الطائر الغريب، ١٤١ هـ

(٢) الحجي، عذاب السنين ٦٨ هـ

حكّموا على المقرور بالتقتير
ويعيش تحت الظلم والتدمير
يسمون دون الناس يوم نشور
مفسولة ببراءة العصفور

هل فيك أصحاب الملايين الألى
هل فيك شعب يستنيم إلى المنى
هل فيك كضار وأهل عقيدة
هل فيك نسر تائه بمخالب



تجفّل بإنسان ولا بطيور

يا بدر سرفي أفقك الزاهي ولا

ثم ها هو يبعث شكواه إلى صديقه القمر الذي يبته لوعة ألمه وعذابه، وغريته في أوطانه،
وهو يتمنى منطاد يجنح به إلى حيث الفلك العلوي السماوي:

أبدأ ولا آسى على مقبور
ورأيت روعي في حشا تنور
فإذا شخّصت إلى النجوم فطيري

لا ألمح الإنسان في أرجائها
إني سئمت من الأتام ومكرهم
أيه طيور النحاس في أرضي قفي



فلأنت للملتاع خير نصير
يبدو صفيراً وهو جد كبير
للناس وهي عميقة بضميري
ما دمت في هذا الظلام سميري
وكوى الحشا بأتونه المسعور
ما يصنع الإنسان بالمقسدور؟

يا بدر قاسمني المرارة والأسى
في مسبح الأفلاك جرمك دائر
وكذاك في قلبي الجراح تضاءلت
إني لأعذر إن سكت ولم تجب
الحب في جنبي شاع لهيبه
هذا الهوى قسراً حملت أواره

وهو يخشى على طهر القمر، وعطائه من مكر الإنسان ويدفعه إلى التصدي لهذا الغزو
البشري للقمر فيحذره من عناد الإنسان وصراعه فليعتبر من الوقائع الدامية البشرية التي
تدور على الكوكب الأرضي:

نحو التراب بخيبة المقهور
فادفع أذاه بنفخة في الصور
لك كي تمور بفتنة وشورور
عرفت صنوف الظلم في التشمير
لا يستقل بعدها تعبيريري

إن جاء إنسان إليك فردّه
أو اقبل الصاروخ نحوك فاتحا
هم افسدوا هذا الثرى وتطايروا
نظروا إليك فشمروا عن عزمة
ما عندهم إلا الأذى ومكائد

إلا الفساد بسائر المعمور
واصمت ولا تبعت لهم بسفير

فاكبح جماحهمو فإنهم أبوا
واسمق وكن كالشمس في عليائها



أحيا على هذا الثرى كاسير

يا بدراني في الحياة معذب

هذي الجواء بعيشي الميسور^(١)

من لي بمنطاد يجنح بي على

إذن فنحن نلمح أحاسيس الحجي، والاضطراب النفسي من خلال رؤيته للقمر، فهو متألم من الصراع البشري على الأرض، وهو يريد إصلاح الإنسان في مجتمعه لتتلاحم العقول والنفوس، ولكن يخيب أمله وتشتد كآبته، فتتعالى شكواه للقمر، ويرتفع من تفوق الإنسان الذي يغزو القمر، ليحيله إلى أرض تحمل إنساناً يزرع الشرور والأحقاد.

(١) حمد الحجي، غذاب السنين ٦٨

البحر:

الحضارة العربية الممتدة من الخليج العربي والبحر الأحمر، والبحر العربي والمحيط الهادي تأثرت كثيراً بالبحر، فالقوص له دوره على الحياة في المنطقة الشرقية ودولة الإمارات، ودولة الكويت، والبحرين، وسلطنة عمان، وله تأثيره امتداد من الجنوب على البحر الأحمر حتى شماله مدينة حقل وعلاقة الإنسان في الجزيرة العربية بالبحر علاقة حميمة تارة، ومخيفة أخرى. فروح المغامرة والتغلب على الصعاب، علم الإنسان ما لم يعلم من الحياة، البحرية، بل سبر أغوار الإنسان، وولد التعامل مع البحر حكايات وأساطير، وخرافات وأدب واقعي يشكل جانباً من حياة الإنسان في أدب الخليج شأنه شأن مثيله الإنسان على شواطئ البحار الأخرى، يخاطر كما يخاطرون، ويمتطي أمواجه، كما يمتطون، ويتعرض للعواصف والأمواج وعلو تارة، ويهبط أخرى، ينزل للقاع، يكتشف الأعماق، يعود فرحاً جذلاً بفنيمته وتارة منهكاً تعباً مكسور الجناح، والبحر مصدر غذائي، ومعبّر للسفن، ووسيلة للتجارة، وكثيراً ما تقع على ظهره الحروب، التي تحولت إلى أساطير أدبية:

«وقد غزا الإنسان البحر لاكتشاف المجهول، وفتح آفاقاً جديدة، وإثراء الحياة البشرية، والقضاء على اغتراب الإنسان وعزله، وتنمية عوامل الاتصال الإنسانية، ومن أجل تعزيز سيطرته على قوى الطبيعة وترويضها وتوظيفها لصالح البشرية، وكان الأدب طليعة لاكتشاف عالم البحر وفهمه وتفسيره، كما أسهم في ارتياده وتسجيل عالمه الجميل المضطرب وإبداع النماذج الأسطورية والرومانسية والواقعية المعبرة عن تطور علاقة الإنسان بالبحر، والتي تتراوح بين القوة والضعف، من ارتباط الطبيعة البحرية وتحديدها إلى الخوف منها والاستسلام لها، فصحب ارتياد الإنسان للبحار والمحيطات ظهور أدب البحر».

«وأقصد بأدب البحر ذلك الأدب الذي يستهدف التعبير عن عالم البحر، والذي يكون البحر موضوعه الرئيسي المؤثر في الأحداث والشخصيات، وفي الرؤية الكلية للعمل الأدبي، وهو أدب هام يشكل جزءاً أساسياً من تراث البشرية وحضارتها، فيضم أدب البحر الأسطورة والملحمة والشعر والحكاية الشعبية وأدب الرحلات البحرية والقصة والرواية، ويجمع في نماذجه بين الشخصيات الأسطورية والشخصيات الواقعية، بين الرؤية الرومانسية للطبيعة، كمجال للهروب والاستسلام كما نجدها عند جان جاك روسو، وبين الشخصيات البطولية، التي هي جماع لكل عناصر القوة والذكاء والمغامرة في صراعها مع قوى البحر، كما نجدها

في شخصية إِيخَاب «بطل رواية هرمان ملفل» «موبي ديك» وفي شخصية «الطروسي» بطل رواية حنا مينه «الشراع والعاصفة».

وأدب البحر موضوع خصب يتصل بالحضارة الإنسانية بوجه عام وبالحضارة العربية على وجه الخصوص، فللمغرب إسهامات هامة في عالم البحر وفي أدب البحر، لا تفصل عن دور الحضارة العربية المؤثرة في الحضارة الإنسانية بل إن أدب البحر العربي يتميز بالثراء والتنوع في المادة الأدبية والعلمية بشكل لا تكاد نجده في أدب أي شعب آخر، أو كما يقول كراتشكوفسكي عن الأدب الجغرافي العربي: «لقد آثار هذا الأدب اهتماماً بالغاً بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طور واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن الفائدة -لهذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب»^(١).

ونحن نجد الكثير من الأدب الذي يصور علاقة أهل الخليج بالبحر في الزمن القديم والحديث وقد رأينا معالم منه في شعر طرفة بن العبد وشعراء بني تغلب وبني بكر الذين عاشوا على ضفاف الخليج وتواصلوا معه، وقد تشكل أدب البحر في المجموعات القصصية كثيراً في زمننا المعاصر عند كثير من أدباء الخليج العربي، وساحل البحر الأحمر لكن الذي يعنينا هنا هي علاقة الشعر المعاصر بالبحر، ورأينا صدى البحر يتجلى عند شعراء الكويت والبحرين، والمنطقة الشرقية، وعلى ضفاف البحر الأحمر لا سيما جزيرة (فرسان) وقد كان له دور في الإبداع الفكري عند سائر الشعراء فالبحر منبع التأمل عند العواد، ومحمد حسن فقي، وغيرهما.

وبلاد الخليج يحيط بها البحر من ثلاث جهات، وتمتد على سواحلها المدن الحضارية، وأهلها أكثر تواصلًا مع العالم الخارجي، وكان البحر فاعلاً في تجاربهم الشعورية والشعرية والتعامل مع البحر له أوجهه، فله لمساته الخيرة والارتياح النفسي، وله فتكاته الموجهة التي تفيض بالحزن والألم وكلا الأمرين يولد النتاج الإبداعي والبحر غالباً ما يقدر قريحة المتأمل عند الشعراء فيتدبرون علاقته مع الإنسان، وجماله الأخاذ، وعمقه البعيد، وموجه العاتي، وعالمه الحيواني الداخلي، وما يخرج منه من أصداق ولؤلؤ، ما يعمر عليه من بوارج حربية، ويخوت ترويحية، وما يمخره من أساطيل تجارية، يقول العواد:

(١) نقله د. أحمد عطية في كتابه أدب البحر، ص ٨، ٧.

ونضي الفروق فمجده دده
بطبيعته الإرهاب يفسده
تعطي وتبسط عندها يده
ومهابة أخذت تزوده
حتى يجدها وتجده
للضاه يرفعهها وترقه
يثباته درأ ينضده
نشول بعجيبه تاوده
للموت يدفعه تجلده
فيضل فيه به ويجهده
طوعاً إليه مما يكبده
لهفان والأمال تسنده
متفائلاً بالنصر ينشده
ده النجوى فيبديه تنهده
يأتي إليه بها فيسعه
بالكر وهو كذاك يعبده
همساً إليه به فينقذه
يملي عليه هدى مجلده
يجد الرقي به ويوجدده
فيثوب أزفه حين يقصده
فتنيلها وتمولها يده
والدهريشقيه ويسعه
أن تستريح إليه خرده
والموج يدنيه ويبعده
يصطاد والبحر يرصده^(١)

نفض الهموم فأمه غده
متشابه اللحظات في خلق
وسمت مناسبه فمن سعة
وسماحة قرنت إلى مرح
يدع العقول إلى حظيرته
فتخف في شكل مظاهرها
من خائض خطر يعانقه
ومسافر درب يصاحبه
ومقامر بالروح منتحر
ومعانند نزع يقاومه
ومسالم يلقي أزمته
ومجاهد للعيش يقطعه
ومحارب يستام بصرته
ومضارق لهفان تبوع
وتجيء أحلام وفلسفة
وموحد لله يعبده
ومدمدم بالشعر يلفظه
ومفكر متأمل يقظ
ومهندس بهرت صناعاته
ومرفه باليخت يعبره
وجماعة العمال تحضره
وحليف كرب يستنيم له
ومنعم ممرح يلذ له
ومشاغل للحوت يرقبه
وسواه بالأسماء مشتغلا

(١) العواد، الديوان، ٢: ٢٢٢

ولا يكتفى الشاعر بعلاقة البحر بالأرض والإنسان، وإنما يمتد خيال الشاعر إلى ظهور الصورة السماوية على سطح البحر، وإلى تحريك الرياح لأمواجه وإلى جمال فجره، وإشراق شمس، وإلى صورة المساء فوفه:

والرياح - خاضعة - تهدده	والنجم مغبطاً - يغازله
والليل - منسدلاً - يمجده	والفجر - متبسطة - يقبله
فينيلها الإيقاظ مردوده	والشمس تشرق وهي ناعسة
يهب الحياة إليه مشهده	وترى الأصيل كمن به مرض
ورعاه كالشفعاء عوده ^(١)	فأتى الطبيب بروم خبرته

ورياح المجتمع تهب على مشاعر الشاعر، فتثير فيه نسمات متلاحمة مع أحاسيس الشاعر وعواطفه تجاه وطنه ومجتمعه، فقد كانت الكويت شحيحة المصدر المائي، مما جعلها تجلب الماء في سفن شراعية من شط العرب، ويجتمع الناس لاستقبالها فكل منهم يحظى بشيء منه، والشاعر ينقل لنا تلاحم الحياة البشرية مع البحر داخل أعماقه، وعلى سطح مائه، وعلى شواطئه يقول خالد الفرج (١٢١٦ - ١٢٧٤هـ) مصوراً الحياة الريفية في مستهل العصر في دولة الكويت:

سوى رمل به وطأ السبياع	تصور فد فدا لا شيء فيه
عليه الرمل ناف بألف باع	ولا ماء لدى الرمضاء إلا
هشيم جاء من أقصى اليماع	ولا شجر لدى الصحاء إلا
به شبه الحضيض من البقاع	يحارب به الدليل ويغتويه
إذا دهموا (ببوم) غير ساع	فذاك هو الكويت وساكنوه
فما هو غير فلك ذي شرع	ولا تتصورن «اليوم» طيراً
يُقل الماء ليلد المضاع	يجوب البحر ساعات طولاً
لححتاج لسمع منك واع	أعزني سمعك الواعي فإني
وكل عن القسيام به يراعي	أقص عليك ما أضنى فؤادي
تصوبها الرياح إلى ارتضاع	(ببوم) فيه أعمدة السواقى
دعوا ظهري هلموا نحو قاعي	وقال البحر للسفن الجواري

(١) العواد، الديوان، ٢ : ٢٢١

ببه وشغل أقل من الذراع

يسابب صاحب الأمر المطاع

رماه لئانه صاعاً بصاع

وصار الماء للبطل الشجاع^(١)

هناك ترى الجموع على (بويم)

هنا حمى الوطيس فكل وغد

فكم من حرة غرقت وحر

وقد ظمئ الضعيف وكاد يقضي

يرسف الشاعر محمد حسين فقي تحت عقلانية ثائية متسلطة، يفعل تكوينها الذاتي
الناجم عن التفاعل الحركي لهذا العقل الذي أدرك حتمية الزوال للكون، فلا قرار للسعادة
والراحة، ولا قرار للكد والنصب، ولا للصحة والمرض، إن الحياة في تعاقب بين الخير
والشر، فيحدث التوتر عند المتأمل المتبصر، ويدرك البشر أن هذه الحياة معاناة دائمة لكن
لا قوة له على هدوئها وسكونها. والواقع أن التعاليم الشرعية تنطلق من كون الحياة دار
ابتلاء واختبار، حياة يتبعها موت لا مناص منه بل إن استحضار الأجل والتفكير به مطلب
شرعي كيما يحدث التوازن النفسي للإنسان الذي لا يقوى على تفسير الحياة
البشرية الزائفة لكنه إذا أدرك أن أعمال الخير تؤول به إلى الحياة السعيدة في الآخرة، فإنه
يعمل عملاً صالحاً ويستسهل النهاية القريبة، ومن هنا دب التوتر العقلي الدائم الحضور
في إبداع الشاعر الفقي عند كل موقف مع مؤسسات الحياة، وجمالياتها فهي لا تحب عنها
التوتر الذي يعيشه الإنسان فالشاعر ينبهر أمام المعالم الجمالية للروض الأخضر، لكنه لا
يستشعر السعادة:

بروداً ترف حسنا وطيباً

غناء عندياً، ودمعاً صبيها

نة فيه نجوى وهمساً حبيباً

وما أسعد النهى والقلوبا

وما أجمل الرداء القشيبا

قلبا يا روض عاش كئيبا

حي والماء سلسلا، والطيوبا

ولن تطفئ الجوى واللّهيبا

هي نفس ترى الخصيب جديبا

عة ما دام بحسها مكتوبيا^(٢)

قلت للروض -والطبيعة تكسوه

عبقري الألحان يشدو بها الطير

وخرير الفدين، ما أروع الفت

وعبير الورود ما أطيب النفع

والربيع المخضر، ما أنضر الوشي

قلت للروض: هل تعيد إلى الغبطة

إن شدو الطيور والألق الضا

إن هذه الآلاء، لن تسعد النفس

إن نفساً ترى الجديب خصيبا

وهي نفس تضيق بالحسن والمتع

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ١: ١٧٦.

والبهار لتدمر العمران، وتحصد الغابات، وتقتلع الأشجار، والإنسان:

قلت للعاصف المدمر والناس	سكارى من بطشه المرهوب
زلزل الأرض واستباح حمى البحر	عتيا يشمال وجنوب
لا يبالي بما يلاقي ضحاياه	وأنى لهسا اتقاء الخطوب
قلت يا أيها المزمجر في الجو	غضوبا هل أنت رب الحروب
قف ترفق قبل الوثوب فما ثم	سبيل للرفق بعد الوثوب
إن نفسي تعاف بادرة الظلم	ويرثي غفرااتها الذنوب
لتسمنيت يا عسوف ضميراً	ما يبالي بنكبة المغلوب
أنا في رجفة الصراع مع النفس	أغذني محامدي بعيوبي
هي في ظلمة.. فإن أشرق النور	علينا تحفزت للغروب
قادها الناس للزهادة في الناس	فعاشت في وحدة المستريب

ويطل على البحر بفكره المضطرب الذي لا يستقر له قرار، وإنما يماثل البحر في عتوه ونزوه، واضطرابه وسكونه وفي عطائه وتدميره.

فينبئ شعر محمد حسن فقي عن حياة عاصفة داخلية أو لنقل مشاعر وأحاسيس نائرة متوترة، تخفقها رياح الفكرة يميناً وشمالاً، وتارة تلويه عواصف التأمل كالأعاصير المحرقة فهو يماثل البحر في أمواجه، وسكونه.

قلت للشاطئ الحزين.. وقد لاذ	من الموج عسدياً بالسكون
والخضم العملاق يلطم جنبيه	ويرتد شامخاً كالمنون
قوة تستهين بالضعف تحدوها	إلى البطش قدرة المفتون
وضعيف يرده العجز للهون	فيرضى بصفة الغبون
والورى يشهدون هذي الأباطيل	فما ينكرون عبر القرون
ما شكا الضعف من هوان سوى القلة	والبغى سادر في الجنون
إيهذا الخضم يارب سجان	تهاوى من نعمة المسجون
وتحاملت فارتمت على الشاطئ	أطوى شجونه في شجوني
إنني شاطئ غزتني الأواذي	فما دك موجها من حصوني



ويستمد سعد البواردي فكره الأدبي من الطبيعة، فيطل على البحر ويستشرف التاريخ الإسلامي من المعارك والمدن والسفائن التي كانت للمسلمين من المحيط إلى الخليج، بل يستذكر وقائع الرسل والأنبياء، وعلاقة الإنسان مع البحر، فالبحر شاهد عيان لمسيرة التاريخ، وهو كون قائم بذاته في كل زمان ومكان، وهو عالم متشابك الحياة في أعماقه:

يا بحر مالك، كالفجيرة تلطم
وعلى غبار الذكريات تتمم
والكون فيك حقيقة أحصيتها
فلمن صداها وسط موجك يرزم

ثم هو يقف على مشارف البحر وقفة الفيلسوف المتأمل في هذا العالم العجيب، فيتفكر في أسرار موجة العنيف، وهدوئه الساكن، وعلاقته بالكون والإنسان.

فعلام سيفك للردى لا يقصم؟
في فترقة نحو الكرى يستسلم؟
وأمام من يقسو تحر وتهزم؟
لا العقل يهديها.. ولا هي تعلم؟
تُملى عليك.. فأنت منها أعجم؟
يأتي.. فأنت على الزمان مخضرم
تحويه.. أين هي «الحياة» تكلم
تحكي بأن البحر لغز مبهم
وأنا، وأنت على البسيطة نحلم؟
أما بحلمك إنني لا أعلم
تجري على خد الزمان فتهم
تفنى وتبقى للتراب «الأعظم»^(١)

يا بحر إنك قوة عملاقة
وعلام موجك هادر وإذا به
هل أنت كالإنسان يسخطك الرضا
أم أنها يا «بحر» سلطة طائش
أم لم تكن شيئاً إليك... وإنما
يا «بحر» للماضي وعيت، وللذي
عمر «الحياة» حديثها، وقديمها
ما «الموج» حين يقول، إلا نبرة
فلمن تظل؟ وكم نظل بلا لقا
بالحق حلمي.. بالحياة... وبالوفا...
إنني سأذهب دمة مبهورة
سأروح كالماضي، سأغد وجثة

ويرتحل منصور دماس في أعماق البحر في زمن تياراته الجارفة، وأعاصيره الهائجة، فيصور أولئك الذين تهوروا فتحدوا البحر وعتموه، حتى غيبتهم الأمواج:

لهواة البحر، لا أهل الكفاح
واستخفوا، بأعاصير الرياح

هاجت الأمواج فالعوم مباح
حببوا البحر، لمن يجهله

(١) محمد حسن فني، الأعمال الكاملة، ١: ٢٢٠.

(٢) سعد البواردي، ذرات في الأفق، ٨١.

ورمته وذووه في ارتياح
بل مع (الأطلس) في الأمواج (راح)
ظلمة الأمواج تجتذ الصباح؟
لحظات، ويماء البحر ساح
وأنين وبكاء، وصياح
وممات، ونجيب، ونواح
ملء أفداح طلاهم، وانشرح
لم يروا (الكشاف) لم يهوا الكفاح
بالأعابر، ومن فيها استراح
منه فكل، فيه سباح
مات، من فارق عن درب الصحاح
يتلاش الأمن، أو ينسوا الملاح
مستبيحاً وشهيداً، ومباح
فضل العزلة، عن موت صراخ
عن مدى ما فيه أمن وفلاح
يرقب البحر، وأعصار الرياح^(١)

هزت (الكشاف) في مركبه
ما دنى (الكشاف) من ذروته
لكن (الكشاف) لم يخب، وهل
ومدى (الأطلس) لم يلبث سوى
فعمدا الركاب في دوامة
وشخير، وشورور وأسى
كامل الأشجان، صارت عندهم
أصبحوا في ظلمة مفرطة
أبهت الأمواج، أن تطفئه
ومحبو البحر، والإعصار أصبحوا
هلكوا، لكنهم لم يقيروا
لو، سعوا في الدرب بالإصباح لم
فضلوا البحر فصاروا، ضده
ونجى الحاذق من أخطارها
فماز بالعزلة، لكن غافل
يسكن المرفأ .. يحيا خائفاً

معالم من الطبيعة:

والشاعر يسقط ذاته حين تقدم به العمر على شجر لها أغصان طرية تتهادى في عنان السماء، وتتلاحم لتتألف، لكن يعترها الجذب، وتجف عنها مياه الحياة وتعصف بها العواصف، فتذبل الأوراق، وتتعرى الأعواد فتبكي تلك الأيام الرطبة الأنيقة، وتحس بالأم التباعد بين فروع دوحها، وتستشعر الغربة وتفقد الدوحة جمال كثافتها، وفراق أوراقها وأهدابها، وتذبل أعصانها فلا رحيم يهدي إليها الجداول المائية تدب فيها، وإنما تعاني من الجفاء والهجران وتنتظر النهاية:

لطمتها الأرياح لطمأ عنيذا
والضى على ثراها الخريفيا

اسمعي اسمعي حفيف غصون
إنها تبتفي الربيع الذي ولى

(١) منصور دماس جرة قلب ٢٠

أليف - بعد الفراق - الأليفا
حت بنات الهديل نوحا خفيفا
مثل أفعى تنضو الإهاب الكثيفا
إذا ما اغتدى رشيقاً لطيفا
الهوى والشباب والتفويقا
جامدات تحسو التعيم صنوفا
النجوى ولا تحمل الفؤاد العطوفا^(١)

فهي تبكي بحرقة مثلما يبكي
كل غصن منها ينوح كما نا
ود لو من سمائه يتعري
إن هذى الأيام لا ترحم الغصن
وهبته الحياة ثم نضت عنه
وهو أولى برحمة من جبال
لا تنجى ولا ترد صدى

إنها حياة الشاعر حسين سرحان، فقد عانى في أخريات حياته كما تعاني تلك الدوحة. ويسقط حسين سرحان ذاته على الطبيعة بألوانها المتحركة والصامتة، والمتلونة كالليل، والدوح، وهو في هذه القصيدة يحكي سيرة طائر غريب، ينتقل بين الرياض والفيافي، فحينما يصدح في رياض غناء لكنه ينزع عنها ولا يستقر فيها وحينما آخر يقبع في روض أجرد، أو قاع صفصاف بلا ماء ولا شجر، وتارة يلوي على غابة محروسة يخضع لرقابة طيور جارحة أو حيوانات مفترسة، فيظل مكبلاً مقيداً، فلا قدرة له على الحركة فوق الأغصان الجميلة، ولا قدرة له أن يصدح فوق الجداول الرقراقة، وهذا يسقط أسلوب الرقابة على ذلك الطائر المكبل:

لدان وقال قولا عجيبا
وحولته فضاء رحيبا
طائرا غريباً مريباً
حولى وتستثير الرقيباً
ترامى به هزيراً كئيباً
رمى زهرة وأبدى الشحوباً
انقض البث عنده واللغوباً
والخزير الجميل أمسى تعيباً
آه كدراء قطبت تقطيباً^(٢)

صدح الطير لحظة فوق أغصان
قال يا ليتني تلبثت في الروض
أنا في ذلك المقام الذي أحيا به
حركاتي مرموقة تبعث الشبهة
وإذا رجع الصدى نغمي الحلو
وإذا طفت حول غصن أحياه
وإذا ما يعمت جسدول ماء
حول الماء - وهو عذب - أجاجاً
وبدت منه صفحة هي كالمر

والقصيدة طويلة تحكي سيرة الطائر الغريب الذي أسقط الشاعر ذاته عليه فحول

(١) حسين سرحان الطائر الغريب، ١٢٢ .

(٢) الطائر الغريب، ٩٩ .

الطبيعة إلى حياة بشرية تتلوى ألماً من المعاناة الحياتية الدائمة.

ونصيب الطبيعة قليل عند المتقدمين من شعراء الكويت ولكن إذا ما انتقل أحدهم عبر البلاد ذات الطبيعة الخلابة فإن الجمال يستوقفه، ويثير وجدانه ويولد انفعاله، وينبج إبداعه، ولكن بوقفة فكرية تأملية في الجمال ذاته في القدرة الفطرية لطيور الطبيعة، وكيفية بناء أعشاشها، وتعاملها من تكوين الطبيعة وجوها وهوائها ومائها ويرى أنها كالبشر فالإجادة والإتقان لها دورها في البقاء والحصانة: يقول الشاعر الكويتي أحمد السقاف المولود عام ١٩١٩م عن منظر جميل لعصافير الأشجار في وديان اليمن يحاكي قصة أحد العصافير:

يا طيريا عصفوريا أصفر مالي إلى غيرك لا انظر؟

يهنيك ما يسبي وما يسحر ومنظر يزري به منظر

يا طيريا عصفوريا أصفر

يا طير اعشاشك فيها العجب لمترعيني مثلها في الحقب

كم غرضاً راعيت كم من سبب وكم عسدي دقت كم من تعب

يا طيريا عصفوريا أصفر

في آخر الأغصان شيدتها كالمهد للأفرخ أعدتها

تهزها اريح كما رمتها أتقنت مبنائها واحكمتها

يا طيريا عصفوريا أصفر

السهل بالخضرة ما أروعه والأفق المطر ما أوسعه

وكل واد أرضه ممرعه والرزق ميسور فعش في دعه

يا طيريا عصفوريا أصفر

الله للرزقة الناعمة من أفرخ عارية جاثمة

تحس بالأطعمة القادمة تجلبها في نشوة حالة

يا طيريا عصفوريا أصفر

تقضي النهار الحلوبين الجنان تسعى بروح مفعم بالحنان

لم تدر شيئاً في صروف الزمان والليل تقضيه يعش الأمان

يا طيريا عصفوريا أصفر

انظر إلى الورق—اه ذات النواح تبكي على عش ذرته الرياح
وافرخ ضاعت قبيل الصباح لا ارحل تحملها لا جناح
يا طيريا عصفوريا أصفر

لو أتقنت مثلك ذاك البناء واحتمت مثلك بعض العناء
لكان فيما شيدته النجاء فالعمل المتقن سر البقاء^(١)
يا طيريا عصفوريا أصفر

وما أعظمها من فكرة تحملها جملة «فالعامل المتقن سر البقاء».

الريف:

الريف مصدر الحياة البدائية التي تمثل ارتباط الإنسان بالبيئة من حوله فهو يرعاها، وهي تمدّه بضروريات الحياة وبعض كمالياتها، وأكثر الشعراء في العصور عاش الحياة الريفية ولذا فقد شكلت الحياة في الريف منذ فجر الأدب الإنساني مضموناً لأعمال أدبية—سواء أكانت شعراً أو نثراً— عند معظم شعوب العالم، فقد أهتم الأديب بالعلاقة العضوية بين الإنسان والأرض التي قدمت لماشيته الطعام في مرحلة الرعي، ثم الغذاء له في مرحلة الزراعة وحتى في مرحلة الصناعة كانت محاصيل الأرض ومنتجاتها المواد التي قامت الصناعة عليها، ولذلك فإن الأدب الذي يتخذ من حياة الرعاة والفلاحين، ومن مجتمع القرية الوادعة مضموناً له، لا يمكن يسعى للبحث عن حياة البساطة والبراءة والنقاء فحسب، بل ركز على حياة الإنسان في جوهرها الأصلي حتى يسطع تحت ركام التعقيدات والمتاهات التي أدت إليها الحياة في المدينة، ومن هنا كانت المقارنة بين حياة الريف وحياة الحضر قائمة بطريقة شبه مستمرة في أعمال الشعراء والأدباء الذين عالجوا حياة الرعاة والفلاحين. فإذا كانت القرية تمثل العلاقة النقية البريئة البسيطة بين الإنسان والطبيعة، فإن المدينة تجسد مأساة التعقيد والافتعال والاصطناع التي تجرف الإنسان دون أن يملك لنفسه موقفاً محدداً^(٢).

الشاعر الكويتي عبدالله خلف (١٢٩٢ - ١٣٤٩هـ) يصور رحلة الحج في عام ١٣٢٤ هـ على

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ٢: ٢٦٤.

(٢) د. نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي ٢: ٧٧.

الإبل في قصيدة مطولة يكشف فيها عن معاناة رحلة الحج وطولها .

فهو ينتقل من صحراء إلى صحراء كلما وصلوا إلى مكان السراب أسلمهم إلى سراب
ويقطعون الوديان، ويعلون الوهاد، ويردون الآبار، ويتعرضون للنصب، وتارة للوحوش وقطاع
الطرق، يمتطون إبلهم التي أنهكها طول الطريق، وقلة الغذاء، والصبر على الظمأ، وثقل
الأحمال، إنها تمثل حياة البادية المتقلبة:

فأرخ خرجنا عام ير المناهل
بضحوة أثنين يعير كوامل
وقد كسيت أرض الفلا بالغلائل
من السنسد المخضر فوق الجمائل
يحلو غدير سلسل في المسائل
وغودر ملأنا بتلك السوايل
خفافا وللأعداد ثقل الزلازل
لهم في وجوه الخير خير التواصل
وقصدي بدا المنظوم عد المنازل
قضاء لبانات أجل الخصائل
وضمر حسان من عمان أصائل
لنيل حجيج مع زيارات كوامل
لقلعة علم في ركوب الرواحل
إذا كان عقباها حميدا لفاعل
وتقرى خطاها البيد فري المناضل
على تركها الصمان يسرى المنازل
(بريدة) ذات النخيل دار الأمائل
وأولاهم للخير من غير فاصل
لثانية في ست وعشر مراحل
لها النصر منصوب على ذي الفوائل

حججنا وإن تسأل متي عام حججنا
خرجنا وشوال مضى منه عشرة
وسرنا ولطف الله خير مرافق
غلائل من نسج النبات كأنها
وكم موضع جئناه والغيث غائنه
وكم مورد يرتاد والقطر عمه
ولي رفقة كانوا رفاقاً لصحبهم
أكارم لا يهـوون إلا مكارمها
ولولا يطول النظم عدت ذكرهم
وذكرى إذ كنا على الهجن ترتمي
ركبنا على أكوار نجب حرائر
ورحنا نجد السير والكل شيق
وإن كان مثلي يزعم السير دأبها
فكم محنة في ضمنها كل منحة
وما برحت تطوى شعاباً وأجرعها
ومرت على الدهناء عمدا وصممت
إلى أن بنا حلت (قصيما) ويممت
أعزله العرش بالدين أهلها
بذي قعدة يوم الثلاثاء وصولنا
أقام بها ركب الحجيج وراية

فالحاج في رحلة حجه بدوي دائم الارتحال.

عاش الجيل الأول من المبدعين في الجزيرة العربية الحياة البدوية والقروية، وعاشوا في الصحاري الممتدة، يرعون الأغنام والإبل، ويسظلون ببيوت الشعر، ويتغذون بألبانها ويمتطون ظهور الإبل.

ويتربى الأولاد على العمل مع المواشي يرعونها، ويألفونها، ويجتمعون معها ويتآلفون، وتتعلم البنات طرائق شتى لصناعة الألبان والسمن وطرائق للأدخار، والأطفال يمرحون في الفضاء، لهم ألعابهم التي تربي فيهم القوة والمنافسة، والفتيات ألعابهن التي تناسب غرائزهن، يصف الشاعر الكويتي أحمد العدواني المولود عام ١٩٢٢م تلك الحياة البدوية في قصيدة بعنوان (صفحة من مذكرات بدوي):

كنت هنا.. وكان لي بيت من الشعر
تسجته، صنع يد، بالصوف والوبر
نام على رابية .. «مخضرة الطرر
تؤمه الضيفان، بين مرتقى، ومنحدر
والشمس تضتر له، ويضحك القمر



كنت هنا .. وكان لي على الحمى مقر
ملاعب الربيع بالأعشاب والزهر
فرح في أرجائها الأغنام في بطر
قد سرحت فاجترت أطايب الثمر
وعبرت بنزق عن عيشها النضر
تباركت تلك الشياه، ما نمي خيرا
زاد حياتي كلها.. من جودها انهمر
اللين المخي، بالزبدة قد خثر
وربما طبخته، بالنار فانشمر
وعاد إقطاً ملء سقف بيتي انتشر
كقطع من اللجين، سلكها انتشر
لذيذة مسعفة بالحل والسقر

(١) نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي، ١١٥

فما مضى وصف لصناعة الأقط قل أن نجد لها مثيلاً في الشعر العربي:

وللصبايا لعب يمضي بلا حذر
تواثبت فيها الحياة وثبة الظفر
فانطلقت باسممة الأصال والبكر
مثل فراشات الربيع، لونها سحر
كم عبتت بكلمي الأمين فانزجر
أوشلها فعثرت.. وبان ما استتراً
فانقلبت ضاحكة، لكن على خفر



أما ليل الحياة الريفية فالكثير منه للراحة والنوم وقليله في أوله لتحضير العشاء وحلب الأغنام، ويجتمع الرجال والبنين من أهل الحي أو البيوت المتجاورة في منتديات ليلية يتصدر متقدمي السن المجالس، ويمسكون بزمام الأحاديث التي تدور حول قصص الآباء والأجداد، وتكشف عن بطولاتهم، وأسفارهم والأبناء ينصتون وتلتهب مشاعرهم، فتتزعج في تكوينهم الذهني ويتأجج وجدانهم كلهم، ومن هنا تحصل التربية المباشرة ليلاً، والعمل صباحاً:

ولي إذ جنّ الدجى .. وائتلف السمر
مع الصحاب مجلس بالأنس قد عمر
تدور فيه قصص عن زمن غير
عن الجدود والأولين، من معد أو مضر
وكيف رام عنتر.. عيلة فانتصر
وكيف ساد حاتم وسيببه غمر
مناقب فيها لنا الحكمة والعبير



يا ليت شعري... ما أرى؟ ما فعل القدر

ملاعب الربيع قد حلت بها الفير

عاش الجيل الأول من المبدعين في الجزيرة العربية الحياة البدوية والقروية، وعاشوا في الصحاري الممتدة، يرعون الأغنام والإبل، ويسظلون بيوت الشعر، ويتغذون بألبانها ويمتطون ظهور الإبل.

ويتربى الأولاد على العمل مع المواشي يرعونها، ويألفونها، ويجتمعون معها ويتألفون، وتتعلم البنات طرائق شتى لصناعة الألبان والسمن وطرائق للأدخار، والأطفال يمرحون في الفضاء، لهم ألعابهم التي تربي فيهم القوة والمنافسة، والفتيات ألعابهن التي تناسب غرائزهن، يصف الشاعر الكويتي أحمد العدوانى المولود عام ١٩٢٢م تلك الحياة البدوية في قصيدة بعنوان (صفحة من مذكرات بدوي):

كنت هنا .. وكان لي بيت من الشعر
نسجته، صنع يد، بالصوف والوبر
فام على رابيسة .. «مخضرة الطرر
تؤمه الضيفان، بين مرتقى، ومنحدر
والشمس تفتتر له، ويضحك القمر



كنت هنا .. وكان لي على الحمى مقر
ملاعب الربيع بالأعشاب والزهر
فرح في أرجائها الأغنام في بطر
قد سرحت فاجترأت أطايب الثمر
وعبّرت بنزق عن عيشها النضر
تباركت تلك الشياه، ما نعى خبر !!
زاد حياتي كلها .. من جودها انهمر
اللبن المحي، بالزبدة قد خئر
وربما طبخته، بالنار فانشمر
وعاد إقطاً ملء سقف بيتي انتشر
كقطع من اللجين، سلكها انتشر
لذيذة مسعفة بالحل والسقر

(١) نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي، ١٤٥

فما مضى وصف لصناعة الأقط قل أن نجد لها مثيلاً في الشعر العربي:

وللصبايا لعب يمضي بلا حذر
تواثبت فيهما الحياة وثبة الظفر
فانطلقت باسممة الأصال والبكر
مثل فراشات الريح، لونها سحر
كم عبثت بكلمي الأمين فانزجر
أوشها فعثرت.. وبان ما استتروا
فانقلبت ضاحكة، لكن على خفر



أما ليل الحياة الريفية فالكثير منه للراحة والنوم وقليله في أوله لتحضير العشاء وحلب الأغنام، ويجتمع الرجال والبنين من أهل الحي أو البيوت المتجاورة في منتديات ليلية يتصدر متقدمي السن المجالس، ويمسكون بزمام الأحاديث التي تدور حول قصص الآباء والأجداد، وتكشف عن بطولاتهم، وأسفارهم والأبناء ينصتون وتلتهب مشاعرهم، فتتزرع في تكوينهم الذهني ويتأجج وجدانهم كلهم، ومن هنا تحصل التربية المباشرة ليلاً، والعمل صباحاً:

ولي إذ جنّ الدجى .. واثلف السمر
مع الصحاب مجلس بالأنس قد عمر
تدور فيه قصص عن زمن غبر
عن الجدود والأولين، من معد أو مضر
وكيف رام عنتر.. عبلة فانتصر
وكيف ساد حاتم وسيبته غمر
مناقب فيها لنا الحكمة والعبير



يا ليت شعري... ما أرى؟ ما فعل القدر
ملاعب الريح قدحلت بها الفير
عفى على آثارها .. ناس من الحضر

(١) العواد، الديوان، الجزء الأول، نحوكيان جديد، ٢٧ .

شادوا عليها لهم القصور من حجر
كانها مقابر... معكوسة الصور؟!



كنت هنا ... وكان لي بيتٌ من الشعر
وذكريات نضحت من زهرة العمر
الحب فيها والمنى... والظل والشجر
واليوم ... ما لي ها هنا... بيت ولا أثر^(١)

تلازم البناء الفكري والعمراني في جزيرتنا في زمننا الحديث، فالأجيال التي رأت النور في منتصف القرن الرابع عشر الهجري ومنتصف القرن العشرين الميلادي، شهد التطور في مناحي الفكر، كما رأت الصحاري والفيافي وعاشت حياتها لكنها ما لبثت أن رأت البناء العمراني يلتهم الصحراء، ويغطي فيافيها وقد تجسد ذلك في مدينة العين بالإمارات العربية وفي سائر الإمارات بل في دول الخليج الستة، وهذا الشاعر العتيبة الذي حمل مسؤولية الوزارة ينبض بالماضي ويصور الحاضر، فيتذكر نشأته في ربوع الصحراء ورياحها العاتية، وعاش في مراحل حياته الأولى معاناة الحياة الصحراوية، ولكنه انتقل إلى التعليم فعانى من الغربة ما عانى شأنه شأن آلاف من أبناء الخليج في تلك المرحلة تلك ظاهرة دونها الإبداع الشعري والقصصي والمقالة الأدبية يقول العتيبة شعراً:

جئتك الليلة وحدي شاكياً	بأذلاً دمعاً به كنت الضنينا
لست أبكي لك عمراً ضائعاً	لا... وما عشت حياة الضائعين
غيراني اليوم محتاج إلى	راحة القلب فماذا تمنحينا؟
يا رمالاً عشت فيها زارعا	بيض آمالي وأحلامي سنينا
إن تكن آمالي البيض انتهت	فرؤى أحلام عمري قد بقينا
يا رمالاً في أبو ظبي العلي	دُمت للأحرار من شعبي عرينا
هو ذا صوت شعوري شارح	لك تاريخ الرجال المخلصينا
من تحددوا شظف العيش ولم	يتركوا الصحراء إلا مرغمينا
عشت في الغربة في أعينهم	وهم في البعد كانوا الأقربينا

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ٢: ٤٨

سببت من قسوة ليل المبعدين

كنت طفلاً يوماً لها لكنني

أسعد الإيمان فيها المؤمنينا^(١)

وتراءت لي بلادي جنة

والشاعر في الخليج يتنقل بين هبوب الرياح في الصحراء إلى قذف الأمواج في البحر فيفتح الشاب بصره وبصيرته على حياة البحر، يطلب الغذاء اليومي تارة، ويخوض عباب البحر إلى الأعماق طلباً للجواهر الثمينة في رحلات تحفها المخاطر من قاع البحر ومن سطحه، ومن أمواجه، ومن وحوش البحر المتربصة بالقوارب الصغيرة التي لم تحمل أي مقوم من عوامل النجاة المعاصرة:

موطن الخير وأرض الخيرينا
كان غير الحب في البلوى معينا
مستعيداً أغنيات المبحرينا
درب عز للرجال القادرينا
حينما أشرع في البحر السفينا
حيث كانت لسفين الغوص مينا
أغنت الفواص عن أن يستدينا
يفتني حيناً ويغشى الفقر حيناً
بانياً مستقبلاً يرعى البنينا
لؤلؤاً يضحك أو يبكي سجيناً
ان ترى بأس الرجال الغائصينا
لرجال الغوص بل تخفى كميناً
بدلوا أرواحهم مستشهدينا
ويعيشوا في سواها لاجئينا
تشرح الإيثار للمستكبرينا
يتلهى عنه جيل المترفينا
حركت رأسى شمالاً وبميناً
فوق بحر الدمع ينساب حزينا^(٢)

حبه الأول ما كان سوى
علمته الغرية الحب وهل
ذكر البحر ورحلات العنا
حين كان الغوص في أعماقه
لم يزد عمر الفتى عن خمسة
وولدنا، سار مع والده
حولها أغنى الغاصات وما
بجمع اللؤلؤ من قلب الردى
وهو في الحالين يحيا راضيا
ليس في كل المحاسرات يرى
ووحوش البحر لا يسعدها
وهي لا تبدي عدا كامننا
كم تحدى الموت أجدادي وكم
همهم ألا يضيعوا أرضهم
من يزر «دنا» يجسد آثارها
حفظوا بالدم أعلى موطن
آه من ليلة ذكرى مولدى
جعلت من ذكرياتي زورقا

(١) الرسالة الأخيرة ٥٢ .

(٢) د. مانع سعيد العتيبة، الرسالة الأخيرة، ٥٢ .

والشاعر القطري ماجد بن صالح الخليلي (١٢٩٠ - ١٣٢٥هـ) يمثل حياة الإمارات الخليجية في مستهل النهضة، فقد كون ذهنيته من التراث العربي وحفظ دواوين الشعراء القدامى، وهو عايش تلك الحياة الريفية، التي لا تخلو من الانتقال ومن الغزوات الداخلية. وتارة يلجأ إلى الفوص وهو يصور حياة الديار وإطلالها وهطول الأمطار، وتتابع ديمها، ويعرج على الصحراء ويصف وحوشها:

صلى عليه الله ثم سلماً	عد الحصى ثم الثرى والنعماً
كذلك آل ثم أصحاب راوا	وجه النبي ثم اتباع أتوا
مر على قرية كان يسكنها فأنشد:	
أرى الدار بعد الظاعنين تنكرت	عن العهد من طول الزمان خراب
لها خمس أحوال وعامين ما ضرب	بها الحي من تحت الهضاب أطناب
تلوح المآثر في بقايا رسومها	كما لاح في الطرس القديم كتاب
وقضنا على الأطلال حتى تضجرت	كواكب دمع بالجفون سكاب
أسائل طللها عن أهلها فلا أرى	خبير ولا من به يرد جواب
سوى الذيب يعوي في مغاني ربوعها	أو تغريد ورق مع نعيب أغراب

الشعراء يصورون الحياة الاجتماعية، فقد كانت بداية النهضة، وجد الناس في طلب المعرفة وجمع الكتب، في بيوت واسعة يكون بجانبها حظائر الأغنام والأبقار، بل تجول السائمة في الطرقات والمعابر وتدخل البيوت في كثير من الأحيان فتلتهم الأغذية، وتعرج على الكتب وما أكثر ما أتلفت منها يقول الشاعر صقر الشبيب عن عنز أكلت مكتبة صديقه:

كلوا عنزكم من قبل أن تفتى الكتب	وتأتي أمراً ثانياً يسخط الصحبا
وأرضو هموا عنها يناضج لحمها	على أرز يقدو له حشوه حجباً
ولا يمسحوا الأيدي بغير شعورها	إذا ما قضاوا من أكل مطبوخها الإريا
ولا تتخذ من جلدها غير جورب	ونعل كما يقضي الهوان إذا أرى
فإنك إن تفعل بهاماً ذكرته	تعف كل عنز مثل فعلتها رهبا
ولا تخش فيها يا حسين ملامة	فلا لوم في أم التويس ولا عشباً
وسائل بطون القوم عما أقوله	يجبئك إن الحق هذا ولا ريباً

(١) ماجد الخليلي، ديوان الخليلي، ٦٢.



ولم تمنعوا عنها الشعير ولا العسب
إذا مزجوا بالشاي منه لك القعبا
إذا ما أكلناها يعضك بها سرياً^(١)

وما خير عنز تجعل الكتب مرتعا
ولا تدكر منها الحليب وطيبه
فإننا نلرجو من حباك بشرها

يستمتع أهل الجزيرة بالقهوة من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، فهي مشروب مجالسهم ومنتدياتهم، لها تقاليدها، ولها كيفية الإعداد الخاص بها ولا زالت تحتل المكانة الأولى في درجة الضيافة العربية، يقول الشاعر القطري ماجد الخليفي عن القهوة وأثرها في النفوس:

ومذهبة الأحزان والهم من صدري
وانس الندامى في البداوة والحضر
ولا سيما يا صاحب في الظهر والظفر
عروس بدت في بعض أطياها القطر
يمانية والزعفران لها عطر
توهمت أن الشهد فيها من الخمر
شربنا فيشفينا البهار من الخمر
ولا تسقني أم الخبائث والشر
طربت مكان العود من رنة النجر^(٢)

ألا فاسفني يا صاحب طيبة النشر
وجامعة الإخوان في كل محفل
تهش لرأها النفوس إذا بدت
فتذهب من الهم حتى كأنها
ترش بماء الورد قبل قدومها
إذا ما لثمت الكأس ثم رشفتها
إذا ما جرى خمر الكرى في رؤوسنا
فتلك اشتياقي فاسقني صنو قهوة
وإن يطربن بالعود قوم يشربها

والريف له حضوره في الأدب المعاصر، لا سيما في أدب الخليج العربي، القريب عهد به، والريف يمثل تراثاً تاريخياً وفكراً متواصلاً مع المعتقد الديني والعلاقات البشرية، وقد كشف القاص المعاصر عن الريف والرحلة فيه ومن أشهر الروائيين الذين نقلوا المعالم الريفية في قصصهم القاص عبدالعزيز مشري، وخليل الفزيع، وقماشة السيف، ومريم الغامدي، والشعر له ميدانه الأقل مساحة، وقد وجدنا له ملامح عند الشاعر محمود عارف من مكة المكرمة، وعند الشاعر علي النعمي من جازان، ومعيض البخيتان، وعبدالرحمن السويداء من مدينة حائل، ومما قاله محمود عارف:

هنا هنا... مضارب الصحراء
ناهيك مهد العرب العرياء

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ١: ١٤٩ -

(٢) ماجد بن صالح الخليفي، ديوان الخليفي ٦٠ -

منطلق الفخار في الأبياء
ومجتملى الأمم جاد للأبناء
والبدوي في حمى البيداء
بشباته يمرح في هناء
في مرتع الحشائش الخضراء
يحتمل القيظ من الرمضاء
وفارس البرد من الشتاء
ينعم في التجوال بالحاء
من غير ما زاد له أو ماء
وينتشي بالغيمة الوظاء
تغمدق بالمزن من السماء
فبيزرع الدخن بلا عناء
والقمح في تربته السمراء

ف عناصر الحياة الرعوية أرض منبسطة، وسمااء ممطرة، وشاة وابل متناثرة، ومزارع متباعدة، وإنسانها يحترق بلهيب الحرارة، وينكمش من وطأة البرودة، وتارة بحدو عمرانها، وحفر آبارها، وسقيا دوابها.

ويمضي إنسان الريف يومه جارياً وراء ماشيته، أو راكباً دابته، أو راعياً إسائمه في حياة واضحة لا خفاء فيها.

يلتحف السماء كالغطاء
وينشد الراحة باسترخاء
وفي الدجى ينعم بالإغفاء
إذا صبحاً يصمدح بالفناء
على غبيسط ناقة عنراء
أو جسمل مستور رغاء
على رمال غضة صفراء
من مشرق الشمس إلى الظلماء

أمجاده من عبقر الأيحاء
معلمة في ساحة البناء
يصنعها من روحه السماء
من شمسه الساطعة الأضواء
متن بدره المشرق في الأرجاء
من ليله الحالك في الظلماء
من أنجم تسبيح في الضياء
شعراً ونثراً خالد الأصداء
قد صاغه التاريخ في الآباء
معمجة الأيام للأبناء
يعرفها الناس بلا استثناء
في ساحة الجزيرة العاصماء^(١)

ومن الشعراء الذين عاشوا شمال الجزيرة الشاعر عبدالرحمن السويدي، وقد سجل الحياة في شمال الجزيرة في أدبه النثري والشعري، وله مجموعة من المؤلفات جمعت الحكايات التي تمثل جوانب الحياة القروية والبدوية وأصدر عدداً من الدواوين تصور الحياة في الشمال في المرحلة الحديثة والمعاصرة، في السويدي يصف الحياة القروية القديمة وتأثرها بالأمطار وتعاضد المتجاورين في أعمال الزراعة والرعي والبناء، وتالف الناس، وتقاربهم في أحوالهم:

إذا همل السحاب على الحدود	فقد نثروا الحبوب على الصعيد
وشقوا الأرض «بالشرخ» المدني	تجاذبه العتاق بكل جيد
وسطرت السواعد في قفاه	حياض الري للأمد البعيد
وغنى الزارعون نشيد حب	بما صاغوه من عذب النشيد



وقد نصبوا على البشر السواني	لمتح الماء من غير امتهان
بأشطان تجاذبها هجان	من الإبل المعتقة السمان

(١) محمود عارف، ترانيم الليل ٢٢٦.

شجي قد تعمق بالمعاني
وتضحك حين تسكب بالتواني
ليجنوا العشب من غض النبات
وقد سرح الشباب مع البنات
على الأسماع أحلى الأغنيات
عن التلويح نحو المكرمات

وعزف للمحال بكل لحن
تئن إذا تحملمها دلاء
شباب في الفلاة
لقاءات تتم بلا انقطاع
بلا حـرح تغني كل صب
وقد راعوا بقربهم التئاني



تتوجهها السنابل بالمتون
وهي مسوجاته صيغ الفنون
رؤى الفنان تبرز للعيون
كذا يجني المجد بكل حين

وامسرت الزروع بكل لون
يداعبها النسيم إذا تهادى
فيرسمها بريشته سطورا
ووسوسة السنابل هامسات

ويشير إلى عملية الحصاد وموسمه الذي يضح بالعمل، ويتجلى فيه روح التعاون والتآزر، وتعلو فيه أصوات الحداء.

مناجلهم تسابق بازياد
بألحان لنشوتها تنادي
وقد دانت ثمار للحصاد
إلى جنب البيادر في السناد^(١)

ذبول الزرع ميعاد الحصاد
يبادره الشباب مع الصبايا
فما أحلى الحصاد لكل جهد
وأكداس كأشربة الصواري



فقد ضربوا البيوت على إطراد
يقبهم برد أيام شداد
شياه خلف نوق في البوادي
وما صنعوه من أصناف زاد

فلا حمل بشظ على الشداد
قد اختاروا بسفح الطود كنا
فكل فقد تنعم في مراح
سحى إنتاجها درا طريا

وهو يصور معالم الاجتماع في الحياة الريفية، فهناك دلائل لها، فهم يتفقون على تنقل المنتدى بين القادرين، وغالباً ما يكون هناك أوقات للاجتماع عصراً، ومساءً، وفجراً.

(١) عبدالرحمن السويداء، لوايح ١٨٢، حتى ١٩٥.

قد اجتمعوا إلى قرب الدلال
بصاف البين مشروب الرجال
يديرون الشئون بلا كلال
لحرب أو لسلم أو مقالي

دبرف، البيت مأوى للرجال
دعاهم صوت «نجر» حين يدوي
فهذا مجلس الشورى لديهم
ويتخذون رأيهم جميعاً

وتجف الغدران في الصيف، وتتضب موارده إلا من الآبار العميقة والبهائم تحتاج إلى المياه في يومين أو ثلاثة فيما يسمى بالغب والرياح والخمس والسدس والإبل هي التي تقوى على أكثر من الغب، ولذلك نجد الأعراب يقتربون من الموارد الثابتة، ويتنازعون على المياه، والمراعي، ويتسابقون على سقيا البهائم، وتحدث تجمعات على المياه، فيتفارقون ويلتقون، وتارة يتنازعون ويتشاكسون ويتضاربون وأحياناً يتقاتلون.

والمنظر العام يكون من توافد الإبل والأغنام من كل جانب، وانتظارها حتى يصدر الرعاء الذين قبلها، وربما تجف البئر، وينتظرون أن تجم المياه.

وينزح الماء من الآبار بواسطة البكرة أو الرشاء والدول، وهناك المياح وهو الذي يملأ الدلاء داخل البئر، والذين ينزحون الدلاء هم الرجال الأقوياء الأشداء يتعانون تارة ويتفردون أخرى، والدلاء مكونة من جلود الأغنام، وصغار الإبل.

ولوى الغصن من عشب المعالي
ورام الورد أرياب السحجال
حداها الصيف للماء الزلال
كيوم الحشر تسقيها المدالي
وكل قد تمنطق بالرشاء
ليسكبها بأحواض السقاء

إذا ما الصيف خيم في الجبال
تراحمت الظعون بكل حمل
تواردت الميــــــــاه بكل فج
وقد خلطت حنيننا في ثغاء
على الآبار جيدة العطاء
أجاد المنح من أعماق بئر



أحست بالحياة ترشف ماء
وأروها بأفــــــــــــــــواه الدلاء

قد اكتضت على حوض رؤوس
حداها الحر والمرعى المولي



طربنا من صداها إذ سمعنا
من الإيقاع ترديدا ولحنا

أهازيج لها في النفس معنى
على متح الأكف بكل محص

عسى الذكري تقسربه لعنى

فكل في حبيبته يفنى

فأسرع في انتشال حين أدنى^(١)

تخيلها بشاع الجم لاحت

يستذكر الشاعر عبدالله العجلان الحياة التراثية القريبة العهد في بلاد الخليج تلك الحياة السائدة، قبل اكتشاف آبار البترول، فيحكي حياة الفياض الشاسعة، والمفاوز المهلكة، والخيام الممتدة، والمنتديات العامرة وعبق الهيل والقهوة، وصفوف أواني القهوة، والترحاب بالضيوف الذين ضلوا الطريق، وأفزعتهم المخاوف، وتضوروا سقبا وجوعاً. فإذا هم بالبازلين المعروف الكرماء مع قلة المال:

قبل البدايات قبل الريح والحقب
بالأقحوان ونبض الرمل في هدبي
زهو الرحيل وميعاداً لغترب
وأومات غيمة للظائم - اقترب
قلبا أشد وخطواً تائر الغضب
أثر الدروب، وصوت الشيخ يهتف بي
ملئي الحنين وخلي مفرغ النوب
ما نلن من غضبي الزاهي ولا صخبي
وموعد الحلم في مستوفز السحب
حباً بحب وما في الحب من عجب
وهومت بالقوافي هزة الطرب
يا عابق الهيل حدث «واهج» الخطب
فقد تذر عن خوف وعن سغب
ألقوا الرحال فهذا موسم الخصب
تذثروا في دمي.. استوطنوا عصبى
إليك روحاً بغير الموت لم تطب
لم تنبوا عما به همت ولم تحب
عصماء لم تنحن يوماً لغتصب^(٢)

أنا هنا .. قبل بئر النفط كنت هنا
اطوي المدى وجراحاتي مضمدة
ونجمة الصبح في قلبي معلقة
أني استدرت تلقائي المدى ظلاً
اطوي الذرى جرحاً كالشمس منفعلاً
تنأى الدروب ووهج الحلم يسكبني
خرس المفايزات كم اقلقتهن سرى
تموج حولي الليالي الهوج نافرة
عباءتي، خيمتي، البيد... مملكتي
أحد أرضي وأرض الطهر تعشقني
إذا سجي الليل أيقظت الكرى شجبا
و«للمعاميل» حول النار موعدها
وإن دنا طارق أو صاح ملتجىء
يا عابرين فجا الحزن من رهق
تذثروا في دمي ريح الشمال أنا
متى دوى الخوف مرأ صحت هاأنذا
رفعت كفاً لغير الله ما رفعت
وقامة كالشعاع الصلب سامخة

(١) المرجع السابق، ١٨٦ -

(٢) عبدالعزيز العجلان، أشياء من ذات الليل، ١٢ -

سابعاً: الكون والإنسان

• تمهيد

• معالم الكون

• الموت

• الاغتراب

• القلق

• الذكريات

الكون أحد مصادر الفكر الأدبي قديماً وحديثاً، فقد خلقه الله خلقاً فوق قدرة الإنسان وسائر المخلوقات، بل فوق قدرة التراكم المعرفي للبشر عبر الأحقاب، «لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي»^(١) إن هذا الكون بمخلوقاته العلوية الهائلة وطبيعته الصامتة الكثيرة، وأشجاره المتنوعة الأشكال والأذواق والأحجام، ومياهه ذات العوامل الحياتية، وهوأويته المتعددة الوظائف وإنسانه هذا الكون كله سخره الله ليعلمه بعضه بعضاً، ويستفيد بعضه من بعض، وحين خلق الإنسان، أنزله الله إلى هذا الكون بعقل متدبر لينظر ملياً فيغذي الفكر، والبدن، والإنسان عالم بذاته. وهو عالم بتشكله مع الكون، فالعقل البشري يدرك ما يدرك، ويجهل الآفاق الأرحب، ومن هنا فإن الله ساعد هذه البشرية لفهم كثير من معالمة بإرسال الرسل الذين اهتدوا وهدوا من أراد الله من البشر، ولكن الله ترك مجالات فسيحة لعقل البشر، فهو يتأمل كيف يتعامل مع الكون وكيف يتعامل الكون مع الإنسان، وقد اعتمد الفلاسفة على عقولهم فأدركوا أن هناك خلقاً هو الأعلى والأكمل، لكن الفلاسفة وسائر البشر ظلوا عاجزين فضلوا وأضلوا أيضاً فكر غيرهم. إذن فهم أحوج إلى الهدي الرباني الذي أنزل على رسله وهم يدركون ذلك لأن كل محاولات الفهم والرفض «أو اليأس كانت تأكيداً ملموساً لعجز الأدباء والمفكرين أنفسهم عن فهم علاقة الإنسان بالكون، فالقضية تكمن أساساً في أن طموح الإنسان يبدو، وكأنه أكبر وأشمل وأعمق من قدراته العقلية والروحية، فهو يحاول استيعاب كل شيء وعندما يعجز في مهمته -وهذا شيء محتمل دائماً لطبيعته البشرية الناقصة- فإنه سرعان ما يلوم الكون نفسه ويتهمة بالخلل وفقدان المعنى والجدوى، في حين أن قوة الإنسان لا تتجلى إلا في ساعات اعترافه بضعفه، ولكنه لا يريد أن يعترف أنه مجرد جزء من كل، وأنه من المستحيل على الجزء أن يستوعب الكل، فقد استمر الإنسان الفكرة التي تؤكد أنه محور الكون كله، فهي تشبع غروره وتثبت وجوده، وتدعم كيانه وسط هذا الكون الشاسع الغامض المحير»^(٢)

والشاعر في هذه الجزيرة مصدره الوحي لأنه يدرك عجز العقول البشرية عن إدراك كنه الكون المحقق به، لكن هذا التفكير ضرورة حتمية، بل توجيه رباني، وغاية عقلية بينغيها أولو الفكر من البشر، فمنهم من يلتمس التوجيه الرباني فيعود إلى الحقيقة والحق، ومنهم من

(١) الكهف ١٠٩

(٢) نبيل راغب، موسوعة الفكر، ١٤٥

يأتى إلى عقله فحسب، فبيندي حيناً ويضل أحياناً، ومن أعمق الشعراء فكراً الشاعر محمد حسن العواد الذي يكشف عن ماهية الفكر الإبداعي فيقول في قصيدته (سر الطبيعة والحياة):

ثم هذي الرياح تدوي شمالاً
ثم ذا البحر في هدوء إذا شاء
ثم في البحر بعد جزر ومد
ثم تسري سيارة الأرض حول
ثم هذي الأجرام تشرق ليلاً
ثم هذا الخسوف والكسف يعرو
ثم «نبتون» غامض السر عناة
ثم نحيا على البسيطة جبرا
ولم الموت كالحيياة يكره
أترى الفلاسضات والدين والعلم
هل أفاقت عقولنا من سبات
نحن كالأولين نحيا دواليد
وتدور الحويياة والشمس
وسيبقى سر الحويياة معمي



رب آمنت أنك القادر الضمر
ونهاننا نار الحويياة في الليل

والتأمل في الكون ميدان فسيح، مُشرِّع الأبواب أمام التبدر العقلي، ذلك الكون الجميل في خلقه المحكم في بنائه، المتناسق في تكوينه، المتلاحم مع بعضه، الذي يدل على ملكوت الخالق البارئ المصور، فهذا الكون العظيم الذي يذهل المتبصرين والعلماء الباحثين والحكماء المتأملين الذين اهتموا بعقولهم إلى الخالق المدير وقد دعا إلى التدبر من أجل القناعة:

اتظن ان الكون هزلاً قائماً
فعلام نشهد في الوجود روائعا

م، وأوهى من الحويياة ناراً^(١)
أم قصة من غير معنى نشهد
ناموسها - فيما نراه - موحد

(١) العواد، الديوان الجزء الأول، نحو كيان جديد، ٢٧

والعلم أوضح للمضلل آية

جعلته في محرابها يتعبد



تلقي التوازن في النقائص مسائلًا

في كل مخلوق يراه المبصر

تعطي وظائفها، وتسلك دربها

والعقل من سير النقائص يبهر

تمضي الكواكب، في سباق مذهل

والكون يمضي بالجميع ويعبر

ما ضل نجم في السرى عن دربه

أو ضاق في هذا التراحم معبر^(١)

يؤثر الدين الإسلامي وتوجيهاته الربانية في تكوين الذهنية الفكرية لدى أبناء الخليج وأبناء الجزيرة من أقرب الناس إلى فهم الحياة، واستيطان أسرارها بفعل الاستلهام التشريعي الذي يدرك أن الحياة كظل زائل، وأنها حياة مكابدة يعيش الإنسان في كبد، وأنها دار ابتلاء واختبار، وأنها متقلبة المزاج، وأن نعيمها زائل وشقاؤها ثابت. والحياة المعاصرة أكثر تشكابكاً، وتقلباً، وأكثر معاناة فكرية ووجدانية، فالإنسان المعتدل هو الذي يتعايش مع هذا الواقع ويطلب النجاة إلى الآخرة والشاعر الكويتي عبدالله زكريا الأنصاري يستلهم اضطراب الحياة، ويتخيلها تدور بالإنسان، ومدلول (الدوار) أن يفقد الإنسان وعيه حتى يخرّ صريعاً، فالدنيا دائمة الدوار شأنها شأن الكرة الأرضية التي تدور:

دعها بمعترك الحياة تدور

فالعيش زيف والأنام قشور

دعها تدور تدور حتى تنتهي

ويضها في صمته الديجور

دعها تدور بكل أروع ناصع

وبكل أحشاء العلاء تمور

دعها تدور بحالك من حالك

في حالك فيها الزمان عسير

دعها تدور ولا يقر قرارها

وأنربها الدنيا وأنت جسور

واجعل بها دنياك جد عزيزة

فقليل أيام العزيز كثير

فرضت عليك ولست تملك أمرها

فلا أنت مغلوب بها مقهور

فاضرب بها كبد الحقيقة مهما

في مهمة عمر الحياة قصير

لكن النجاة تكون ببناء عقلية واعية متأملة متدبرة، تستطيع أن تميز الأشياء وتخطي العقبات، ولا تلوى على العقبات، ولا تبالي بالعثرات، إنما العقل المستريب الذي يصل إلى الحقيقة يمثل حزام الأمان للإنسان اليوم:

(١) إبراهيم الفلاني، طيور الأبايل ٧٢

فالمراء بالذكر الرفيع ينيسر
ما دمت في الحق المبين تسير
أسس الحجى وبها الحياة تتور^(١)

فأنر يفكرتك كل دريا حالك
لا تبتنس من كل لومة لائم
إن الصراحة والنزاهة والعللا

ومن أشهر الشعراء الذين عاشوا في الكويت الشاعر محمود شوقي الأيوبي (١٢٢٠ - ١٣٨٥هـ) وهو تنقل كثيراً في البلاد العربية، والتقى بالملك عبدالعزيز آل سعود وأعجب الشاعر بهذا الملك العربي، ومدحه كثيراً، ووثق عرى الصداقة مع الشعراء والأدباء في السعودية ثم بعثه الملك عبدالعزيز إلى شرق آسيا فاستقر في أندونيسيا يدعو إلى الخير والإيمان، وتزوج هناك وأنجب وتجاوزت مدائحه في آل سعود مجلداً من المطولات والشاعر طويل النفس يفتق المعاني ويجيل البصيرة في الكون يتأمل في البحار والأرضون، والإنسان والحيوان ويتبصر في تلك العلاقات الكونية والأحوال البشرية، يقول:

أحلامها مؤتلفة
أسطورة منة
أمواها مطوقبة
تصل فيهما الحدقة
بكل نفس مسفرقة
بأنها متفرقة
يتان فيهما مبرقة
راو مدى ممتشقة
كأجيل منفلقة
أجنحة محتفة
صحنائف مزوقبة
بالأنس البهيج محدقة
ها النعمميات المشرقة
مفمرنال الثقة
في اللج يجسري زورقه
فيه بروح مشففة

إن الحياة شيقبة
محبوبة كأنها
بحارها زاخرة
تحيط بالأرض وقسد
أعماقها مملوءة
تسبح في جناتها
الدر والمرجان والح
كأنها سهام نو
أمواجهها صارخة
فتارة كأنها
وتارة كأنها
زرقةاء كالبور
(حورية زرقاء) في
يجري على طائر
صبياده مملق
والسبائحون أوغلو

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢، ٢٤٩



من الحديد مخرقة
مجهولة مخرقة
اليا) ثم نحو (أفرقة)
يكا) بلاد الدقة
(جزائر) مفرقة
وتارة مشرقه
وتارة مشرقه
لكل شعب منطقة
بأ آخر ليحقة
أوصاله ممزقة
وروحه مزهقة
وأمم مشقة
نسير فسوق بندقة
نهوى، وأخرى زحلة

سروا على مراكب
تمخرف في مجاهل
من (آسيا) واستر
ومن (أوروبا) نحو (أمر
ما بين هذي كلها
فتارة غربية
وتارة مجموعة
تضم في أرجائها
فيهم يسود شع
وبعضهم في ربه
رقاعة حكومة
سياسة جائرة
كأننا في أرضنا
فمصرة إلى الهوى



ة في الليالي الريقة
ع روحه مخرقة
للأنف المخرقة
الصحائف المخرقة
قودها مشقة
ورد الرياض المورقة^(١)

حلق إلى جو الحيا
البدر سيال الشعاع
يبعث سحراً منعشاً
يموج بالإشعاع في
عرائس النور به
وجناتها كأنها

ويناجي الشاعر محمد حسن فقي الكون طويلاً، فقد أخذ يحاوره، ويستبطن معالمة ودلالاته، بل يحاوره يسير غوره ويمنح العقل لبحاره وجباله، وأشجاره، وتارة يهرب إليها ويأنس بجمال الطبيعة، ويفرد مع أطيافها، ويشم عبير أزهارها لكنه يدرك زوالها، فيعود إلى كدحه ومعاناته الأولى، والشاعر، يتأمل كثيراً في ذاته، وقد اتخذ منها مساحة كبرى

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ١، ٩، ٢٠٠٠

للتفكير عبر عمره المديد، عملاً، بتوجيه الرب سبحانه وتعالى قدراته، «وهي أنفسكم أفلا تبصرون» فنظر إلى تكوين الإنسان الروحي والجسدي، وإلى قدرته وضعفه، وإلى أنسه وحزنه، وإلى فرديته، ومجتمعه، وإلى علاقته بالكون والحياة، وإلى علاقة الفرد مع أخيه أو مع أبيه وصاحبته وصديقه، إن ديوان الشاعر الذي بلغ تسعة مجلدات ضخمة - يحفل بتموجات البشر العقلية والسلوكية، والشاعر يظل عاجزاً عن كنه الحياة. فيدرك تموجات السلوكيات، والعقلانية لكنه لا يكف عن الرحلة التأملية عبر الإنسان وكونه:

مشرحاً.. منقياً عن عورة وفي القلب غضب وثورة^(١)
 قد ضقت ذرعاً بظلام العش هذا هيباً للوجود نمش
 لعلنا نشتم من هوائه صفوا، ونجلوا العين من ضيائه

فأخذ يجول في صحراء مقمرة ذات جمال يخلب الأبواب ولكنه يتساءل عن مصير الصحراء، وقمرها:

أبقى على مر الزمان مخلداً ولا ستطويه غياهب أرماس
 كمثل الثوري طرا... صبا وكهولة وبيض شعاع بعدها سود أغلاس

ثم ينتقل إلى البحر فيستطقه عن رؤيته في الكون والحياة البشرية فيه فالبحر قديم، له علم الحكيم الذي صقلته التجارب الكونية:

فتفرض البحر العظيم هنيهة فكاننا شبحان لم يتهيبا
 فدنوت منه، وقلت في إطراقه فجلجلى، مخافة أن يثور ويغضبا
 يا عالماً خبير الحياة وأهلها وبلا الزمان مخطئاً ومصوباً
 جئنا إليك وليس في أخلادنا أمل سوى أن تستفيد ونكسبا
 هلا رويت من الجواب غليلنا لتكون أكرم من أجاب فأعربا
 أأخا القرون الغابرات تصرمت هلا أنرت بما تقول الفيسهيا؟
 أمليتها؟ أزهدتها؟ أعشقتها؟ فاستأسرتك فلم تجد لك مهرباً؟

وهو يستفتي الطبيعة في البشر، فما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون، فهم الذين يحدثون الاضطراب في الحياة فيجورون، ويظلمون، ويعتدون، وهنا اختل النظام البشري، وحدث الصراع، وقدحت الشرور:

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة ١: ٢١٤

الأرض خلود أو سعادته
أو ذكــاء أو بلادته
ق ويسعى للســياده
قصص ومن سن الرياده
ق جميعاً شرعاده
الغــير لا يأكل زاده
المرء في الدنيا مراده
ولم يحسن - معاده
ضى بما الله أراده
وهو خــير من رغاده

قال: كــلا، ما على
أو شــقاء سرمدى
نحن من يصطنع الر
نحن من ســدد للند
فــدا ذلك للخلد
إن مسن يــأكل زاد
أفــح حتم أن ينال
لا، فــما أقسى إذا نال
ليــتني.. ليتكما.. تر
فــارضضيا ياربُ بؤس

وبعد تأمل طويل يدرك أن البشر هم الذين يعمثون فساداً في الأرض، وأنهم يحرفون

الطبيعة عن فطرتها، فيصدر حكمه العقلي ولكنه مستوح من الباري المديب:

مصطخباً والليل والأنجم
أو شــقوة، ما لم أكن أعلم
ناعــمة إن الرضى بلسم
وإنما المرء الذي يظلم
مضطهد أو هكذا تزعم

يا أيها الصحراء والعيلم
علمتموني لا تصيتم أسى
فهذه نفسي غدت بالمرضى
ما تظلم المرء مقاديره
ثم ترى أهواؤه أنه



بنفسي بهذا العالم المتكوكب
وشاك من الأيام والناس متعب
لسكانها أم كلهم حد مذنب
ورحنا حيارى بين شرقٍ ومغرب!
ولكننا ننسى الندى بالتعب
ظمئ، وممراح له ألف مشرب
وبعد الرضا، ما ثم لي أي مطلب

ورجعت طرفي كرة بعد كرة
فلم أرفيهم غير شكوى مريرة
فواعجبا هل ليس في الأرض راحة
أراتي وإياهم ضللنا سبيلنا
نضحنا شفاء، وانتشينا سعادة
ولكننا شتى طباع، فواجم
أنلني الرضا لا كان عيش بلا رضا



أو سمعت، واستثلت للفضاء
إن نحن لم نرض بحكم السماء
منه، ونبكي وهو شبر البكاء^(١)

فاقتنعت نفسي بما شاهدت
ما نحن إلا عالم ضائع
نشكو وقد نضع ما نشتهي

ولج الأدباء إلى كيان الإنسان، فهم تأملوا في الإنسان ذاته، وإنسانيته، فكما أنه مكوّن الأدب ومبدعه، فهو الأولى بأن يكون المصدر الأول، فأخذ المبدع يعبر عن إنسانية الإنسان في الكون، ويكشف في حرية وصراحة آماله وآلامه، وإرادته وإعراضه وإقباله وإدباره فالشاعر «يقدم الحياة بطريقة واقعية ويقدم نماذج تحظى بالإعجاب أو تستحق الامتھان. تستحق التقليد أو التنبذ، إنه يعمل على توسيع مدى الخبرة المباشرة ويحقق بها الاتصال وجدانياً، أنه يثير الخيال ويحطم قوالب العادة، إنه يعبر عن بصائر ومطامح عظماء الرجال وهو يحقق تكامل العناصر الثقافية المختلفة بمجتمع ما، أو بأحد العصور، إنه يجسد الجمال ويوحى به كموضوع للمتعة النزيهة، وهو في أحسن أحواله يوفر إحساساً بالسمو الخلقى^(١).

وتعود الريادة في أدبنا العربي إلى شاعرين كبيرين هما: عبدالرحمن شكري، وعباس محمود العقاد، ويلتحق بهما المازني لارتباطه بصاحبيه وإن كان أقل ابداعاً فهم الذين ترجموا كثيراً من الشعر الإنساني في انجلترا، وفاض إبداعهم بما يفتح في كيان الإنسان، ووجد هذا الاتجاه هوى وعقلاً عند المبدعين العرب، فتفجرت ينابيع القضايا الإنسانية في الشعر العربي، واثروا المادة الفكرية للإبداع الفني في شتى ألوانه فأصبح الإنسان وإنسانيته أكبر الروافد الإبداعية، واضحت قضايا الإنسان العربي تمثل مساحة كبرى من الشعر بعد أن كانت ضئيلة الوجود، في الأدب العربي عامة، فغاص الشاعر في أعماق الفرد والمجتمع، واستجلى معالم إنسانية كانت مغبية تماماً عن الفكر الإبداعي.

«هذا الاتجاه بالأدب إلى الفردية والذاتية الحاملة التي تعانق الإنسان عناقاً شعورياً قد فتح أمام الشعراء والأدباء افقاً خيالية واسعة كانت نوافذها موصدة بوجودهم فانطلقوا في رحاب أوسع، ومثل أسمى، وتوسعت موضوعاتهم فشملت الإنسان والكون ونيل التطلعات. وأخذت أعلامهم تفيض بنغمات جديدة كان لها في النفوس الوقع العذب، ألا وهي نغمات الإنسانية المطلقة التي تغنت بالإنسان وتحدثت عنه حديثاً عاشقاً متصوفاً يلامس شغاف القلب ويدخل بصفائه إلى أعماق النفس المتعطشة لحديث مثله، بعد أن كانت تكفر بالقيم وبالروح، نتيجة لتفشي المادية التي حولت الإنسان مع تطور النهضة العلمية الحديثة إلى

(١) نقله، مفيد قميحه في كتابه (الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر) ٤٠

مجرد آلة خالية من كل العواطف والمشاعر أو إلى رقم في حساب الأرباح والخسائر^(١).

وأنبرى شعراء الخليج يشاركون مجتمعاتهم معاناتهم، ويعيشون مشكلاتهم، ويجوبون آفاق الإنسان الخليجي، فكشفوا عن أحوال الفرقة السائدة، والتخلف والجهل والفقر ودعوا إلى الفكر المستير، الذي يكشف ويفرز مناحي الحياة الاجتماعية واخذوا يدعون تارة، ويصرخون تارة أخرى، ويتمردون بأبداعهم وحياتهم على الواقع الاجتماعي كل حسب وجهته التي هو مولياها إن حقاً فحق وإن باطلاً فباطل، لكنه يعلن رؤاه في حرية وصراحة تجور عليه أحياناً، ويجور هو أحياناً على غيره، وهم كشفوا عن هموم الإنسان ومجتمعه كما أعلنوا أحلامهم وآمالهم، في إبداع تافؤلي، وتارة في إبداع تشاؤمي.

من أشهر المتفائلين الشاعر طاهر زمخشري، وحسين عرب، وعبدالله زكريا الأنصاري، ومانع سعيد العتيبة، ومن أشهر المتشائمين فهد العسكر من شعراء الكويت، والشاعر السعودي محمد حسن فقي وحمزة شحاتة، ومحمد فهد العيسى وهناك دعاة فكر وتأمل كالشاعر محمد حسن عواد، والشاعر صقر الشيبب، والشاعر إبراهيم العريض. وحسين سرحان، وغازي القصيبي وهناك الشعراء المعتدلون الذين يضمنون أشعارهم الأهداف السامية في هدوء وتوافق مع المنفيين وإن صرحوا بالوعظ والنصح تارة مثل ابن عثيمين، وأحمد الغزاوي، ومحمود شوقي الأيوبي، وأحمد العدواني، وعبدالله الفيصل.

فالشاعر فهد العسكر يصرخ في وطنه منادياً بإنصاف المفكرين والمبدعين والمخلصين لأوطانهم، والذين يدعون إلى الحوار الفكري، وحرية الرأي، والتفاني في العمل للمصلحة العامة:

ما نحن في وطن إذا صرخ الغيور به	يرى نقراً من الأعوان
ما نحن في وطن إذا نادى الأ	بي به يجاب نداه يا أقراني
وطن به يتجرع الأحراروا	أسفاه صاب البؤس والحرمان
وبلاه أجنحة الصقور تكسرت	والنسر لا يقوى على الطيران
وأرى الفضاء الرحب أصبح مسرحاً	واحسرتنا، لليوم والغريان
والليث أمسى بالعرين مكبلاً	والكلب يرتع في لحوم الضان
مما أن يطبل في البلاد مطبل	حتى تصفق عصابة الشيطان
أو كلما نعب الغراب وغص في	تنعابه نعب الغراب الثاني

(١) مفيد فعيحة، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ٤٤ .

ولم الشقاق ونحن من عدنان؟
والأثاث وشاهق الجدران؟
الأوطان، وهو أساس كل هوان؟
للفبراء والأرواح للأوطان
وتساندوا كتساند البنيان
تتآمروا بالإثم والعدوان

فلم التخاذل والعروية أمنا
ولم التفاهر بالموائد والملابس
ولم التعصب بالمذاهب، يا بني
فقلوبنا لله والأجسام
فتعاضدوا وتكاتفوا وتآلفوا
وتآمروا بالبر والتقوى ولا



وعيوننا تروننا إلى الريان
عرض الخضم سفائن القرصان؟
ما يضعف الإنسان بالإنسان^(١)

تجري السفينة في محيط هائل
كيف السبيل إلى النجاة ولم تزل
رياه جار الأقويا فانظر إلى

والإنسان عالم متطور، منحه العقل ليكون وسيلة وعي وتدبر. ينمي فكر ليكون عمله على بصيرة، يكون بتجاربه التراكم المعرفي والعلمي، ويروض كل إبداع لصياغة مفيدة للبشر، يروض الأرض وأخذ يروض السماء والنجوم، يفوض في البحار ويسخرها لمصلحة الإنسان، وتارة لدماره، إن التأمّل في الإنسان وعلاقته بالكون واخيه الإنسان أمر يحير الألباب، ويذهل العقول، فتأمل الشاعر ذاك العالم الكثيف فيقول عبدالله الصايغ في قصيدة «الإنسان وعالم الغد»:

قد بلغ الذروة من نصره
وتعجب الأبواب من سره
يعيش مثل الوحش في وكره
لا يعرف الذرة من أمره
يرتقب الأنوار من فجوره
يشع نور العلم من فكره
وغاص للأمجاد في بحره
وكان يشكو البعد في سيره
تعطيه ما ينشد من دهره
تسير رهن الأمر في إثره

ما اعجب الإنسان في أمره
أمر يحار الفكر في كنهه
فبعد أن كان بغاياته
يسير كالتائه في مهمه
ياوى مع الليل إلى كهفه
أصبح مثل الشمس في عزها
قد زاحم الطير بأجوائه
وقرب العالم من بعضه
واتخذ الآلة مطواعه
فهي معين في ملهاته

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد المسكر حياته وشعره ١٢٨



وتغمر البهجة في صدره
فهي لعمر الحق في أسره
تقرب العالَم من حشره
فراح يغزو البدر في عقره
أخباره السمحاء في خبره
قد بخلت لكن على غيره
وأعلت المستور من قدره
فما الغد المجهول من عمره؟
وما الذي في الكون لم يجره؟
من معجز البحر ومن بره؟
فهو رهين البحث في خدره؟
سيغمر الأفاق من غمره
تمجيد الله على بره
قد كان حلم الأمل في شعره^(١)

وهي تشيع الأنس في نفسسه
والذرة الشماء قد فجرت
وأصبحت سطوة طاقاتها
لم يكفه في الأرض ما ناله
وكوكب المريخ قد أصبحت
وأنجم الكون بأسرارها
معجز قد طيرت صيته
ذاك هو الإنسان في يومه
وما الذي لم يخترع عقله
وما الذي استعصى على فكره
وما الذي لم يكتمل أمره
إن ابتكار العقل في بحثه
ويجعل الألبان مختارة
إن نتاج العقل في يومه

لا تهدأ النفس الإنسانية في هدوئها وسكونها، إنما هي دائمة الأمواج فالخواطر تترى.
حول الواقع، والوقائع، في معالجة فكرية أو في معالجة خيالية، وكثير من الأحيان تهيمن
رؤى أحلام اليقظة، وأمنيات الإلهام على الأنس، والشاعر العُماني سيف الرضائي يصور
الإنسان بواقعه وأحلامه، وغوص في عمق التنفس البشرية التي لا يستقر لها قرار، ولا
يحد خيالها وأمانها حدود في قصيدة (واقع الإنسان):

يرضع السهد من حدود جفونه
من يديه يدهسها في جبينه
-وهو في الدار- باحثاً في متونه
من قوى الغيب ضله لعيوبه
وهدوء لا يستريح بدونه
فترى النقص ماثلاً في سنيه

سأهم الطرف غارق في شجونه
مطرق الرأس رعشة تنتدى
بقطع الكون جيئةً وذهايا
يرقب النجم سارحاً علّ فيه
صحبة الحبر، والليالي وطرس
يأكل الفكر ووجهه وحشاه

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ٢٠٩، ٢

إن عينيك بأنعاً شبهات
مثل فسرخين في دجى الضلوات
وحضة الليل كالرياح العواتي
الفتح قاهر المعجزات
شامخ الأنف واسع الخطوات
راعها البوح .. قاربت للممات
هل أما زلت غارقاً في الأمانى؟
والخيالات لم تشقنها مواني
ليس في الأرض مثله في الزمان
لم تلامسه مسيرة أذنان
غائر البعد متعب للعيان
سوف ينسيك شاعري ما تعاني^(١)

كم ليال سهرت فيها وياتنا
فيهما النسريستحم، وتعوى
إيه يا صباح ما ظننتك إلا
ليس يرضيك غير مهر جموح
بين جنبيك ألف معنى ومعنى
شاعر الحب يا رسول المعاني
إن ما تبغيه طيف خيال
ما ترجيه عالم من نقاء
ما ترجيه جد جد محال
فاقصر الطرف والرؤى عن قضاء
وأخلد الآن للسببات، وهذا

(١) د. أحمد درويش، تطور الأدب في عُمان، ٢١٩.



كل حياة تختتم بالموت في الكون الدنيوي، فالموت هاجس كل فرد من البشر، يخشاه الإنسان، كما يخشاه الحيوان، ووقعه على الإنسان كبير الأثر، ولولا أن الأديان السماوية خفقت من غلوائه بأن جعلته مرحلة أولى إلى حياة السعادة الآخروية والموت ليس بالخاتمة النهائية لحياة الفرد كما أوحى الشرائع بذلك، ومن هنا فإنه يندر الانتحار عند الذين يؤمنون بالله رباً، ويكثر عند الملحد، والموت تلك القضية الإنسانية الكبرى ذات التأثير الفاعل في الحياة، الهاجس المكثف الحضور عند البشر كان مصدراً أدبياً من الينايع الثرية عند الفلاسفة والأدباء سواء القاصين أم الشعراء المبدعين.

«إذا كنا نفترض أن الأديب له دراية بكل القضايا الفكرية التي يجسدها في أعماله، فإن قضية العدم تمثل له مشكلة حقيقية في أنه أمر لم يجربه الأديب ولا جمهوره، فالعدم والموت لا يغنيان سوى اللاوجود. والكلام من إدراك اللاوجود مثل الكلام عن قبض الريح أو الفراغ، ذلك أن للريح وجوداً على أية حال، وفي المفهوم الفلسفي للعدم نجد أنه ضد الوجود، أي نقي شيء من شأنه أن يوجد، في حين ذهب بعض المعتزلة إلى أن العدم ذات ما، وعدوا المعدوم شيئاً، أما الوجوديون فقد رأوا أن العدم متضمن في الوجود.

فالإنسان لا يعرف الموت لأنه لم يجربه، والذي جربه ذهب ولن يعود كي يعرفه لنا، ومع ذلك فنحن نمتلك أفكاراً وخيالات وتصورات عنه، وبحكم أن الأدب يتخذ مادته أساساً من الأفكار والخيالات والتصورات، فقد أصبح بالتالي الفرع الأول من شجرة المعرفة الإنسانية، الذي يستطيع معالجة هذه القضية الغامضة المخيفة، وذلك بالانفتاح الفكري والفني عليها، أما انغلاق الإدراك على قضية مثل تلك فمن شأنه أن يملأ ذهن الإنسان ووجدانه بأحراش كثيفة من المخاوف والتكهنات والخرافات النابعة من الجهل بالعدم، ويكفي أن نستشهد في هذا المجال بمونولوج هاملت الشهير الذي يبدأ بقوله «أكون أولاً أكون، تلك هي المعضلة».

وما كان من دأب الإنسان أن يزعم أنه يفهم ما لا يفهمه ولا يدركه، فقد بقي الموت، كفكرة وخيال وتصور، شاخصاً في ذهن الإنسان الذي يراه متربصاً في كل لحظة يعيشها، بل إن الفرق بين حياة الإنسان وموته لا يتعدى ثانية في المساحة الزمنية أو بوصة في المساحة المكانية، ومن الخطأ أن نظن أن تفكير الإنسان في الموت والعدم قاصر على المكان الذي يرى فيه الموت مرأى العين، مثل المعارك الحربية أو الزلازل أو البراكين أو الفيضانات أو الأوبئة أو

المجاعات أو الجنازات أو حفلات التأين... إلخ، ذلك أن فكرة الموت شاخصة في أذهان الأحياء ساعة بعد ساعة، بل إن البعض لا يهاجمه التفكير في الموت إلا في أكثر ساعاته سعادة وهناءة^(١).

والموت شاخص فهو قضية كبرى في الإبداع لدى شعراء الجزيرة، فهم يتفكرون فيه كثيراً إلا أن الدين الإسلامي يدعو إلى حضوره في الفكر لدى كل إنسان، ليعتبر فيصلح حياته ومن ثم يحسن مأواه ومصيره في آخرته، فهو من دواعي المحاسبة والمراقبة الفردية لتعامل الفرد في هذه الحياة فالتوجس من الموت عامل توازن بين العقل والهوى، وخوف المسلم لا يقتصر على الموت فحسب، وإنما يخشى ما وراءه من الغيبيات الآخروية، ويدرك أن الموت مرحلة بين حياة الابتلاء والاختبار إلى حياة الثواب والعقاب، إذن فالموت مصدر إبداع وفكري في أدبنا يتماثل في الابتهالات، والشعر الديني، وشعر الرثاء، ويعلو شأنه في الإبداع التأملية.

والشاعر محمد حسن العواد يجيل البصيرة فيه متأملاً وقعه وأثره في الحياة.
«أنا الآن في غمار العالم الحي أفكر في وقعك الهائل يوم تقع أفكار أية قيمة -بعد- لهذه النفس المشتعلة ككوكب السماء، أو كمصباح الكهرباء، تشع بنورها المقدس، وهي إحدى نفوس محتشدة، بعضها يطفح بنوره الدافق، وبعضها يبص كما تبص قطرات الأنداء!»

يا موت! يا أسد الحياة الموترس!

ويل لها منك -أيها الجبار- ولكن بلا جدوى!

وهأنذا الآن أقيت بالقلم وقتياً لاتصور فتور الحركة بعد الحياة!

يا للتصور!!

وهأنذا الآن أرمق أشعة الشمس من نافذة المكان!

هذا المكان الذي سأغادره حتماً إلى عالم الأبدية الذي سيسافر إليه كل من «كانوا» في

الوجود!

أبطالاً وجبناء!

علماء وجهلاء!

أذكى وأغبياء!

دهاة وبسطاء!

(١) نبيل راغب موسوعة الفكر الأدبي ١١٥:٢

ومتتمردين ومستسلمين!!

شتى جيوش حشدتها الحياة، فهزمتها أنت ساخراً بقوتها، دائماً في عملك، ولا تقف دورات الأفلاك، ولا يستريح مضت هذه المجموعة الشمسية السائرة ولا يتغير هذا النظام! وبعد، فهل يتاح لك -أيها الجبار- أن تلقى هذا الستار المسدول دون ما ترمي إليه، وأن تخفف وطأة الشغف عن هذه العقول التي تلوب حول أكتناه أسرارك الرهيبة، وتمتلئ بجحيم لا يطاق من حب المعرفة واللهف العميق إلى العلم والتي إذا رامت أن تلتطف من لفح غليلها العلمي قرعت أجراس الحياة بأنامل الفلسفة، وأوغلت في التفتيش عن المجهول من طريق الفكر.

ألا ما أروعك أيها الموت!!

وما أعمق أسرارك!

وما أشد ما يرتد عنك المفكرون كما أقبلوا غير واقعين على المقصد المنشود من هجماتك أيها الكائن الكبير^(١).

من أكثر شعرائنا استحضاراً للموت في إبداعهم الشاعر محمد حسن فقي، فهو كثير التأمل في الحياة منذ البداية حتى نهايتها في الحياة الدنيا بل تواصل إلى التأمل في هذا الجسد الذي كان يبيض بالحياة فيأكل ويشرب، وإذا به يؤكل من أصفر الدود والحشرات حتى إن تلك الحشرات يلتهم بعضها بعضاً بعد أن لا يبقى شيء من معالم ذلك الجسد فالكل يأكل ويؤكل فسبحان الخالق المدير:

مظلم، مــــــــات نوره وهوأوه
فمنها فطوره وعشاؤه
رُفَاتاً، تمجّه أحشاؤه
وشراباً، أعضاؤه ودماؤه
ت غنياً تحوطه آلاؤه
طريح، تناثرت أحشاؤه

حينما أرتمي بقاع ضريح
يزحف الدود اللويمة وافته
كان يشاقها فقد كان يقات
ويلتا، هل أنا استحللت طعاما
وتقد كنت المعيا، كما كت
وأنا اليوم ههنا، جسدُ بال



وتلفتت عيناه صحوماً بعد غفوته القصيره
فراى حوالياه الظلام، بعينه السكرى الضريره
والدود يأكل منه مختبئاً، بوجبه الأثيره
أكل الثرى منه، كأكل الدود، واستيقى ضميره^(١)

بلغ الشاعر محمد حسن فقي التسعين من عمره، لكنه يتوجس من الموت فى مقتبل عمره حتى إذا تجاوز الخمسين عاماً أخذ يحس بدنو أجله ساعة بعد ساعة ويستمطر إبداعه الأفكار حول النهاية، فهو تارة يتمناه ليستريح من عناء هذه الدنيا، وتارة يحس بضعفه وعجزه، بلا رواء فيه ولا ماء فالأولى أن يوارى فى التراب، وتارة تهفو نفسه إلى الموت خلاصاً من الآلام والمواجع الجسدية:

محا المتمنى كل شوق وغبطة	وأبقى لى السقم المبرح والذعرا
أعيش ويمضى كل يوم وليلة	من النفس جزء لا يعود لها أخرى
وامضى لأمر تست أدري لغفلتي	أخيراً يكون الأمر ذلك أم سراً؟
طويت من الأيام ستين حجة	فما كنت إلا عن شمائلها صفرا
وقد علمتني أن مجدي ومحتدي	ومالى، هباء لا يخلد لى ذكرا
وأن حياتي لعبة فى يد البلى	يحركها يمنى كما شاء. أم يسرى
فأذهلنى علمى .. فياليت أننى	جهلت ولم أعلم، وأرهقني عسرا



يقولون لى مهلاً فقد مضىك الأسى	وأمسيت لا وصلاً تطيق ولا هجرا
كأنك فى قبر من الأرض مظلم	تعيش به من قبل أن تسكن القبرا
لأوطأت هذى النفس وعرا مزلزلا	وزدت ولم ترحم فأسقيتها المرا ^(٢)

تطارد رهبة الموت الكائن الحي، والإنسان العاقل أكثر إحساساً، واستحضاراً لقضية الموت، هازم اللذات، وتشتد المشاعر تفاعلاً عندما يجد الإنسان ذاته بين القبور، يردم التراب ويهيله على أخيه أوقريبه، وتارة على صديقه، لكن أن يتمنى الشاعر استعجال موته، والجثو فى القبر فذلكم قليل إلا عند محمد حسن فقي وأمثاله من الشعراء يقول الفقى:

مقبرتي.. الوارفة الحسانيه
من داره الأولى.. إلى الثانيه
ابكي ومن أهلي وأصحابيه
إليك بي.. في المرة الثانيه
مظلومه.. في لحظة قاسيه
ولا المنى.. مشرقه.. داجيه
وطأه السقم أو العافيه

طال غُـدوي ورواحي إلى
في كل يوم واحـد ذاهب
من جـيرتي الأذني، فارقـتهم
فهل سيأتي بعضهم.. في غد
ويودعونني فيك.. في حفرة
أرقد فيها.. ما أبالي الوري
بيان في ظلـمتها مرقد

لكننا ونحن معاصروه نراه يطول عمره، ويصحب الأجيال التي بعده إلى قبورهم وأشدهم
وقعاً عليه أسرته المقربين الذين يتمنى أن يلحدوه في قبره لكن شاء الله أن يضمهم في

قبورهم ومنهم ابنه السفير الذي مات ووالده الشاعر يئن تحت وطأة الشيخوخة
أم انني... يا ويلتي من غـدي
كنت له الدنيا.. كما كان لي
هذان روحان: فهذا استوى
آتي هنا .. أحمل منهم فقيـد
من قبل أن أصبح هذا الوحيد
في شقوة من يوم هذا السعيد^(١)

وهو يطيل التأمل في الطبيعة، فالديدان والحشرات تسعى لتتفقد فتات الأشجار
والأزهار، فيحاول أن يحاربها ويقسو عليها، ويخلص حديقته منها لكنه ما يلبث أن يتأمل
ذاته هذه الذائدة من حديقته فمن يزود عن جسمه الديدان والحشرات إذا ألقيت في
الضريح فلا حول له ولا طول:

وأنا فـوقه وتيمـة دود
دبيب النمير في وطب عود
ومـراه يزدرى بالشـهود
بين تسيماً يختال بين الورود؟
في ضريحي الدجى قيل الصعود

يوم أن يُصـبح التراب وطائي
سيدب الروح الخفي بجثمانـي
يتحدى ديبه مرهف السمع
كالنسيم العليل... هل تبصر العـ
يا لروحي أني يودع جسمي

غير أني أراه وحدي.. وقد حل كياني .. لكي يعيد وداعي
فرايت الديدان تجري حولي جياعاً فمددتها بذراعي
فتجمعن حوله وتراكنن.. فقلت روحي.. أظعن الدواعي

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة ٢: ٥١١

لا تذدهن.. إنهن جيعاء.. فدع الجسم هامداً للجيعاء

لا تخفهن.. لست تشعر بالنهش فقد عدت كالتري في البقاع^(١)

والشاعر المسلم يؤمن بالغيبيات التي وردت في القرآن الكريم والحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم والشعراء من قبل تأثروا بها مبكراً فالكوميديا الإلهية مأخوذة من رحلة الإسراء والمعرج وكثير من الأعمال الأدبية استلهمت الأخوة في إبداعها، وشعراء الأمة الإسلامية ولا سيما المفكرين منهم استمدوا إبداعهم من التوجيه الرباني للحياة الدنيا والآخرة ومنهم محمد إقبال، إلى جانب الأدب الصوفي، والقصص الخيالي لابن سينا وابن الطفيل، وهذا الشاعر محمد حسن فقي يحكي الموقف في اليوم الآخر في يوم الحساب العظيم:

الحساب المبين ما يعرف الظلم ولا يستهين بالأسباب
ليس بدعاً أن يأخذ العدل مجراه بريئاً عن الهوى والرغاب
ولخير للخلق أن يحصد الخلق الذي قارفوه فوق التراب
إن من ينشد التراب خليق بتجافيه عن دواعي العقاب



واستوى فوق عرشه يرهب الكل سطاء ويرتجون نداءه
أوجز الحكم عادلاً أو إذا شئت رحيماً في سخطه ورضاه
فرضوا كلهم سواء أخو الطهر ومن كان سادراً في هواه
لم تذر شرعة العدالة في نفس حقوقاً بما قضاه الإله
كيف تبقى الحقوق من بعد إنصاف يروى الغليل أدنى مداه
ثم قال الإله كونوا هباءً أو تراباً تذرّو الرياح رياه
ولقد كان ما أراد وأضحوا عدماً راح منه حتى صداه



وتجلى للإنس والجن وضاحاً فخرّوا إلى التراب جثيا
ما رأوا في حياتهم قط إشعاعاً كهذا ولن يروه مليا
هو نور يغشى القلوب فيجلوها ويغشى الأبصار عذبا سنيا
يتندى رفقاً ويسطع مجدداً ويمنى فضلاً ويطمع ريا

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة، ١: ٢٦٢

جبروت - ماذا أقول - رحيم تبصر العطف من شباه رضىا
هتف الخلق حينما شادوا الرب: تباركت
اقض فينا بما نشاء فإننا قد رضيناك حانياً وعتيا



قال للكفر ما دعاك لتأبى أن تكون الأكوان خلقى وطوعى؟
أقلت أدلتى تقنع العقل وتهدي الضمير في كل صقع؟
أي نوع من الأدلة أنكرت عنيداً مكابراً، أي نوع؟
ربُّ عقل لوى به النحس فاشتط ونفس اضلها شرُّ طبع
فرنا الكفر للإله بذل وانحنى كالجدار من بعد صدع
قال إني مسير، ولقد شئت ضلالي، وشئت لي سوء صنعي
ولئن كنت في الحياة مسيئاً فلتكن أنت محسناً بعد نزعى^(١)

الاغتراب:

الإنسان عايش الغربة والاغتراب منذ مطلع حياته على هذا الكون فأدم عليه السلام نزل من الجنة إلى الأرض فأصبح غربياً وأي غربة، وكأن البشرية توارثت هذه الغربة بألوانها المتعددة من غربة المكان، وغربة الوجدان، وغربة العقل والفكرحتى أولئك المصطفين الأخيار، والأولياء الصالحين والعلماء المتبحرين غرباء في أوطانهم وبين ذويهم، والأدباء أكثر إحساساً بالغربة فهم أكثر تأثراً واستشراقاً مما يجعلهم يسمون بفكرهم عن مجتمعهم فيفتريون، وقد تشكل الإبداع الذي ينجم عن الغربة في الأدب العالمي في كل زمان ومكان وقد أحس به المبدعون والمفكرون.

«واغترب الإنسان ليس نتيجة للنظام الصناعي فحسب، بل نتيجة لعجزه في مواجهة السلطة التي تضعه في موقف المتهم منذ البداية، دون أن يدري شيئاً عن الاتهام الموجه إليه ولا نوعية الجريمة التي ارتكبها، وهكذا اغتربت الدولة وانفصلت عن المواطن العادي الذي لا يشعر بأي توحيد معها، والذي دفعه إحساسه الدفين بالغربة إلى اليأس من كل إصلاح، وأن عليه أن يتقبل الأمور على علاتها، فهي القدر الجديد الذي يحيط به من كل جانب، والذي يترىص بكل إنسان إيجابى له رأي مما يدفع بكل واحد إلى الانغماس في حياته الخاصة التي

(١) محمد حسن فتحي، الأعمال الكاملة ١: ٢٢٦

وفي قصيدة «الأرض الخراب» الشاعر المعاصر ت. س. إليوت لا يرجع تدهور الحضارة المعاصرة إلى العنف أو إلى أي خطيئة أخرى، وإنما يرجع إلى الانفصال الكامل بين الإنسان ومجتمعه، فالقصيدة تصور عالماً جف فيه سيل العواطف الإنسانية المتبادلة، التي فيها وحدها القدرة على إخصاب النشاط الإنساني برمته، وانكماش الموجود الإنساني وفقد معناه وأوشك على العدم، فلم يعد هناك من يعطي، أو يخاطر بنفسه بإظهار أي تعاطف مع الآخرين.. ولم يبق عند أي أحد شيء يحرص عليه، فالجميع مسجونون داخل نفوسهم التي انطفاً وهجها بفعل أنانيتهم وفتورهم وضياعهم وغير ذلك من أعراض الغربة في هذا العالم، لم يبق الإنسان من عواطف ومشاعر سوى الخوف، الخوف من العاطفة نفسها، والخوف من الموت بالفرق فيه»^(١).

وإذا كان الإنسان المعاصر يبحث عن ذاته من خلال وسائل العلم الحديث، «العلم نفسه قد أنتج كيانات ميكانيكية صماء، وأطلق نوازع النفس، وقضى على التواؤم العقلي بين الإنسان والكون، فأضطرب حال الإنسان الذي أحس أنه ريشة في مهب الرياح. بعد أن كان يشكل محور الكون كما كان يعتقد على مدى عصور وقرون طويلة، وأصبحت قضية أعمال أدبية كثيرة تكمن في كيفية المواءمة بين فكر الإنسان وقنه وبين حياته المادية على الأرض، فقد أصبحت حياة الإنسان سلسلة متصلة من الأزمات المستحكمة التي من الممكن أن تشعل إحداها حرباً تدميرية شاملة، وكان الشاعر ت. س. إليوت من الرواد الكبار الذين عبروا عن ضياع الإنسان في أعقاب الحرب العالمية الأولى عندما قال في قصيدة «الأرض الخراب»:

سقطت المشاعل حمراء على وجوه لطخها العرق

بعد السكون الجليدي في الحدائق

بعد سكرة الموت في بقاع حجرية

بعد الصياح والنحيب عند السجن والقصير

ودوى رعود الربيع فوق الجبال النائية

إن من كان حياً صار الآن ميتاً

ونحن الذين كنا أحياء نحتضر الساعة في صبر وأناة

هنا لا توجد مياه وإنما أحجار وصخور

(١) د. نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي ١: ٢٦.

الصخر بلا مياه والطريق الرملي

طريق يتلوى سامقاً بين الجبال

لو كانت هناك مياه لتوقفنا وشربنا

بين الصخور لا يستطيع المرء أن يتوقف أو يفكر

العرق جاف والأقدام في الرمال

لو كانت هناك مياه وسط الصخور

فم جبلي ميت له أسنان مسوسة نخرة لا يسح رذاذا

هنا لا يستطيع المرء أن يقف أو يجلس

حتى السكون لا يتوافر في الجبال

بل هناك رعد عقيم بلا غيث

حتى العزلة لا تتوافر بين الجبال

بل وجوه متجهمة تهزأ وتزمجر

خلف أبواب دور من الطين المتصدع^(١).

والشعر العربي يزخر بالغربة في جاهليته وإسلامه. وتوضح الرؤية في شعر الشكوى في العصور القديمة. وتتخذ مسمى الغربة في الزمن الحديث مما جعل البعض يشك في معرفة العرب لعنصر الاغتراب.

وقد يتطرق إلى الذهن أن العرب لم يعرفوا معنى الاغتراب إلا بعد اتصاليهم بالحضارة الغربية، ولكن الحقيقة والتاريخ كان المفكرون العرب أول من أدرك مأساة الاغتراب وذلك قبل روسو بقرون عدة، فقد صور أبو حيان التوحيدي هذه الغربة أبلغ تصوير عندما قال إن «أغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، ثم يتلمس الأسباب من خلال تساؤلات يطرحها وكأنه يحدد ملامح هذه المأساة الإنسانية على مر العصور يقول:

«إلى متى نعيد الصنم بعد الصنم؟ إلى متى نقول بأفواهنا ما ليس في قلوبنا؟ إلى متى ندعي الصدق والكذب شعارنا ودثارنا؟ إلى متى نستظل بشجرة تقلص عنا ظلها؟ إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن أن الشفاء فيها؟».

وهو نفس الإحساس الذي عبر عنه ابن باجة في كتابه العظيم «تدبير المتوحد» فالمتوحد

(١) د. نبيل راقب موسوعة الفكر الأدبي ٢ ١٠٢

هو من يحس بالاغتراب برغم أنه يعيش في زحام كثيف من البشر، ويصفه ابن باجة بأنه الإنسان الفاضل الذي يعيش في مدينة غير فاضلة، ومهما زاد عدد الفاضلين في المجتمع الواحد، فإنهم لا يكونون سوى قلة قليلة يسميهم «بالنوابت» أي النيات الذي ينمو من تلقاء نفسه حتى لو كان متحدياً لعناصر بيئته^(١).

والشعراء في الخليج يتفاوتون في غربتهم، فمنهم من تكون غربته مكانية مثل الشعراء الشعراء مثل محمد فهد العيسى ومقبل العيسى، ومنهم من تكون غربته وجدانية ثم العاشقين الوالهيين، كعبدالله الفيصل، وظاهر زمخشري، ومنهم من تكون غربته فكرية تستحوذ على نتاجه الفني ويتقدم في هذا المضمار محمد حسن فقي وحمزة شحاته وحسين سرحان، وحمد الحججي.

ويتأوه الشاعر فهد العسكر في أنين هامس يمزج الحزن ينفضات من الوله، حتى يسلمه اليأس إلى تمنى الرحيل غير أنه الرحيل من الحياة رحيلاً كلياً، ولم يكن هروبه في هذه القصيدة إلى معالم الكون من النجوم العلوية، أو البحار العميقة، أو الغابات الكثيفة وإنما يرتحل من الدنيا، فإنه يئس من الحياة، ومن إصلاحها، بل إنه يئس من ذاته المنحرفة، ومن عدم اعتداله وتوسطه في الحياة وإنما تدحرج إلى القاع، فكيف وهو المتأمل المتدبر، الشاعر المرهف إلا يدرك هذا، ويلوم ذاته، في اعتقادي أنه يدرك مرارة ذلك وتأنيب الضمير له لكنه أدرك أن لا قدرة له على الرجوع والاعتدال وذلك في غيبة من التوجيه الرياني، حينما غلب عليه الحضور الشيطاني:

أنا مذ أقضرت في عيش مريـر

أه، وشاقي إلى اليوم الأخير

اذكريني

شاعر يرثي شباب «العسكر»

فهدا من همه في سقر

اذكريني

أجـجت نار الأسى في أضلعي

فادفنوا كوبي، وقبيثاري، معي

اذكريني

يا ملاهي الصحب في تلك الرمال

أنا موتور، ولكن ما احتياي

أنا إن مت، أفـيكم يا شباب

يائساً مثلي عضته الذئاب

يا رفاقي، أكؤوس الصاب المريره

فاذا ما انطلقت روحي الأسيرة

(١) د. نبيل راغب، موسوعة الفكر الأدبي ٢٣، ٢٤.

واضطرب يا عقل، واشرد يا أمل
وابك يا قلب، وأسرع يا أجل
اذكريني

واعبسي يا كأس، وأغرب يا قمر
بلبلا قص جناحيه القدر
اذكريني^(١)

اهداء من شبكة الألوكة
فاشهدي يا روح، وازفريا سعير
واجريا دمع، وأقبل يا نذير

واصرخي يا ربح، وانحب يا وتر
تعالني ودعي قبيل السفر

والفكر الأدبي يعالج قضية فكرية مصدرها الأساس الفلسفة الأدبية تلك قضية استمطار الهموم والأحزان، ومواصلة التفكير في أسبابها، حتى تهيمن على الإنسان، ويستسلم لها ويركن إلى تلك الأفكار، ويلوذ بالعزلة، والإنزواء، ويعرض عن الكدح والمعاناة والعمل وتلك القضية الفلسفية التي رفعت رايتها الرومانسية الغربية أخذت تتخذ مساحة كبرى من فكر المبدعين أولاً، وهي قد هيمنت على نتاجهم الإبداعي، فالشاعر الكويتي أحمد العدواني يهمس في وجدان أولئك الذين ركنوا إلى الحزن واليأس وما أكثر أولئك في أدباء الكويت فجلمهم أنزوى وانطوى في حياته إلى جانب شريحة كبيرة من الشعراء العرب:

كـضني الألام بالصممت	ولوذي بالسكوت
وازجري الذكرى إذا خف	ت الماضي المقسيت
قالت الدنيا لأهلها	مقال الناصحيننا
جهل الحكمة قوم	جعلوا الأحزان دينا



فاسبقي الفجر بفجر	من أغانيك الحسان
واخلفيه حين يطويه	الضحى بين المغاني
واهتفي للبدر والشمس	ولشهب اللوامع
وارقصي للجداول السكر	ان والطير السواجع
وخذي عن وردة البستان	أسرار الحبيبات
أدركت سحر شذاها	فازدهت بالبسمات



(١) خالد الزيد أدباء الكويت ٢: ١٠٦

تخـذوا الأفراس فـناً

عرف القـوم من أناس

لهم حلوا بمفنى

كلما اجـدب مـفنى

رمضوا عنها لدار

وإذا ضـاقت بهم دا

فالشاعر المفكر يرسم الطرائق التي تأخذ بالإنسان إلى التجديد والانعقاد من القيود، فالعقل يتجدد بألوان الفكر، والإنسان خلق في كبد، فمن طبيعته العمل والكبح، والانتقال من حال إلى حال ومن روض إلى روض ومن حالة السأم إلى حالة الرضا ولن يكون إلا بالعمل ومواصلة الإنتاج، وتحقيق الهدف، وتحطم الجواجز، وصير الله سنة الحياة يتفاعل الإنسان مع عوالم الفكر، وعوالم الأعمال، وعالم المجتمع، والتأمل في عالم الطبيعة إن زمن الإنسان أقصر من تطلعات العقل الواعي، قارن ذلك بالمتطوئين والمنعزلين أدركنا الخاصية المرضية لأولئك القابعين المتواكدين الذين يلتصقون الأعذار، ويوقعون اللوم على الآخرين:

شعـوراً بالوجـود

كل ما جـدد في النفس

عن حسـ جـديد

وأراها صـوراً تـضـح عن

المسعى وعنوان السعادة

فاجـب عليه هدف

ت إليه وعبيادة

وتتكن منك استـجابا



بك من جـرح وحرـن

يا ابنة الأحـلام بي ما

لي ولم يشـفق بـفنى

مكر الدهر بـأمـا

جرى حـولي ويجـري

غير أنى لا أرى فيـما

قبل أن أفـقد صـبـرى!

غير أطياف سـتمـضى

فاستـخدمت بالليالى

خبـرت نفسى الليالى

على أية حـال^(١)

وغسدت لا تنكر العـيش

القلق،

وللاضطراب الفكري المعاصر وتفاعل الثقافة، وتدفق الأمطار الفكرية، وزوبعة التيارات الفكرية عبر الوسائل الإعلامية المتقدمة التي لا تصدها السدود، ولا تقف دونها الحدود، فتنداح إلى كل فرد، حتى أصبح الإنسان مثقلاً بهذا الفكر. لم يستقر على مبدأ من المبادئ

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ٤٤٤

ولا منهج من المناهج، ولم يقنع القيم فأصبح قلقاً مضطرباً وصار القلق ظاهرة أدبية معاصرة، وقد تجسد في شعر محمد حسن فقي، وشعر محمد فهد العيسى، ونلمح في شعر طاهر زمخشري لكن يميل إلى الاعتدال.

«وقد استطاع الأدب منذ عصر هوميروس تجسيد هذا النوع الصحي من القلق سواء في الشعر أو المسرحية أو الرواية، وعندما بدأ العصر الحديث بتعقيده وصعوبته واضطرابه من جراء الثورة الصناعية وتقسيم العمل وضياع الإنسان في مواجهة القوى الجديدة بدأ علم النفس في إلقاء الأضواء على هذا النوع من القلق الذي لم تعرفه العصور السابقة على وجه التحديد، ومن خلال العلاقة الحميمة بين الأدب وعلم النفس ظهرت أعمال أدبية تجسد مظاهر القلق المرتبطة بالكبت والملل والهستيريا وغير ذلك من الأمراض النفسية والعصبية التي عرفها الإنسان المعاصر.

وأسباب القلق ونتائجه لا يمكن حصرها لكثرتها وتعددتها وتنوعها، ولذلك يجد فيها الأدب المعاصر مادة خصبة لأعمال متجددة، فقد ترجع أسباب القلق إلى الحياة الجنسية الهزيلة، أو الجحود، أو القمع، أو الكراهية، أو الخوف، أو الإحساس بالذنب أو زيادة الاشتغال، أو الشعور بالضغط المتزايدة، أو الصراع الاجتماعي والاقتصادي، أو التشاؤم من المستقبل، إلخ وقد عبر معظم الأدباء عن هذه الحالات المرضية باستخدام الاسقاطات التي تتجسد في سلوك الشخصيات وتصرفاتها في حياتها اليومية»^(١).

ويستقر القلق في وجدان الشاعر محمد حسن فقي، فهو قلق في نعيمه وفي شقاوته، قلق بين أهله وذويه، وبين جدران غرفته وفي عزلته:

تعبتُ من التجوال في غير طائل	وأبتُ من الترحال من غير نائل
فما أنا بالراضي بعيثه مانح	ولا أنا بالراضي بعيثه سائل
وذقت أفاتين النعيم فلم أجد	بها غير طعم واحد متشاكل
وجريت ألواناً من الناس فاستوت	فضائلهم عندي بأخزي الرذائل
وقالوا بأن البؤس نعمة خالد	فألقيت أن البؤس تَقَمَة زائل
ورحلت لأهلي أنشد العون عندهم	فأرجعني نشداتهم غير أمل



يزهدني فيها انتصار مخاتل ويصرفني عنها اندحار مناضل

(١) د. نبيل رابع: موسوعة الفكر الأدبي ٢٠١٢

طرائد.. تجري بين شتى الحبائل
امام جدود مشرقات المخائل
فيختال في أبرادها كل جاهل
فيتثيه عن قصده... كيد فاشل
ليرفل في النعماء أكسل عاطل
ليهلك فيها محجم غير واغل
فخاف.. ومجد ناله غير باسل
واكليل شوك فوق جبهة عادل
ولا بغوي سادر في المجاهل
معبدة.. قد تهتدي بشمائل
على صهوات من عقول حوافل

اهداء من شبكة الألوكة
ويفزعني أن المشاعر والنهي
وأن العقول المستنيرة تنحني
وأن يتفاني في الحقيقة عالم
وأن يتصدى للعلا عزم ناجح
وأن يتردى في المهالك كادح
وأن يتخطى الموبقات مقامر
الارب مجد قد تمناه باسل
واكليل غار فوق جبهة ظالم
ولست بقديس تسامى عن الهوى
ولكنني نصف ونصف مبادل..
وكم من جدود فارغات توثبت



فخبت.. وما أجدت علي نوافلي
وتنفث في روعي سموم الدخائل^(١)

تمنيت لو أجدت علي فرائضي
وكيف، وغريان الشوك تنوشني

وشعر محمد فهد العيسى ينبع من بحور القلق فهو في توتر دائم، تعتره الحيرة، ويتوجس
من الحاضر والمستقبل:

حيرى...

أعصار يوليوها .. يوليوها

مزقها .. القاهها في يم..

جردها الثوب .. بقايا ثوب...

علكتها الحيتان ...

بقاع خضم

غرققتني الدمع^(٢)

يلوب الإنسان في معترك الحياة، فيصطدم بالعقبات، ويئن من وقع العثرات ويتلوى من
وهج المعاناة، وهو يكد ويكدج، والدنيا لا تستجيب، ولا تعطيه جزاء عمله والأمانى عنده

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة، ٢٠٠٩، ٩٥

(٢) محمد فهد العيسى، دروب الضياع، ٩٢

تشتد، وثقتته بالناس تهتز، والجنى من الثمار قليل، المطالب به أمر كثير، هو يشقى، وغيره يسعد، فالحياة مرّ مذاقها، قليل هناؤها، يتلون فيها الأصحاب، ويتكاثر المعارضون والأعداء. فيكون الصراع المرير على زهيد من المال والجاه. ولا تكاد تلتقي بشاعر ينافس محمد حسن فقي في قدرته التصويرية للنفس البشرية التي تهتز معاناة، وتتماوج زفرتها من وقع الحياة المنقلب والمؤلّم:

وأهضوا إلى النجوى فتصدمنى البلوى
فتأبى وتعطينى كثيراً من الشكوى
ولكن سلاماً ما اطلقت له شروى
أناخ برضوى ما استقام له رضوى
تشايعها ضدي صنوف من الدعوى
فأصدر لم يستأن، في شقوتي، حتوى
وذاد فمي عما اشتهاه من الحلوى
تقى، وتقاي الفجر ما أهون التقوى
ولكنه ثنى فأعجز ان يطوى
غدا هيكلي الموثوق من طعنهم شلوا
وفي روحه ما يسترد به الصفا
أبالسة تأبى على ملك عفا^(١)

أهيم على وجهي فما أجد السلوى
والتمس الدنيا قليلاً من الرضى
وما كنت أرجو المجد أو أبتغى الغنى
تحملت ما لو أن بعض حمولة..
صنوف من العسرى، صنوف من الأذى
كأنى رزات الدهر في صبواته
وأطعمني مرا تكرهت طعمه..
وظاهر أعدائي فكان فجورهم
ولو كان هذا وحده لطويته
وكيف وإخواني الذين اصطفيتهم
أبا حوه حتى لم يعد في كيانه
كأنهموا من طول ما عصفوا به

في هذا الزمن الذي نافست فيه الآفة الإنسان، وكثرت البطالة، وقل التأهيل في العالم الإسلامي، أخذ الفرد يستشعر اليأس، وفقدان الأمل، لدى الشباب، الذين لم تتح لهم فرص علمية وعملية بل هناك من تعلو همته ويتمنى الأمانى لكنه أيضاً ييأس من بلوغها فتدلهم عليه وساوس النفس، وهموم الحياة فيقول عنها محمد حسن عواد:

أين آمالي؟ أين السعد؟ أين؟
أين ما كان لنا طوع اليدين؟
أين لذات المنى في الحالتين؟

أين حبي؟ أين أحلامي الكثار؟
أين أشباح خيالاتي الكبار؟
أين قلب كان يفضى ويغار؟



من مناها حاجة النفس الطموح؟

ذهبت -آه- ولما تنفض

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة، ٣، ٤٧٤

شرداً في عالم الغيب الفسيح!
وفؤاد لا ينبي أو يستريح

وتوات مثل طيف معرض
وتهاديت بطرف مغمض



وأغلا يمكر بالروح سدى
بخع يقضي عليها أبدا!
ذلك العاتي فأضى، واعتدى،^(١)

وانبرى اليأس وما أثقله
راح يشـتط ومن أين له
ويح للروح فقد كبله

يحاسب المؤمن ذاته، ويقرعه ضميره عند كل خطيئة وإثم، فضميره اليقظ، يردعه كثيراً عن ارتكاب الأثام، ويجنبه كثيراً من المخاطر، فإذا غلبت الشهوة والهوى، واندفع الإنسان، إلى المحرمات، والمظالم، فإن ضميره يؤنبه، ويحرضه على التفكير، والاستغفار وإعادة الحقوق، يقول محمد حسن في قصيدته (غول الخطيئة):

رأى في دمي المحموم عذب الموارد
كحلّم مخيف في كربه المراقد
أنا الشاهد المزري بكل الشواهد
وسوف ترانى فى الرؤى والمشاهد
من النهر، أو من سقطة في المصائد
ولا الصحو.. إلا في غمار الشدائد
وأمسيت في عينيك أحلى المقاصد
ومالك منى مهرب.. من مكائدي
خطاي .. ولو خاضت لهيب المواقد
وما رغبت شيخاً عن شهى الموائد
ماللهو... أشتات الحظوظ الخوائد
تغطى مخازيها وجود المحامد؟^(٢)

اتمّل لي ذنبي بغول مكشّر
تراعى بليل، والظلام يحوطه
فقلت له: من أنت؟ قال أنا الخنى
لسوف ترانى ممسياً ومصباحاً
لقد بت كالفأر المروع قلبه
ترانى فما تلقى إلى النوم فرصة
تسربت حتى صرت في الدم جاثماً
فمالك منى مهرب.. من غوايتي
كأنك ظلى.. ما تزال متابعاً
تذوقت منى في الشبّاب لثاذا
وساومتني .. فابتعت منك ببائد
فهل أنا: أم أنت الغبين بصفقة

الحياة المعاصرة دعت الإنسان إلى العقل وتوظيفه في كل مناحي الحياة، فهو المهيمن على العلاقات البشرية، حين خضعت البشرية للعقل القاصر الذي اكتسح القيم، والروابط الاجتماعية، والشوائح السلوكية التي تزرع الحب وتستتبه، ومن هنا فإن الشاعر العواد

(١) محمد حسن عواد، الجزء الأول نحو كيان جديد، ٢٨

(٢) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة، ٣: ٦٢٢

أخذ يحكم فضيلة الحب، ويعلن ذبولها لمواجهة الحياة العقلانية المعاصرة. فهو يقتدي بفلاسفة الغرب، وينظم فلسفتهم يقول «الشاعر الانكليزي توماس هاردي» قصائد خالدة في عالم الأدب الجديد، الممتاز بتفحصه أحوال النفس الإنسانية، والغوص إلى أعماقها والتعبير عن مكونات السرائر بدقة وبلاغة معجزة، قد نقل كثيراً من هذه القصائد نثراً إلى اللغة العربية، ومنه نماذج غنائية نقلها الكاتب البارع الضليح الأستاذ عباس محمود العقاد ونحن هنا ننظم بعضها شعراً عربياً، وهي قصيدة بعنوان «قلت تحب» يجابه فيها الشاعر الحب وينتهي بالفوز عليه وطرده، وهذا وحي حي خالد من إحياء النفس الإنسانية المكيئة. المفعمة بالقوة والعظمة والبلاغة والإحساس».

ك كما كنت سابقاً تدريها
رك، والحالة التي توحىها
ش، فتعلوه أنت عرشاً نبيها
د. الواحد الجميل النزيها
أن للعيش نعمة أنت فيها
س أنت الذي لهم تعليلها
تطلب الصحو هكذا - قلت للحب
يكن الناس قبلنا يعلمونا
يوم كنا لما نرى خاضعينا
نبي في نواعماً، وأتينا
بعض آلامك الكبار، ستينا
ن على الضعف - هكذا قلت للحب!

قلت للحب: ليست الآن دنيا
يوم أن كان يعبد الناس أطوا
يوم كانوا يعلون من تحتك العر
يوم كانوا يدعونك المالك المضر
يوم كانوا يمضون في الزعم جهلا
وسماء من النعيم على الأنف
كان ما كان، والعقول أفاقت
نحن يا حب نعلم اليوم ما لم
وضعافاً في الرأي كنا زماناً
يوم كنا منفتحين لك الأنفس
يوم كنا نضج نحوك نرجو
ولنشاق أن نحاسبك الآ



لا ولا أنت داهياً عبقرياً
وعلامات رفعة علويها
كـ...لا، ولا الأوز طرينا
ونغدو على الأنا عتيا
وقلت ما زال يعب غيبا

لست يا حب مطرهماً فتياً
أو ملاكاً - له وسامة طهر
لا الحمام الوديع أنت ولا البلب
أنت أنت الشيطان، والفاتك الجبار
لك وجه على الجهمامة يريده



والقسو - هكذا قلت للحب..!!

وبعداً عنا إلى خبيث ترمي^(١)

فلسحاً إذن لذاتك يا حب

ويرتحل عقل الشاعر محمد حسن عواد في رحلة تأملية دائمة، فهو يطوف البلاد يستكشف أخبارها، ويحاول العقول ليسبر أغوارها ويتأمل حركة المال ليقف حيران أسفاً لا يدرك أسرارها بل هو القادر على تجاوز الترويح إلى صدى المآسي فرحلته العقلية لم تجلب له الراحة والأنس، والهروب من الواقع بل زادته همماً على هم، والمأ على ألم، فهو يتألم لبطر الغني كما يتألم لبؤس الفقير، فهذا غني تتكاثر أحواله ولا ولد له ولا مسرب لأمواله ويدأب حريصاً مكابداً، وذلك الفقير كثير العيال لا يملك ما يقيم حياته وحياة أسرته.

وهذا فقير كثير العيال
وذلك من العقم في شر حال
ومما لهما حيلة في النوال
وإن أنكر الحق أهل الضلال

تباركت، هذا غني عقيم
فهذا من الضمر ما يستريح
كلا أثنيهما في عناء مقيم
لك الحق يعرفه المهتدون



وماذا ترى غير هذي السطوح
ولا تبصر الخير جم الوضوح
ويا ربما أحزنتك الصروح
ولو كان يدري لجافى الطموح^(٢)

ففي الغيب ما لا تراه العقول
فما تبصر الشر جم الخفاء
فيا ربما أفرحتك الطلول
ويا رب ساع وراء الطموح

إن التأمل العقلي دلف إلى الشعر باتجاه فكري عند الشاعر حمد الحجي لاتساع ثقافته، ولعمانته، مما دعاه إلى الوقوف طويلاً عند النفس متخذاً من ذاته مدخلاً إلى سبر أغوار النفس الإنسانية، ومدلولات شعر الحجي لا تصدق على سائر البشر لكنها تصدق على شريحة، من الذين حارت عقولهم، من شرور البشر وتكالب الحياة، والحجي جمع بين القدرة الإبداعية، والفكر التأملي، والمعاناة المرضية وهذه العناصر قل أن تجتمع للمبدعين إلا القليل كأمثال عبدالرحمن شكري، فالشاعر يورد السؤال تلو الآخر ليدخل من حيرة إلى حيرة حين يتمثل له البشر فهناك من هو سعيد وآخر شقي، وهو يحيل اللوم على البشر الذين يتنافسون بوسائل ممقوتة ويتكالبون على منافع هذه الدنيا الفانية.

(١) العواد، الديوان، نحو كيان جديد، ٥٩

(٢) محمد حسن قفي، الأعمال الكاملة، ٣: ٤٩٠



لست أدري لم الدنا حقا فملتني
الأنبي قد نلت بعض نعيم
أم لأنني أسسرح الضكر في
أم لأن الدهر الغدور قد اجت
أم لأن الجمال يصمي فؤادي
أم لأن الحبيب قد فرمني
أم لأنني أرى الأنام بأجسام تـ
بين نذل وخبائن وعمدو
لست أدري سر التعاسة إلا
رب تاهت سفيني في ثنايـ
يا إلهي إليك أشكو انقباضي
تفرع الحادثات بأبي ولم
ما لقيت الأنام إلا لقاوا منـ
أظهر الانشراح للناس حتى
لو دروا أنني شقي حزين
لتولوا عني ولم ينظروني
فكأنني أت بأعظم جـرم
هكذا الناس يطلبون المنايا
لم لم يرفقوا به حين أمسى
هل تلقوا من الزمان عهدا
أم تعاموا عن الحقيقة حتى
سيؤويون للثرى مثلما قد

ما أرى الغير منه خلو الوطاب
تليت كأسه بأقداح صاب
الخلق في ذرى محرابي؟
أح بروجاً شيدتها من رغابي؟
بسهام العيون والأهداب؟
أم لأنني من جملة العزاب؟
وارت فيها نفوس الذئاب؟
وحسود وصاحب ذي كذاب؟
أنني تهت في دجى سردابي!
أاليم فارتعت من رؤى الأكراب
واعتزالي وخلوتي وانتحابي
أبصر سروراً يوماً يمر ببابي
في ابتساماً وليس يدرون ما بي
يتمتموا لو أنهم في ثيابي
ضاق في عينه فسيح الرحاب
ثم زادوا نفورهم باغتيابي
لو تبدت تعاستي للصحاب
للذي بينهم جليل المصاب
في عناء والدهر خدن انقصاب
أنهم من صروفه في اجتناب
جهلوا أن عودهم للتراب
خلقوا منه: بئس ذا من مأباً^(١)

نحن في عالم مضطرب سياسياً، وأمواج السياسة كأموج البحر العاتية، وتلوح به العواصف الاجتماعية، فتميله ذات اليمين وذات الشمال ولا حول لها ولا قوة، والفرد في حيرة من أمره أمام الكم الهائل من الأمطار الفكرية التي تمخر عليه داخل حجراته، إنه تارة يقبل وتارة يدبر تارة يؤيد، وتارة يعارض، ومرة يلتمس الأعذار للساسنة، وتارة يعدو عليها

ويستعدي، أمور أذهلت العقلاء وحارّى فيها أرباب الفكر، وأصحاب المبادئ إن إنسان الخليج العربي اليوم في مهب تلك الرياح يصور تلك الحالة الشاعر الكويتي عبدالله زكريا الأنصاري المولود عام ١٩٢١م:

كلنا حائر فكيف السبيل
وتراءت لنا من الغيب أشباح
وتمطى الظلام والقوم حيرى
كلنا في الظلام يخبط كالأعم
دارسات رسومها باليات
كلنا حائر رعاة ورعيها
نضرب الأرض في البلاد جموعا
أيها الضاريون في الأرض مهلا
أم دهاكم من قومكم ما دهاكم
الزعامات بيننا تتالي
كلما جاءنا زعيم هتفنا
إنه القائد المظفر في الجلى
وهو المرتجى ويا روعة القا
غير أننا نعود بالحياة الكبر
طمست بيننا الحقائق طمسا
وغدونا نهبا نباع ونشري

ضاع منا الهدى وتاه الدليل
وطارت من الرؤوس العقول
في ذهول، والليل داج طويل
شئ ومن حوله طول محول
والحيارى أعيام التضليل
نا فلا أمل ولا مأمول
وقرّادى والكل منا عليل
أعراكم غم وهم ثقيل
نبأ داهم وأمر مهول؟
ففضول تمضي وتأتي فصول
إن هذا زعيمنا المأمول
وبالشعب حبله موصول
ئد فينا فهو الكريم الأصيل
ى وأبصارنا من اليأس حول
حيث ضاع المعقول والمقبول
والشعارات فوقفنا تعليل^(١)

إن الشعر يؤرخ لحياة الأديب وحياة مجتمعه فالشاعر كان مندفعاً للإصلاح، ويحاول بثّ الوعي والنهوض بالمجتمع من حوله، وينادي بمعالجة قضايا الأمة من التخلف والفقر وينادي بالتآلف والتعاقد والابتعاد عن الفرقة والشتات، لكن الشاعر شأنه شأن الكثير الذين يريدون الزعامة الفكرية والالتفاف حوله ليرى معالم جهده لكن هذا أمر غير متحقق فالداعية الحق يدعو وينشر الفضيلة، ولن يضيع عمله عند الخالق وقليل هم الزهاد في هذا الجانب: يقول العسكر مصوراً حالته اليائسة:

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ٢: ٢٥٤ .

ثم ألقىت رغم أنفي السلاحاً
من حياة حتى أوالي الكفاحاً
إنني قد جعلته ملاحاً
أشأكي النوى مساء صباحاً
أناجي الأوهام والأشباحاً
إذ سمعنا عواءهم والنباحاً^(١)

خار عزمي مذ صارعتني الليالي
ما الذي أبقت المصائب مني
إيه ريان زورقي هاك قلب
إنني ها هنا على شاطئ الرمل
وأنا هنا مقيم على العهد
ما اعرفنا عدل العواذل أذنا

دأب شعراء الديوان على التأمل في الإنسان وعلاقته بالكون وانتثوا إلى أعماق الذات البشرية، وأطلوا على عوالم النفس، وتموجاتها، وعرجوا على العلاقات البشرية فترات لهم المكائد، والحروب، والدسائس الاجتماعية، والفردية مما أيقظ الشعراء العرب، إلى تلك المناجاة الإنسانية فالشاعر الكويتي محمود شوقي الأيوبي يصور معاناته النفسية ومكابدة الحياة:

تست أدري من أين جاءت لخضدي؟
فأجابت: لا ترج ما تست أبدي
كلنا في الحياة ند لند
الكل: كل من همه رهن قيد
بالأماني تجيء من غير قصد
عالم كالجحيم يعدي ويردي
بالرزايا تأتي بحزن ونكد
راقصات تموج ما خلف سد
كالسعالي تفح عن شركيد
من بنيها أرى كلاعب نرد
صرت مغلوبهم كأسهل صيد
حاسر الرأس حافياً بعد كد
نافحاً في اليدين من بطش برد
يل، مهيباً في الليل كالمستبد
طرد النوم عنهما شر طرد

ورمعتني بأسهم محرقات
فسألت الحياة عن سر كربي
وسألت الوري جميعاً فقالوا:
قلت: من ياترى السعيد؟ فقال
كلنا في الحياة يا صاح سكري
فإذا ما تتابعت جاء منها
محن تصرخ الأماني لديها
خدع العيش كالغواني تغني
وإذا ما تكشفت برزت لي
أنا من هذه الحياة بحفل
لم أر الكسب ساعة غير أني
عدت من ملعبه بخفي حنين
فتغرفصت بعد لأواء حر
وسمعت الهتاف في هجعة اللد
زاخراً لم يدع لجفني هدوا

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ٢: ٨٨

والشعراء الوجدانيون يميلون إلى الذات وما يعتلج فيها، بل يستمطرون الألم والأحزان، ويرحبون بمعاناة الهم، ويكتشفون الأوهام التي تتبرم بها النفوس وتذهل العقول، وتؤجج المشاعر:

قلت حسبي لا أرغب الهم قال الهم مرحى! لأنت في العيش ودي
قلت: لا أرغب المسير بعيش طول عمري به بأكد ورود
قال: غصباً! قلت: حسبك هزأ لست غرا تقسيم بالملق جدي
قال: إيه! .. أراك تبدو حكيماً قلت هذا الهواء أودي بكبدي
قلت: مسكين! قلت: أيضاً رثاء دعك عني! قد قلت للنفس جدي^(١)

يحكي الشاعر إبراهيم الدامغ معاناة الإنسان الإبداعية، ومكابدته للعيش، وتوجسه من الأحداث القادمة، وحيرته من التفاعل الحياتي، ويشتكى من الحرمان الذي يظل بظلاله الدائمة، فهو ابن للرزيا، وزورق حُمَل بالبؤس والأسى.

إن الشاعر يستمرئ الألم في إبداعه، حتى كأنه يقف موقف الرومانسيين الغربيين، الذين يستمطرون الأسى ويفرون من الأُنس وراحة النفس، فهو لا يرضى بالاعتدال الواقعي الذي يعيش فيه فهو شاعر لكنه غير مشهور وهو يملك المال ولكنه غير ثري، له أقرانه ورفاق دربه لكنه ليس مبعجلاً عالي الشأن بين قومه، تلبى له رغباته، وتحجب عنه أمانه، ومن هنا فإننا ندرك رحلة الشاعر بفكره الإبداعي عن الواقع الاجتماعي:

اعذراً وفي وجهي سمات من العذر ونعباً وفي جسمي نحول من الصبر؟
كفاتي اعتذاراً ما ترى بي من الأسى وحسبي من الأقوال ما قال بي دهري
أنا ابن الرزيا بيد أني عدوها ولكن وما يجدي عدائي لما يزري؟



أنا زورق حُمَلت بالبؤس والأسى فمدت لي الأقدار كفا من الشر
أنا الشاعر المغمور في لج وهمه أنا الطائر المنبوذ من حيث لا أدري
أنا الصادح المرموس في وهم عشه أنا الكائن المقذوف في هوة البحر^(٢)

والشاعر الدكتور/ عبدالله العثيمين من أولئك الشعراء الذين خاضوا عباب القضايا الاجتماعية بإبداعهم، حتى كادت أن تكون المصدر الأول للشعر لا سيما في ديوانيه الأولين

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ١: ٢١٩.

(٢) إبراهيم الدامغ، شرارة النار، ٦٤.

فهو يقف عند البطالة، وعند الوساطة، وعند الفساد الإداري، وعند قضية الفقر ومعاناة الأراذل، وتلج إلى إغثار قلبه ويهتز مرجل فؤاده حين يرى جامع المال وأهل الثراء ينعمون بخيراتهم ولا يبالون بالمعسرين المحتاجين من أبناء جلدتهم، فلسان حاله الدعوة إلى التآزر الإسلامي والعطف الإنساني، إنها قضية برزت في وطننا في ظل الخيرات المعاصرة ويحكي الشاعر أنانية الغني بأسلوب ساخر:

أنا قد نعمت بثروتي وبمالي
كضاً معذبة تمد حيالي
بر الجياع ومنحهم أموالي
فعبدت ومض بريقه المتلالي
عبداً يقدها وأن تحيا لي
متها لك متمزق الأسمال!
وسمماً جلالاً عن يديه ريبالي
غير الكبار الغر من أمثالي
والساكنين بكل برج عال
من كل مثر مترف مختال!
بإجابة مني لأي سؤال؟
وأحيط هالته بعمرى الغالي
أن لست أعرف حيلة المحتال^(١)

ما للفقير المستغيث وما لي؟
وترفعت عيني الكريمة أن ترى
لا كان من طبعي ولا من شيمتي
هي ثروتي أدركت نور جلالها
هي ثروتي آليت أن أحيا لها
أترى ادنسها براحة معدم
عزت وجلت ثروتي عن كضه
قدسية الثروات كيف يمساها
الرافلين بكل ثوب فاخر
الشامخين عن الوري بأنوفهم
يا للندالة كيف يطمع سائل
عاهدت مالي أن أصون جلاله
ماذا يريد المستغيث؟ أظنه

ويخاطب الشاعر محمد هاشم رشيد الإنسان الذي يلهث جاهداً في عمله ويتصارع مع أخيه الإنسان، ويحدث الشقاق والفتن، وتتصارع المجتمعات والدول فهو يدعو إلى واحة من الأمن يتجلى فيها الصفاء بين الفرد وأخيه، يتباثون ويتحابون، وتزول الشحناء والبغضاء:

الرقراق.. والعشيب
من الأحلام والحب

هنا في الظل عند الجدول
تعسا لنعش عن دنيا



وتهمس لي بالأمك
لأنغمامي وأنغمامك

أسر إليك آلامي
وتصفي الكرملة التشوي

(١) عبدالله بن صالح العثيمين، عودة الغائب، ٢٦

ويعتنتقان.. كالزهر

تعال يا صاحبني في الظل
تعال يبعوج قلبانا



ماذا خلف أحداقك؟

مكبلة... بأعمـاقك

تعال.. تعال.. يا للهول

إرى أطياف أشواق



محطمة بأهدابك

اقرأ سر أوصابك^(١)

وأبصر لهفة ظمأى

وفوق جيبينك المرید

وهو يلح عليها بمنظاره الوجداني الحالم الذي يمقت التوتر والتنافس ويتمنى أن يسود

الحب والسلام.

الذكريات:

الذكريات رياض يرتادها كل فرد من البشر، فهي موطن السعادة، وهي مجمع الإنس، وهي محل عناية الوالدين والآخرين بالطفل وعهد الصبا، وهي قبل ذلك خالية من أشواك العقلانية والتأمل في منغصات الحياة فهي حياة الفطرة التي تحمل كل جميل وتناى عن كل حزين يقول الشاعر محمد حسن فقي منها:

ذكرياتي تكاد تجعل مني.. جحفاً ينتمي لكل زمان
وله منذ آدم في نواحي أرضه صبوّة بكل مكان
أعرف الناس منذ أن خلق الناس.. كأني جميعهم في كيان
لا بفكري الطموح.. أو بخيالي، والرؤى.. بل بواقعي وغياني



أتراني روحاً فريداً من الخلق.. وإلا قبلي.. وبعد كثير
كل صدرٍ منهم يمور به الدهر.. وأهلوه.. فهو كون كبير
أبصر الفلك، وهو يمخر في الماء.. فيحلو للمؤمنين المصير
فيه زوجان من شتيت المخاليق.. ونوح قلب ولحظ قرير^(٢)

(١) بقايا عبير ورماد، ٥١

(٢) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة، ٣: ٤٥

الشباب في مقتبل عمره مهموم بمستقبل دائم التفكير، يجول في خيال المستقبل، ويهنأ بأحلام الآمال السعيدة، ويبنى قصوراً من الوهم، ويرتاد مجاهل الأحلام، ويستعذب الأمانى ويرتضع رضاب الحياة الناعمة، لكن إذا ما اعترك مع الحياة، وصلته بوهجها الحارق، وأثقلت المعاناة، وتكاثرت عليه المنغصات، وتواردت عليه المعسكات وأرهقت المصائب فإنه يلجأ إلى أيامه الخوالي، وذكرياته في صباه يوم لا نصب ولا رهق، ولا تأمل، وإنما يستذكر حياة اللهو والمراح، وذكريات السمر مع الأصحاب وموجات العشق والأنس بقرب المحبين، فهي ملاذه، وهي مصدر أنسه، وهي أمانيه لعل الأيام تجود بمثلها يقول الشاعر الكويتي عبدالله سنان المولود عام ١٩١٧م عن ذكرياته، مصوراً عالم الحياة الشبابية لأهل الكويت في تلك المرحلة:

ووصل الحبيب ونيل الوطر
على نغمات الغنا والوتر
وسجع الحمام فوق الشجر
على شاطئ البحر تحت القمر
ومن حسنه كل نفس تسر
حديث الهوى وطريق الخبر
فأبقت بقلبي عظيم الأثر
كطي السجل قبيل السفر
يهيم اشتياقاً إذا ما ادكر
وأيامه الماضيات الغرر
نديمي إذا ما الظلام اعتكر
تجادبته بان منه الخفر
ويدنو سروري إذا ما حضر
وكر علينا الزمان وفر^(١)

أعيدوا لنا ذكريات السمر
ونقر المشاني ورقص الغواني
ومر النسائم بين الرياض
وسرد الأحاديث فوق الرمال
ومجلس أنس بساما اشتهت
وبين الندامى يدار الحديث
ليال نقضت بلداتها
طواها الزمان بطياته
سلام عليها سلام محب
محب تذكروا وطنه
اذ العيش غمض وحلو القوام
مليح التثني حي إذا
يفيب سروري إذا ما نأى
فأعقب ذاك الهناء الشقاء

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ٢٤٢

الأحلام مصدر من مصادر الشعر في زمننا الحديث، وتلك السمة هبت من سمات الرومانسيين الغرب، وإن أخذ الشعراء العرب يطرقونها بوجدان معتدل لا يتجاوز الخيال العقلاني، ولا يبرح إلى التجاوز الشرعي المفرط، يقول محمود شوقي الأيوبي:

دب سحر النعاس في الكوخ والليل داج

ويدا ساقى الكرى

يسكب النوم للورى

في كؤوس الأحلام للأرواح

عب روحى منها الرحيق الشذيا

فهي سكرى

وهي حيرى

من خيال ملكي الحسن طاف

غمرتني موجة الرؤيا بفقرذي فجاج

فإذا الليل والسرى

يدفعاني إلى الذرا

لغياض نجاجة الأفرح

سكب البدر عليها نوره الصافي السنيا

فيه بشرى!

وهي ترى!

بمحميا ملك بين الشغاف

مرقص يزخر فيه النور كالبحر العجاج

كل ما فيه زمرا

راقص الروح وأنبرى^(١)

والقصص الوهمي يحمل فكراً فلسفياً لكن الإبداع يذلل صعوبة الفلسفة ويصيرها قريبة المأخذ فهذه الأساطير التي تدور حول الأشباح والأوهام لها تكوينها الذهني، ولها مدلولها

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ١: ٢٢٢ -

الاجتماعي ولها إشارتها على العينة الاجتماعية التي تتفاوت في إدراكها وتعقلها وتأملها، فهناك العقلاء وهناك العامة الرعاع، فمن الأولى أن يكون للعلماء والمفكرين البيان الفكري في كل قضية قبل أن تتكاتف المشكلة، ويصعب الحل أما الرعاع فقد أسرهم الأسلوب الرشيق، أو الخيال الغريب، فيندفعون بلا وعي وتأمل وقد حكى الشاعر قصة الشبح الغريب الذي أحدث ما أحدث في البلد حتى فك الحكيم لغزه بسهولة من الأمر، يقول الشاعر الكويتي أحمد العدوانى المولود عام ١٩٢٣م:

كان في بعض الديار
بهرت الناس بظلم
وقد أسطورة بين
شايح خلف ستار
غامض أي انبهار
صغسار وكبار



قال بعض، هو فيل
فتوارى ينشد الرا
وراه بعضم ليثماً
تركته عاديات الدهر
فتخفى، خشية
والناس زعموه من
قذف الموج به قسراً
وراه غيبرهم خلقاً
حلت اللعنة فيهم

فر من قيد الإسار
حاة في هذا القرار
هصورا في إزار
ميسور العتار
الشامت أو خيفة عار
تنانين الببحار!!
إلى هذا الجوار
مسيحاً في الديار
فتردى بالتيوارى



صور، الفها الوهم
فمشت تعبت بالناس
فإذا هم بشجار

بليل أو نهيار
على غير خيار
مستخر ونضار!!



ساءت الحال حكيماً
قال.. بل قوم لقد طارت

بينهم عالى المنار
بكم ربح الخسار!!

وما هذا التمامارى؟
من غير اختصار
بين ذوا الإسماء
دون ان تظن
مخفف صور النمار
فبدا (راس حمام) (١)

لم هذي الصيحة الكبرى
قبل أن تختصموا في الأمر
دونكم فاحترقوا البشر
اتبعوني! فمشوا من خلفه
فأتى للشبح المحجوب
هتك الستر عليه

يصور الشاعر السعودي عبدالرحمن المنصور المولود عام ١٣٤٥هـ بالزلفي صوراً ممتزجة فيها الحقيقة القوية، مع الأشباح المرعبة تبث حالة من التشاؤم المريب لحاضر الحياة ومستقبلها مما يصير الإنسان على وجل واهتزاز كأنه في حلم مرعب كما يدعي الشاعر حين وضع مناسبة القصيدة (حلم في حالة حمى) فقال:

كلما أضاء نجم

دق ناقوس الخطر!

واحتدم في النفوس يستقر!

وحقود تتشظى

مثلما تنقض شهب!

في دياجير الظلام

❖ ❖

فإذا الليل انتفاضات جنون مرعبة

وإذا أشباحه مذعورة مرتجفة

روعتها في الظلام الرجم

❖ ❖

في ظلام الليل والصمت الرهيب

شبح بالليل جبار مهيب

يحرس الأشباح في ذعر مريب

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ٣٩٧

يرقب الأفاق كالراعي الغريب

كلما أضاء نجم

دق ناقوس الخطر

أو كلص خافق النظرة في برديه ذيب

تهم، مخلبه عطشان - بالدم خضيب

عات بالشاة ولكن ليس للذئب رقيب

ليس للشاة رعاة

إن دعته في دجى الخطب تجيب

ليس للذئب رقيب

❖ ❖ ❖

غير أشباح من الخوف تراءت كاليقين

كالحات ترتدي ثوب المنون

تشرب الحقد وتقتات الجنون

أفزعته للرعاة النائمين

لعب الوهم بجفنيه .. يرى

في اختلاج الريح أو همس الفصون

زحف جيش .. صاحب يحتشد^(١)

والشاعر يوسف بن عبداللطيف أبو سعد شاعر الأحساء المتوفي عام ١٤١٩هـ يحكي لنا
حلماً أقرب ما يكون إلى أحلام النوم القريبة المأخذ، التي تشرق بالتفاؤل، وتحقيق الأمان،
وهوقابل للإسقاط الرمزي على واقع الحياة من منطلقه الشعري وتفسير الحلم معاً:

صوتٌ أثيري الصدى، في الأذن ما أحلى سماعه

نادتني؟

لبي الغرام بخافقي: سمواً وطاعة

فأتاك قلبي مسرعاً يضيف على الدنيا شرعه

يا منهل الأحلام يا روضاً تضوع بالوداعه

يا كوكبا في الأرض بز سنا الكواكب في النصاعه

(١) عبدالله بن إدريس شعراء نجد المعاصرين ، ١٢٨

أنت الجمال، وخافقي يشتاقيه، يهوى أتباعه
تبيك يا إنسان عيني، يا مناه، ويا شعاعه
هل التقيك؟

- نعم

- متى؟

- في كل يوم كل ساعة

- أين اللقاء؟

- على الضفاف

- إذن طوى قلبي التباعه

وصحا فؤادي بانبلاج الفجر..

ما أفسى ارتباعه!

حلم بدا لي في الكرى، ودعت في صحوى التماعه

ومددت نحو الله في ثوب الرجا كف الضراعه

مالي سوى وجدي وآلامي وتسهيدي شفاعه^(١)

من مصادر الإبداع: الوجدان الذاتي:

استطاع الشعر في الخليج العربي أن يبوح بوهج وجدانه، وأن يصور لوعة أحزانه، ومرجل نبضاته، وأن يقدر إبداعه بلظى انفعالاته وأن يزمجر بوحى من غضبه وتارة بتمرد، وشكاياته من مجتمعه، إنه الفكر المتأمل الذي يجعل من فلسفته الفكرية أعاصير لولبية تعصف بمشاعر الناس وتارة تكون الأعاصير ناراً محرقة وربما تلتهم المبدع ذاته إن لم يكن أول الهالكين، والوجدانية في الخليج أطلت علينا باكراً عند الشعراء السعوديين لكن وهجها وتمردا لم يبلغ الذروة عند إبراهيم قطاني، والفيصل لكن اشتعل أوارها عند محمد حسن فقي، ومحمد فهد العيسى، كما كشفت عن ذلك في كتابي الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية.

أما في الكويت فقد ظهر الشاعر فهد صالح العسكري (١٩١٣ - ١٩٥١م) وحين قرأت

(١) أبو يوسف شواطيء الحرمان ٤٩ ط، الأولى عام ١٤٠٨ هـ.

وكلاهما هربا من وهج التأمل إلى معاقرة الناس، ومؤانسة المرأة، فالشاعر فهد العسكر يتمرد على أسرته وعلى السلوكيات الملتزمة، ويجنح إلى المذات، ويجوب شوارع بغداد ويتعاطف مع الماجنات البشقرارات ويبدل ماله ومال أسرته، في حبائل الشيطان، ويعدله العاذلون، ولكنه أسلط منهم لساناً، وأقل منهم حشمة، فاطلق لسانه الهماز للماز العنان يقذف به القاصي والداني، فأغضب من حوله لكن نار الغضب اشتعلت بداخله وأحرقته قبل أن تلتهم الآخرين لكن هذا اللهب الساخن أبدع شعراً غاصباً يفجر القضايا في حرية وثورة، ويمقت في هجوم واندفاع، وكان هذا التمرد مصدر للون آخر من شعره إذ جعلته النفس المضطربة التي لا ترضى عن شيء يهرب إلى الخمرة التي تولد الأحلام الخيالية وتكثف الآمال البعيدة، وتغيب عنه الأحزان فترة الغيبوبة، وهوتارة يعايش الصباية، ويندم في موجات المذات والفواكه المحرمة مع الجانحات على شاكلته، فكان شعره يمثل الأحاسيس الملتهبة المضطربة، يماثل شعر علي محمود طه كثيراً في ملذاته الحسية، وتارة يتألم كإبراهيم ناجي فإبداعه يكاد أن يتماثل مع شعراء (أبولو) وإن لم يذكر المؤرخون تواصله مع شعراء هذا الاتجاه ولم يذكروا تواصله مع مجلة (أبولو):

ونسيم الصباح في الروض يسري	عطراً من عبيرها فواحاً
قد نغن معاً نشيد هوانا	وتناجي الشويطى الصداحاً
وتناغي الطيور وهي على الشاطئ	تشهدو وتعلن الأفراحاً
لم نلهو على الرمال كطفلين	ونهتزن شوة ومرحاً
وإذا ما افترشت يا حلو أحضاني	وصيرت ساعدي وشاحاً
نم وضع رأسك الجميل على	صدري لأجني شقائقنا وأقاحاً
يا صغيراً أطل من كوة الرؤيا	على مهجتي ولاح صباحاً
أنا يا لصحو يا ملاكي جموح	أه ماضر لو كبححت الجماحاً

فهو يقيس من معجم الألفاظ الوجدانية، نسيم الصباح، الروض، عطراً، المناغة، الشواطئ، النشوة، الحلم، الجميل، وغيرها من الألفاظ في هذه الأبيات والأبيات التالية:

يا حبيبي والشمس في كبد الأفق	سئمت النداء والإحاحاً
أزفت ساعة الرحيل وقد ودع	مهد الصبا الظبا والملاحاً
أنا أخشى عليك من أهلك	السوء فهلا جعلتني مرتاحاً



في مهجتي وانكا الجراحا
وعز الدوا فناح وياحا
بالقلب عنوة واستباحا
بت أمشق الأسي والنواحا
ثم دعني معذباً لمتاحا
لا لألقى سعادة وفلاحا^(١)

يا حبيبي: تغفل الأثم اللاذع
يا حبيبي: تأصل الداء بالروح
يا حبيبي: تركز الشجن الصارخ
قم أثر غافي المجازف إني
ثم أثرها حرياً علي عوانا
فأنا شاعر خلقت لأشقى

عني المسلمون بأصحاب الإعاقة قديماً وحديثاً، فقد التزم الولاة بقائد لكل أعمى، وأوجدوا الأماكن العامة للمعاقين وللمسنين من زمن بني أمية وبني العباس، وقد ازداد الاهتمام بهم في عصرنا الحاضر، بل إن الإبداع الفني سجل وقائع حياتهم في قصصه ورواياته، وفي إبداعه الشعري، فالشاعر الكويتي عبدالله سنان استطلق الأعمى واستبان عن أحاسيسه ومشاعره بعد أن عرج على هيئته وتعامله وطريقة مشيته:

لم يدروجهته ام اين مقصده
تقدمته عصا سوداء ترشده
كأنما شد للفرز مروده
جر الحديد وأضناه مقبده
كالدرفي العقد حلاه منضده
هذا الثقيل الذي قاساه مرفده
ترحاله ومتى وافاك موفده
من حرها لهب يوربه مرقده
وشبكت بعضها مما به يده
في جنح ليل ممض طال سرمده
قيدا ثقيلاً بسجن غاب موصده
عن الرأي السديد الذي أبداه مورده
وأصبح البصر المحبوب تجحده
وازداد عند انقطاعاتي تردده^(١)

رأيته ماشياً بكفك مشهده
حاذي الجدار وتم يعد الرصيف وقد
منكس الرأس والأجضان مسبلة
يمشى وتبدأ كمن في القيد أثقله
حبيته فأجاد الرد مبتسما
وقفت أسأله عن ضيف مقلته
وقلت قل لي متى القى عليك عصا
فراح يرسل أهات يخيل لي
وقد بدا وجهه البسام ممتعضا
وقال لي إن لي سبعا أعيش بها
كأنني مجرم ألقى عليه يد
وسبب المرض المضني العدول
فألم العين إهمال أضربها
كم راح ينصحني من قدر وثقت به

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ٨٦
(٢) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ٢٤١



والحالة الاجتماعية مصدر من المصادر الإبداعية في الكويت عند الشعراء الأوائل الذين

عاشوا شظف العيش وقاسوا مرارة المعيشة المظنية.

ويستثير مرض المجتمع الشعراء، فهذا الشاعر صقر الشبيب يشاطر مجتمعه الابتلاء الذي حلّ بابناء الكويت، فيقرع الأثرياء الذين بخلوا على الفقراء ويهجو المستبدين بالأموال والتجار الذين استثمروا الحالة السيئة لجمع الأموال:

وعريا أهلك الله الغلاء	غلاء أهلك الفقراء جوعاً
كما زدت الحصى المنقوع ماء	وزاد الأغنياء غنى وبيساً
يخفف محسناً هذا البلاء	فلست ترى غنياً عن فقير
يواسوا اليوم من حرموا الثراء	وكان الحظ للمثثرين في أن
إيها مستجيبين الدعاء	ولكن الطباع دعت فاصفوا
يزيد عماء المردي عماء	وطبع المرء يدعوه إلى ما
عقولهم فما لبوا النداء	ونادتهم إلى ما الخير فيه
وحازوا كل ما يجني الهناء	ولولبوا عقولهم لفازوا
لضاني المال واجتنبوا الحزاء	أبوا إلا اقتضاء الطبع حبا
يصيره الهوى قلباً هواء	وقلب المرء إن يشبع هواء

والشاعر له مرجعيته الشرعية، فهو ينطلق من التوجيه الرباني الذي يخبر أن الزكاة والصدقة تزيد المال ولا تنقصه بل هي البركة والنماء.

يجر لها الزيادة والنماء	وليس يناقص الأموال لا بل
وادنى من قلوبهم الصفاء	ولا أقصى الأسى عن باذليه
لعييني متبع البراجتلاء	فيؤمن البر محسوس جلي
فبذل الفرض يكفيهم حياء	وأن تصعب نواهلهم عليهم
رأى المتسولون لها أداء	زكاة المال كافية فهلا
لتلحق بؤس ذي البؤس انتضاء ^(١)	فما فرضت على ذي المال إلا

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ١: ١٤٢.



الاتجاهات الفكرية

- الاتجاه الإسلامي.
- الاتجاه القومي العربي.
- الاتجاه الوطني،
- الاتجاه التأملي.

الاتجاه الإسلامي؛

لما نهض الفكر في العالم الإسلامي من كبوته التي تعثر فيها في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر من الهجرة، وأخذ العرب يحاولون البعث بالأمة الإسلامية في خلافتها العثمانية، فإن نظرات المفكرين والأدباء تمحورت حول الإصلاح الداخلي للخلافة، فهم من جانب كشفوا عن وجوه التقصير الناجم عن السياسة الداخلية وهم كشفوا عن الغزو العسكري والفكري الآتي من الغرب والكثير منهم لا يبتغي بالخلافة بديلاً، فدعوا إلى قيام الدستور، وإقامة المدارس والمشاريع الخيرية، وبناء الولاية العربية والإسلامية بناءً داخلياً من شتى الوجوه المادية والمعنوية، لا سيما محاربة الجهل والفقر، ولما أسقط أتاتورك الخلافة العثمانية وسلب الدولة التركية مكانتها العظمى وبالعجب فإن هذا السالب لتركيا خيراتها الإسلامية والسياسية، لازال مقدساً ترنو إليه عيون الساسة ويخرون للأذقان عند تمثاله.

ولكن صوت الشعر ظل ندياً حتى بعد سقوط الخلافة يدعو إلى الوحدة الإسلامية ورفع راية التوحيد، والالتزام بشرعه، واتخاذ دستوراً ومنهاجاً، ودعوا إلى اجتماع شمل الأمة، وإلى تناصرها وتآزرها، وقد استدعوا الشخصيات الإسلامية في أشعارهم، وجعلوها مشعلاً وسراجاً لأمة كمثل عمريه حافظ إبراهيم، وعلوية محمد عبدالمطلب، وقصائد أحمد شوقي، ونادوا باتحاد الأمة واجتباب الفرقة وتمجيد التراث الجامع للأمة، وكشفوا عن المنجزات الإسلامية للبشرية جمعاء، وإلى العناية الإسلامية بالإنسان فتغنوا بقيمه السامية، ومساواته وعدالته، وصرخوا الدعوات والشبهات التي تحاك حوله.

وهؤلاء الشعراء الإسلاميون هم الذين بادروا إلى المناذاة بالنهضة والتطور وإحياء الوعي عند الشعوب، وهم الذين نادوا بالوطنية الإسلامية فمفهوم الوطن عندهم الوطن الإسلامي. ويلاحظ أن تاريخ الأدب يقتصر على الشعراء المصريين من أمثال حافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، وعلوية، ومحمد عبدالمطلب، وأحمد محرم.

ولكن الواقع أن النزعة الإسلامية في الإبداع الشعري عمت أرجاء البلاد العربية والإسلامية في العراق معروف الرصافي، والشيباني، وفي الشام شكيب أرسلان، ومصطفى الغلاييني.

وفي الجزيرة العربية محمد بن عثيمين، وإبراهيم الأسكوبي، وأحمد الغزاوي، وفي الكويت عبدالعزيز الرشيد، ومحمود شوقي الأيوبي ومن البحرين إبراهيم العريض وعبدالله الطائي من عمان وصقر القاسمي من الإمارات ومحمد العيد الخليفة من الجزائر، والفاسي من المغرب، وعلي أحمد باكتير، ومحمود الزبيرى من اليمن، وهؤلاء ينادون بالعمل الإسلامي، وهم يدركون أسباب التواصل الحضاري.

وتتواصل الوشائج الإسلامية في أبناء الخليج العربي شأنهم شأن أبناء العالم الإسلامي، فالإسلام هاجس كل مسلم يستشعره ويستلهمه في سلوكياته وعباداته، ومعاملاته، غير أن أهل الجزيرة العربية أكثر التصاقاً بالموطن الأول للإسلام.

فهم ينتمون إلى الجزيرة العربية مهد الرسالات السماوية الأولى فهناك رسل وأنبياء بعثوا فيها، وقد وفدت بعض الأديان إليها مثل اليهودية والنصرانية فالدين متأصل ومتوارث في النفوس فالذين لم يدينوا بديانات أهل الكتاب يصنعون لهم آلهة يعبدونها، فهم يقلدون، أو هم يعملون بفطرة البشرية التي تشعر بحدس الآلهة، حتى جاء الدين الإسلامي ورسخ الدين الإسلامي واعتنقوه قناعة بعد طول تأمل وتدبر، وجدال بالحجج والبراهين، ولم تنفك جذوته عالقة بالنفوس حتى في فترات امتداد الجهل فليس هناك أمر يستثير النفوس أكثر من الإثارة الإيمانية فهم يستجيبون ويحترمون كل من يدعو أو يعظ أو يقرأ آيات من الكتاب أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

والواقع الذي لا مرأى فيه أن كل واحد من أبناء الجزيرة يستشعر أموراً منها:

١- أنه من أبناء مهبط الوحي، فهو يقدر الدين الإسلامي، ويخضع لتعاليمه ويأتمر بأمره، ويجتنب نواحيه قدر المستطاع فإن لم يستطيع فلا مجاهرة ولا مضادة، بل إنه يحمل أمانة الدعوة إلى الدين الإسلامي، ومن هنا قل أن تسمع بمن يجاهر بعلمانيته أو معارضته.

٢- إن كل فرد في دول الخليج ينتمي إلى القبائل العربية التي حملت راية الإسلام خفاقة إلى العالم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، فهم جند الدعوة، والمنافحين عنها، فما زالوا يفاخرون بها فكل قبيلة تدون أسماء المشاهير من الصعابة والقادة والعلماء الذين أبلوا بلاء حسناً للإسلام، فلا غرابة أن يلبوا النداء الإسلامي للجهاد إذا ما وثقوا من ذلك في أي بلد من بلدان العالم.

٢- إن كل إنسان في الخليج يستشعر حب اللغة، والانتماء لموطنها، وأهلها ولغته أقرب اللهجات العربية إلى الفصحى ولا زالت القبائل تتوارث اللهجات العربية القديمة من الكشكشة والكسكسة، والإمالة، والنعنة، بل تلك اللهجات في ذات الموطن التي دونها أهل اللغة، وإن بدأت تذوب مع ذوبان القبيلة، والحياة البدوية، والتماثل في التعليم، ونحن لو تتبعنا شعر شعراء الخليج في سائر أقطارها لوجدناهم يفاخرون بالبطولات الإسلامية، ويفأخرون بالحوادث الإسلامية التي وقعت على أراضيهم.

وشعوب أبناء الخليج أكثر استجابة للنداءات الإسلامية في زمننا المعاصر، فلمهم حضورهم في الجهاد الفلسطيني ولهم حضورهم في محاربة الشيوعية في أفغانستان وفي كل الميادين ودواوينهم سجلاً يؤرخ الأحداث المعاصرة من بعد الخلافة إلى يومنا هذا فقد ظهرت مجموعات شعرية تجمع ما قيل في البوسنة والهرسك.

ومن أشهر الشعراء في هذا عبدالله بن خميس، وعبدالله بن إدريس، وعبدالرحمن العبيد، وأحمد بأعطب، وعلي النعمي، والدكتور عبدالرحمن العشماوي، ومحمد الدبل، وسلطان القاسمي، ومانع سعيد العتيبة.

وتهب دول الخليج شعوباً ودولاً استجابة للنداء العربي، وإن لم تدفعهم أرومتهم العربية إلى انتحال القومية العربية التي تنفصم عن الدين وإنما من منطلق التلاحم بين العربي والإسلام فلا مكان للعربي بلا إسلام، كما أن العربي حمل راية الإسلام ويشربها البشرية.

ولم يكن الالتزام الإسلامي حاجباً عن فضائل العقل ولا عن فضائل العمل ولا عن أطياب السلوك التي تسود العالم، وإنما الإسلام يوجب الأخذ بها مع ثروته الهائلة التي يدخرها والقادرة على إصلاح البشرية ولم يكن الإسلام حاجباً عن الجدل والحوار في القضايا الشرعية والمادية وإنما هناك ثوابت ومناهج أصولية تؤطر ذلك وشعراؤنا في مستهل النهضة يصارحون الحكام، ويدعونهم للالتزام بالحكم الإسلامي وأحكامه الشرعية أو يشيدون بالحكام الذين يعملون وفق التشريع الرياني، وتلك الخاصيات من قيم المدح.

وقد خاطب الشاعر محمد بن عثيمين المتوفى ١٢٦٢هـ الملك عبدالعزيز خطاباً مباشراً داعيه إلى الالتزام بالتشريع الإسلامي، وبالعدل، والإنصاف، ومحابة العلماء ومشاورتهم ومنه قوله:

فذاك طوق على أعناقكم وضحاً
عليكم فهي شرط في الذي نصحا

ومن بذلتم له بالعهد بيعتكم
فناصحوه وأدوا طاعة وجبت



فرع الأئمة وابن السادة السمحا
ومن به الدين والدنيا قد ابتهجا
رأياً إذا قال رأي الممتري نجحا
أجدر به أن ينال الفوز والفلجا^(١)

فيا إمام الهدى زين الوجود ويا
ويا جمال بني الدنيا وزينتهم
اجعل مشيرك أهل العلم أن لهم
من كان ناموسه العلم الشريف فذا

تفاعل شعراء الجزيرة العربية مع حوادث العالم الإسلامي مبكراً ففي عام ١٣٤٧هـ -
١٩٢٩م يطل الشاعر أحمد الغزاوي المولود عام ١٢١٦هـ فيرصد معاناة العالم الإسلامي
بدءاً بالخلافة العثمانية وضعفها، مندداً بالاستعمار الذي سلب الأمة الإسلامية حريتها
وأوطانها، وومندداً بقرارات عصابة الأمم الظالمة التي توّازر القوى العظمى، ولكنه أيضاً
يكشف عن تخاذل أبناء الأمة الإسلامية، ويكشف عن ضعف العزيمة، وعن تفضي الجهل،
وسيادة الفقر، يقول في قصيدة (الشرق شرق) كاشفاً عن واقع الأمة الإسلامية والمشرق
بصفة عامة:

فسامهم كل خسف من رقى بهم
عليهم الجسد أوهام هي الوهم
منذ استوى فيهم الأحياء والرّم
حتى تشكى الونى من صدها السأم
بجسمه واعتراه الجهل والعدم
أن لا تحل بهم من ربهم نقم
وحاولوا العز لا سيف ولا قلم
واكتظ بالقوم ضمت شملهم نظم
يد صناع وفكر تاضج وفم
فلا البزاة تعنيه ولا الرخم^(١)

وخالضوا فطرة (الخلاف) وافترقوا
فشت بهم من (خرافات) الأوتى نقموا
واسترسلوا في غطيظ النوم فاندحروا
حادت عن (المثل العليا) جماهرهم
تسمم (الشرق) بالأدواء فساتكة
ما كان أخلقّه والقاطنين به
تدثروا الخز لا أيديهم نسجت
بيننا نرى (العرب) قد جاشت (مصانعه)
ترشف العلم أحقاباً مسلسلة
قد زاحم (الطير) في اجوائها سنحا

يسبر شعراء الخليج الحالة الإسلامية زمن ذبول الخلافة العثمانية، ثم الإجهاض عليها،
وتفكك العالم الإسلامي وتمزقه، وهيمنة الجهل والفقر والحروب عليها، استشعر تلك الحالة
شعراء الجزيرة، ورفعوا أصواتهم داعين إلى العلم والنهوض، والوحدة الإسلامية. وقد التجأوا
إلى القائد العربي الذي وحد الجزيرة، وجمع شتات القبائل، وانتظموا معه حول راية الحق

(١) محمد بن عثيمين، العقد الثمين ٢٠٢

(٢) د. مسعد المطوي، أحمد الغزاوي واثاره الأدبية ٦٢٥



الأيوبي ينادي بلسان الملك عبدالعزيز فيقول:

وقال: أي، يا مسلمون اتخذوا
يا قوم ما هذا التعادي وحدوا
يا قوم يكفيننا هوان فالجأوا
يا قوم ذي أوطانكم تدعوكم
كونوا جميعاً يا بني العرب ولا
تعاضدوا فالمؤمنون إخوة
تدبروا أي الحكيم الحي لا
يا قوم إنني ناصح فاتبعوا
للسلف الصالح كونوا خلفاً
يا قوم إنني خادم الدين فسلا

يا قوم إن الذل فينا قد فسنا
جموعكم واستبقوا نحو العلا
إلى حمى الله وكونوا أقوياء
لتنشلوها من ردى ومن ضنى
تفرقوا فتفشلوا بين الورى
واستمسكوا بالحق ذا الفدح طمى
يفتنكم الجهل إذا الجهل بلا
نصحي ولبوا مخلصاً فيكم دعا
واستنبطوا (هدي النبي المصطفى)
يفرني الملك ولا عرش زها^(١)

ولم يكن الشعر منفرداً بعقد آماله على الملك عبدالعزيز، وإنما هي دعوة كثير من المفكرين في مصر والشام يرون أنه القائد العربي، والذي يجمع بين العروبة وبين حمل راية الإسلام ومنطلق من الجزيرة العربية، فإن العالم الإسلامي ينقاد له.

وتزور أحاسيس الشاعر طاهر زمخشري بقصيدة وجدانية غنائية، تتضح بالحب الراسخ لملكة المكرمة مهبط الوحي، ومناطق القلوب، ومهوى الأفتدة، فروح الشاعر تحلق حول الحرم، وتصدح بالابتهالات الربانية، والتسيبجات التعظيمية للباري كالأطيبار حول الروض وجداول الماء، يقول من قصيدته المغناة (المروتين):

أهيم بروحي على الرايية
واهضوا إلى ذكر غالية
فيه در دمعى بأماقيه
ويصرخ شوقي بأعماقيه

وعند «المطاف» وفي المروتين
لدى «البيت» والحنيف والأخشبين
ويجري لظاه على الوجنتين
فأرسل من مقلتي دمعتين^(٢)

استمطر موسم الحج الشعراء ليستلهموا الماضي، ويستثير مشاعرهم الوقوف على المشاعر المقدسة، ويتوحدون في زي واحد، وتجتمع قلوبهم على غاية سامية هي رضا

(١) محمود شوقي الأيوبي، الملاحم العربية، جمع محمد الربيع ٦٤

(٢) أحمد فنديل، مكتي قبلي، ١٠٢

الله، وإخلاص العبادة له، فيتمنون الوحدة الإسلامية، وثبات العقيدة، وقوة المسلمين، وقد اتحد فكر الشعراء في الجزيرة وفي سائر البلاد الإسلامية فحاشت أحاسيسهم بإبداع فني صور حياة الأمة الإسلامية في سائر السنين لا سيما بعد استقبال الوفود من قبل الحاكم السعودي تلك العادة التي بدأها الملك عبدالعزيز ونهج نهجه أبناؤه من الملوك فكانت منبراً يحكي تطلعات المسلمين، ويكشف عن واقعهم ويعلن الشعراء آماني أبناء العالم الإسلامي ومن أشهر الشعراء وأقدمهم الشاعر أحمد الغزاوي الذي عُرف بحوليياته لما يقارب من خمسين عاماً يقول واصفاً الحج عام ١٢٥٧هـ من مطولة حولية الحج:

لمن الجموع تنشرت بالوادي	متخشين على هدى ورشاد
ولمن تحدرت المدامع خيضة	وتضرعاً في لهفة وتنادي
ولمن عنت هذي الوجوه كريمة	وتجردت في الموقف المعتاد
ولمن مشت كل الضجاج وأقبلت	بالوفد يهتف باسمه ويتنادي
لله للرحمن جل جلاله	هذا الخضوع يلجُ بالعباد
لبيك يا رب السماوات العلى	لك ما تشاء وأنت بالمرصاد
لبيك من أعماقنا وقلوبنا	من كل ذي روح وكل جماد
لبيك يا من لا معقب دونه	في الخلق والتكوين والإيجاد
لبيك رغم المشركين وزعمهم	وذوي الهوى والزيغ والإلحاد
لبيك جئنا مهطعين وما لنا	إلاك يا قيوم كهف معاد
الله أكبر كلما طلعت شمس ضحى	سُبُلُ الحجيج برائح أو غادي
الله أكبر كلما تهوي إلى	البيت العتيق جوانح الأكباد
الله أكبر كلما ازدحمت على	هذا الصعيد مناكب الوفا ^(١)

ويقف الشاعر في أحد مقاطع قصيدته على واقع العالم الإسلامي، كالطبيب الذي يكشف الحالة المرضية ثم يوصي بالعلاج الناجع، فالأمة في شقاق وتنافس، وظلم وتجاوز وانشغلوا بها عن عملية الإعداد والتجهيز وبناء القوة الفكرية والاقتصادية، والعلمية، مما صيرهم إلى ما صاروا إليه:

والإلام نغدو للشقاق فريسة	والبني والآثام والأحقاد
وعلام تسبقنا الشعوب تنافسا	في العلم والتجهيز والأجناد

(١) د. سعد العطوي، أحمد الغزاوي وأثاره الأدبية، ٨٩٧.

كـبـلا فنحن أحق بالإعداد
فـيـمـا يـفـيـد ونحن في الأصفاد
أـو أنه الذكـرى فهل من شاد
نـحن الحصى والرمل في التعداد
جـهـل الرعاع وفرقة القواد
أـعـضـاء جـسـم واحد الأعضاء
وتـقـرـبـوا للحق بعد بـعـاد
(والراشدين) أئمة الإِسعاد
فـي عـزـة ومناعة وجـلاد
رغم الجموح وأسـلـت بـقـياد
خـطـوا الكـمـاة وشـيـمـة الأساد
كـادت تـبـادرنـي إلى الإنشاد
بـالفتح والتاريخ والأمجاد^(١)

ألا أنهم بشرو ونحن وسواهم
لكنهم سلكوا المناهاج دوننا
ما كان ذلك غير وعظ صارخ
أما العديد فما بنا من قلة
لكنما هي علة أسبابها
المسلمون وإن تناءت دارهم
وهبوا إذا اتبعوا حدود كتابهم
ووقفوا على نهج النبي محمد
بلغوا السماك وعاودوا تاريخهم
وتذلك لهم الصعاب وطاطأت
فتدبروا وتفكروا وتأثروا
وقضوا قليلاً في ظلال مشاعر
كادت تبادرنى إلى تذكيركم

عاصر بعض شعراء الجزيرة الدسائس التي يحيكها الغرب للعرب استهلالاً بمؤتمر سايس بيكو، ووعد بالفور، والهجمة الاستعمارية وتقسيم العالم العربي للقوى الغربية، وهم يروجون الحجج والبراهين الكاذبة، فاليهود يدعون أن وطنهم فلسطين، ولكن التاريخ يدحض هذه المزاعم، فالبلاد الشامية ومنها فلسطين يستوطنها العرب فكل ما ذهب أقوام جاءت الهجرة بأقوام آخرين وقد دون التاريخ رحلة الفينيقيين والكنعانيين، ثم هجرات العرب المتوالية ثم مجيء الأمة الإسلامية، فالعرب أمم راسخة، والخلافة الإسلامية قوة ثابتة، والأمة الإسلامية ذات كيان ثابت عبر القرون، بينما اليهود لم يستوطنوا إلا في انتصارات حربية معدودة، وفي فترات الرسل والأنبياء، لاسيما داود وسليمان عليها السلام.

وقد ناقش الغزالي ذلك الأدعاءات قبل حرب ١٩٤٨م، أي قبل تجسيد الكيان الصهيوني فقد قام عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م معلنا عربية فلسطين وإسلاميتها:

وطن العرب لا عبيد الحطام
وهم النار واشتعال الضرام
قبل كسرى وقيصروا بن حام

وفلسطين ما فلسطين إلا
أن من دونها ودون بنيتها
زعموا أنها لهم من قديم

(١) د. مسعد العطوي، احمد الغزالي واثاره الأدبية ٨٩٩

اهداء من شبكة الألوكة
نحن أيضاً لنا بلاد وعنها
علم الغرب أنها بين مدريد
قد أقمنا بها عصوراً وعدنا
(وينو الحمير) من زنوج (بناما)
فاجهروا دارهم وخلوا حماهم
أين كان «اليهود» أيام رفقت
أين كانوا غداة أصبح فيها
أين كانوا من أمية يتسرى
أين كانوا وللخلائق فيها
أين كانوا وآل عثمان منهم
أين كانوا وأين كانت قراهم
أين كانوا وما علمنا بشيء

www.alukah.net
قد نرحنا منيعة الأطام
مد وروما وما وراء سيام
بعد ألف مقرر الأعوام
لهم الحق وحدهم في (بنام)
وأسكنوا الصين أو كهوف جوام
في ربي القدس راية الإسلام
(عمر الفتح) آخذاً بالخطام
في ذراها الوليد بعد هشام
كل يوم مشارف في دعام
في التلابيب من رقاب وهام
بعد موسى وقبل عيسى وسام
علمنا أنهم أذل الأنام^(١)

ويبتهل فهد العسكر يوم المولد النبوي، فيتمنى أن يستمع له الرسول صلى الله عليه وسلم
ليقدم شكواه من مصير العالم الإسلامي المعاصر للشاعر فقد أحصى تلك الأمراض
الاجتماعية ومنها الضعف الإيماني وتفضي الغش والظلم والطفیان، واتكال الناس على العباد
بدل الاعتماد على رب العباد.

وأضاء في قبس الهدى الأذهانا
وأزال عنها الغش والأدرانا
فمحا ضياه الظلم والطفيانا
فمن سسواك نبثه شكوانا
إلا شعوباً تعبد الأوثانا
أعزز وأكبر أن تراه مهانا
إنا تبتدنا الدين والقرآنا
الباري علينا يا نبي عدانا
جاء الكتاب بها فما اشقانا

يا من بهذا اليوم أشرق نوره
وأنا بالإيمان أفئدة الورى
وبنى منار العدل بعد سقوطه
قم يا رسول الله كي نشكوا إليك
قم يا رسول الله وانظر هل ترى
قم وانظر الدين الحنيف وأهله
قم وأهدنا واعمر خراب قلوبنا
إنا تسبنا الله حتى سلط
وبلاه أهملنا التعماليم التي

(١) د. مسعد العطوي، أحمد الغزوي وآثار الأدبية ١٢٠

حتى الضنا الإثم والعدوانا

ما إن تركنا البر والتقوى معا

والدين عن عصيانه يتهاننا

نعصي أوامر كل فرد مصلح

ثم يقف وقفة متأنية عند الحالة الاجتماعية، وتعارك الإنسان مع أخيه الإنسان وتكالبهم على الحياة وظهور الطبقة التي باعدت بين الشرائح الاجتماعية وما فتىء الإنسان يعني بمظهره ويفاخر به، وتناسى واجب المجتمع وأخاه الإنسان:

وتقودنا أطماعنا عميانا

والختل والتدجيل قد فتكا بنا

يجري وما تلقى لديه عنانا

كل بميدان اللذائذ والهوى

حال تثير الهم والأحزاننا

أما الفقير فلا نسل عن حاله

ونصم دون شكاته الأذانا

مسكين لا يشكو ويندب حظه

لا يعرفان العطف والإحسانا

أما الغنى فقلبه ويمينه

ألف التعاسة ذاك والحرمانا

يخستال في حلل الهنا بيتنا ترى

أو لم تر التسليم والإذعاننا

المال سيدنا ونحن عبيده

كيف نفدي الأصفر الرنانا

أما ما ترانا بالمبادئ والضمائر

والآثاث يفاخر الأقرانا

والكل منا بالموائد والملابس

أقنبيغي أن نهمل الصبياننا؟

أطفالنا اتخذوا الشوارع مسكنا

يجدوا بصدر الأمهات حناننا

أباؤهم لا يرحمهم ونهم ولم

والذنب ذنب رجالتنا ونساننا

فيشب والفحشاء صرع لسانه

يرجون بعد الصفح والعفواننا^(١)

هذي جرائمنا وهل أريابها

في هذا الزمان امتدت الظلمات على إخواننا في العالم الإسلامي والعربي، وخبث جذوة الجهاد، وأقفلت أبوابه. وتحكمت القوى الكبرى بالدول الصغرى. وأوجفت عليها، وأرجفت على من يجروء على إعلان الجهاد من الحاكمين أو من الدول أو المجتمعات بل رصدت مسيرة العلماء وكممت أفواه المسلمين، واصطنعت الحواجز وبثتها من حجارة المجتمع ذاتها ومن هناك كان التطوع الحربي مباح لكل البشر ما عدا العالم الإسلامي فإنه يكون الإرهاب في نظرهم، فجهاد الشعب الفلسطيني إرهاب في نظرهم لأنه ضد اليهود المستوطنين والمغتصبين وجهاد لبنان كي يخرج اليهود من أرضه إرهاب، ومن هنا كان العالم الإسلامي أحوج ما يحتاج إلى الأعمال البطولية التي تردع العدو في زمن الأحجام فهذه البطولة

(١) عبدالله زكريا الأنصاري عهد المسكر، ١٢٠

الفدائية اللبنانية (سناء) اتخذت من الإبداع الشعري مساحة كبرى في ديوان الشعر العربي من مغربه إلى مشرقه والشاعر الإماراتي مانع العتيبة يرى أن الكتابة الخالدة تكون بدم الشهداء فهي أبلغ مقالة توجه للعدو، وتستنهض الهمم من الداخل وقد تبعها كثير من الفدائيين داخل بلاد فلسطين المغتصبة بل في عاصمة اليهود، (تل أبيب) وتكاثرت في (القدس الشرقية)، والشاعر يتحدث بلسان الفتاة الفدائية (سناء) حين يقول:

فعلام يقبل حملها الأمانء ؟
 منها إليك وللحروف ضياء
 إن شاء هز ضميرك الشرفاء
 فلتسمعي ماذا تقول سناء:
 هامت بحبك والهيام ولاء
 أبيض عندك للمحب عطاء ؟
 أن الذين استشهدوا أحياء
 دين له عند اللقاء وفاء
 أديته ولي الخلود جزاء
 نضع ولا في موتها ضراء
 فيضيق من نوم الخنوع إباء
 تصغي له الأنقاض والأشلاء ؟
 ليعيش رغم البائسين رجاء
 فجرته فتناثرت أضواء
 لكنها نامت وغاب حياء
 درب الخلال ونوره الألاء
 فإلى الجحيم الخوف الحكماء
 أعطتك ما لم تعطه الكرماء
 زيت الخلود فما له إطفاء
 وليفهم البسطاء والعلماء
 للضجر، فليستيقظ القراء^(١)

إن الأمانة كالجبال ثقيلة
 وكتبت بالدم لا الدموع رسالة
 إن الكتابة بالدماء ضرورة
 يا أمتي هذه رسالة روحها
 يا أمتي هل تذكرين صبية
 أعطتك أغلى ما لديها عمرها
 يا أمتي أمنت منذ طفولتي
 وعد من الله العلي ووعدده
 أنا لا أمن عليك هذا واجبي
 يا رب زلزلها فما في عيشها
 ولعل زلزال الإله يهزها
 يا أمتي، أظل صوتي تائها
 من أجل عينيك اقتحمت منيتي
 وحملت ضوء الفجر بين جوانحي
 شهدت عيونك وهجها وبريقها
 أو تنكرين بصمت خوفك أنني
 إن أصبح الخوف المهيم من حكمة
 يا أمتي هذي الرسالة لا بنة
 منحت سراحك من دماء وريدها
 فلتقرأ الأجيال مجد سطورها
 إن الكتابة بالدماء ولادة

(١) مانع العتيبة، محطات على طريق العمر ٩٢



تتألق روح الشباب المسلمة في شعر الدكتور عبدالله الرشيد، حين يجوب بتأمله آفاق الكون، وبعمله يبني الأمجاد، ويصنع النصر والشباب إذا توكل على بارئه، هانت الدنيا في عينيه، وصغرت كباثرها وتعلو همته من الذاتية إلى الغاية من خلق البشر والتعرف على وظيفته في هذا الكون.

ويعزّو سرّ هذه القوة إلى استلهام التوجيه الرياني، والاشتعال بشعلة الإيمان، والاستتارة بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، والإعراض عن الزيف المخالف للمنهج الإسلامي. ويرسل الشاعر قصيدة نداءاته الندية وهمساته المؤثرة في مقاطع تترع بأصوات مختلفة:

مسافر في ضمير الكون، ما تعبت	رجلاي، أرتحل الأمجاد والظفرا
حرّاً، على منكب الجوزاء متكئي	أكاد أقبض أحداق الدجى زمرا
وقد تراني اشتملت الليل -محتلكاً-	عباءة، وتخذت الصاحب القمرأ
أهيم بالصعب في الدنيا، وأطلبه	ولست كالسيل يهوى الدون والحفرا



محمد سرّاً مجادي، وسيرته	ندّ سرى في مراديب المدى عطرا
من عنده بدأ التاريخ خطوته	فاستقبل مسراه وما فترا
والمدلجون على أنضاء بغيهم	قراهم الليل من أحشائه كدرا
إن عفروا للطواغيت الحدود، فقد	عزرت وجهي لربي مشرقاً نظرا
لم أخش شردمة الغربان ناعبة	أنا الثريا، وأبناء الظلام ثرى



هذا أنا، في يدي شمس، وفوق فمي	مجرة، وفؤادي ينضح السرا
هذا أنا، مسلم، يا غيمة اتكئي	على ذراعي، وسقي في دمي الزهرا
هذا أنا، دومت في الأفق أو ليّتي	نار على علم، والراكضون هُرا ^(١)

ما انفكت عوامل الفتك الداخلي تلك القوى الداخلية للعالم الإسلامي فالفساد الإداري يعثر مسيرة الشعوب، ولا يفسح العالم الإسلامي الطرق أمام المصلحين والمبدعين والمفكرين المخلصين فلا صوت ولا صدى لهم، وتعملق الختل والتدجيل لأجل الأطماع الذاتية، ولا تآزر بين شرائح المجتمع فالطبقية يعلو شأنها بين الأثرياء والفقراء:

(١) عبدالله الرشيد، حروف من لغة الشعس، ١٢ =

الأركان رغم مناعة الأركان
لنعيش في الأوطان كالعبدان؟
والدين ينهانا عن العصيان
وتقودنا الأطماع كالعُميان
تلقى عواطفه بغير عنان
أبدأ فستأه عظيم الشأن
حال تثير لواعج الأشجان
سوء العذاب ولا يزال يعاني^(١)

مضفت بها ربح الفساد فهدت
وطني، وصبيرنا الزمان أذلة
نعصي أوامر كل فرد مصلح
والختل والتدجيل قد فتكا بنا
كل بمبيدان اللذائذ والهوى
ذو المال نغفر ذنبه ونجله
أما الفقير فلا نسل عن حاله
والحر نشيعه أذى ونذيقه

ينادي فهد العسكر بتفعيل التشريع الإسلامي، تفعيلاً يتغلغل في النفوس ويتجسد في العمل فهو ينمي الفرد، ويدفع به إلى التفاني، والإخلاص بل إلى الاحتساب، والإسلام لا يحجبه عن طلب المعرفة، ولا عن البحث عن الحكمة، وإنما يوجب على الأمة الأخذ بها والإسلام يحث على العدل والمساواة، والتعاضد الاجتماعي، والتناصر بين القوى، ولكن الشاعر يعيب على الذين يتظاهرون بالغيرة الإسلامية وهم يبتغون لذواتهم فلنعد إلى نهج الأباء الذين التزموا بالإسلام، وسادوا به الأمم:

المجد الأثيل كنهضة الجابان؟
هذا الغليل كوثبة الطليان؟
صرعى الدهول كصرخة الألمان؟
والدين أضحي سلماً للجباتي
أحبونة للأصفر الرنان
تنمو بظل الصفح والغضران
تنفك عاكفة على (الأوثان)

يا نشء هل من نهضة نحى بها
يا نشء هل من وثبة نشقى بها
يا نشء هل من صرخة تدع العدا
يا نشء عرقلت العمائم سيرنا
يا نشء وأسفاً على دين غدا
فجرائم العلماء وهي كثيرة
كيف النهوض بأمة بلهاء لا

وهو يعزو التخلف العربي إلى التهاون بالتعاليم الإسلامية في العبادات والأعمال والجهاد فجعلهم يقصرون عن أمجاد آبائهم:

وننال في هذي الحياة أمانى
في عائم الإهمال والنسيان
مد في الحياة أوامر القرآن

هيهات تبني ما بناه جدودنا
وشريعة الهادي غدت واحسرتنا
نرجو السعادة في الحياة ولم تُنف

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر، ١٢٧.

وغدوا وربي، بهجة الأزمان
واستسلم القاصي لهم والداني
وفضوا على كسرى أنوشروان^(١)

بالدين قد نال الجدود مناهم
فتحوا الفتوح ومهدوا طرق العلا
طردوا هرقل فراح يندب ملكه

مرت حقبة على العالم العربي غزا اليسار البعثي الاشتراكي كثيراً من الشعوب العربية، واستجاب له كثير من الذين لم يترسخ الإيمان في قلوبهم، وتزلزلت بعض العقول، فأخذوا يقذفون الملتزمين بالإسلام بالرجعية، لكن كثيراً من المسلمين حتى سلاطين الدول الإسلامية الملتزمين، والعلماء والمفكرين لم يبالوا بهذه التسمية بل ارتضوها بمدلولها الالتزامي سخرية بأولئك القاذفين، وللتاريخ فإنها في أغلبها توجهت لأبناء الجزيرة لالتزامهم بعقيدتهم، ولتأخرهم في الإرجاف إلى الاشتراكية، وقد تجلى الأمر في حقبة زمنية أدركنا أولها وآخرها وانكشف الحق للمسلمين فلم يعد لهذه العبارة استخدام لكنها تمثل مرحلة زمنية لحالة العرب التي لم تقم على ثبات:

أنا رجعي إذا ما قلت ديني مطلبي
أنا رجعي إلى الأمجاد يسمو مأربي
أنا رجعي لدين الله دين أطيب
فاض بالعلياء في حق وهدي مترب
أنا رجعي تركت السحب للفر الغبي
وتمسكت بشرع الله في روح أبي
نهج من ساروا على الدنيا بسير طيب
في مدى الأجيال في مر الدهور القُلب
أنا رجعي لهذا النور رغم الغضب
لا كما ضل غواة جهلوا شرع النبي
واستمروا في ضلال وشقاء متعب
قلت للباغين ولوا، عن طريق الأصوب
أوثر الحق وأرعى، في سلوكي واجبي
وأريد الناس إخوانا وهذا مذهبي
قوة تسمو وترمي بالعدو المذنب

(١) عبدالله زكريا الأنصاري، عهد العسكر ١٢٦



ويرفع الشاعر الإماراتي سالم العويس صوت الإسلام في تجاربه الشعرية ممحصاً عن قلب يستلهم الإيمان ويتمنى سيادته، فهو تارة يجعل من مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة لبيان مكانة الإسلام، وعظم دور القرآن والسنة المطهرة، وتارة يخاطب حكام العرب وسلطانهم الذين التزموا بالإسلام شريعة، ومنهاجاً، فيتوجه إلى الملك عبدالعزيز الذي وحد الجزيرة تحت راية الإسلام، فهو يشد من أزره ويدعوه إلى الالتزام بمنهج الإسلام ويكشف عن نتائجه على الجزيرة العربية:

الله يرفع بالإسلام من ضعة
فانهج كأبائك المرفوع ذكرهم
ويقول:

والبرذل مع القصاص عتيده
فإليك في أرض الحجاز حصيده
للساهدات البيئات تؤوده
والأمن فيهم ضارب أطنابه
والمسلمون هووا به في لحظة
إننا المكابر في حصافة ديننا

ويقول الشاعر مبارك العقيلي عن الدولة السعودية:

الحكم لله والقرآن حجتة
فهو الإمام لأهل الحق قاطبة
وابن السعود بما في نصه حكما
من كل بر بهدي المصطفى اعتصما

ويشير الشاعر محمد نور إلى كيان الدولة الإسلامية في الجزيرة:

وحدة أسسها العدل على
طبق العالم جمعاً صيتها
وحدة قد سطعت أنوارها
وحدة لا زهو فيها حكمت
رفعت سلمان حتى قال في
هو منا نحن أهل البيت ذا
أحكم الأساس لاتنفسصم
وسرى كالبرق لا ينكتم
فأضاء الكون وهو المظلم
أن ذا التقوى الأعز الأكرم
حقه خير الأنام الأعظم
شرف دون علالة لأنجم^(٢)

في أعقاب سقوط الخلافة العثمانية، وهجوم الغرب على العالم الإسلامي وتشطيره إلى دويلات مستعمرة، فقد أخذ الفكر العربي ينهض من كبوته، ويقرع مسامع الفرد والمجتمع،

(١) محمد جدد، المجموعة الشعرية الكاملة ٣٦٨

(٢) نزار أباظة، الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات، ٨٤

كاشفاً عن الأدواء ومواطن البلاء ومعلنا الجهاد في شتى البقاع فأعلن الشعراء والمفكرون الجهاد ضد المستعمر الإيطالي في ليبيا وكان من أشهر الشعراء الذين خاضوا الجهاد، شكيب أرسلان، وارتفعت أصوات الشعراء، ثم تعالت الأصوات بعد ذلكم في سائر الأقطار العربية تنادي بالوحدة الإسلامية كاشفين الستار عن السدود الداخلية والخارجية، حاثين على تجاوزها، جاعلين من العالم الإسلامي وطناً واحداً يقول محمود شوقي الأيوبي الشاعر الكويتي، وهو يشيد بالملك عبدالعزيز الذي يذر بذور الوحدة في الجزيرة. وتمنى أن يكون موحد المسلمين كما تمنى غيره رأوا فيه خليفة العرب والمسلمين:

قواكم وبالتوحيد قد يرفع البأس
 إلا إن داء المشركين هو اليأس
 إله عظيم، لا يفرقها الجنس
 كريم وفي كل الديار له درس
 أتسون يوم انتاش أكبادنا أمس؟
 فقد ضج منها المسلم الشهم والقس!
 وكف العدو الضدم فينا لها مس
 على الوحدة شما فليس بنا جيس
 وللغرب عين دأبها الخزر والجوس
 تفضت بنا يا قوم واستفحل الندس
 يريغ ضلالاً وليكن حظه الرفس
 فبات من التشكيك في قلبه هجس
 به جنة تظني الحجاً أو به رس
 فهذا ندائي جهرة ما به همس
 مؤثلة قد طاش عن حبها النجس
 بسيدها الميمون قد بري القوس
 وفي أكبد الأعداء من غبه نخس
 دعاه بكف الهول من رعبه الرعس
 (وعبدالعزيز) لذلك الجارم النطس^(١)

تبوا يا أباة الضيم جمعاً ووحدا
 وخلوا التواني والقنوط ويادروا
 ففي الشرق أقوام تدين بخالق
 إذا الفضل بالتقوى ولله مدرس
 احذركم والأمس ليس بعائد
 وما فتنة (القدس الشريف) بعيدة
 فما داؤنا إلا التشتت والونى
 تعالوا نثير المسلمين نحضهم
 حذار بني الإسلام فالعرب ياقظ
 حذار من الإلحاد إن سموه
 قضاوا واسحقوا سحق البعوضة من أتى
 لقد تفض الشيطان في أم رأسه
 يعذبه (وخز الضمير) كأنه
 تخذت بيوم العيد للحق صرختي
 فلله دار في (الجزيرة) غصبة
 بها من حماة المسلمين أشاوس
 هو الأورع الداعي لكل فضيلة
 إذ مال عن سبل الهداية مائل
 أرف تهاني العيد والشعر باسم

(١) محمود شوقي الأيوبي، ديوان الملاحم ٩٨ تقديم ودراسة د محمد الربيع

يدعو الشاعر الدكتور زاهر عواض الأملعي، قادة الأمة الإسلامية إلى التوحد، ورفع راية الإسلام بالعمل والعلم، وبناء شباب الأمة الإسلامية على العقيدة السليمة، والفكر المستنير، والعزيمة الصادقة، والتلاحم بين أبناء الأمة من أقصاها ليكون الهدف واحداً وهو إعلاء كلمة الله، ورفع شأن الأمة الإسلامية بالجهاد الشامل بكل إمكانيات المجتمع الفكري والاقتصادي والسياسي والحربي:

وإذا هوت في الأرض راية أمــة
أضحت على أشلائها تتوجع
يا قيادة الإسلام هبوا نجدة
سيبف الخطوب بكل أرض مشرع
واستنهبوا همم الرجال فإنها
ستذهب اسداً فوق ما يتوقع
ما حرر الأقصى الأسير ترنم
وتألم من شاعر يرتفع
أو كاتب اتخذ البيان صناعة
فالحرب عدتها القطع
يا أمتي وجب الجهاد فشمري
فسموت في سباح البطولة أروع
وإذا أرادت أمــة
ضحت ولو أكبادها تتقطع
أنا بنو الإسلام وحيد شملنا
دين بعزمته تشد الأذرع
إننا إذا لاقنا توحدت
كلماتنا وعلى الهندي نتسجمع^(١)

يتعالى سواد الألم على محيا كل فرد في الإسلام من الواقع الأليم الذي يعيشه عالم المسلمين، فهم في ثالث من الفقر والجهل والظلم تتداعى عليهم الأمم، ولا حول لهم ولا

(١) زاهر عواض الأملعي، على درب الجهاد ١٩٢٠

قوة، تختص بهم أخبار الشؤم والحروب والكوارث، ويفعل الإعلام الغربي الأفاعيل. ويضلل سواد المسلمين بل والبشرية عن الهدى الرباني، ويصرخ الشاعر السعودي أحمد على النعمي بلسان كل مسلم فيقول من قصيدة مطولة بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م:

ولكم نفوس في ثراها روعت وتعرضت للويل والأهوال ١٥



عظم المصاب فأى قلب مؤمن
يرى هذا لا يطاق وأننا
فاملاً بصائرنا يقينا وأتنا
إنا نعيش حياتنا في فرقة
نسعى إلى من لا يسر بسعينا
وتظل نلهث ضئاعين وإنما
يرضى الهلاك لمسلم ذي بال ١٥
شئى على الغدوات والأصاال
عوناً فإنك دائم الأفضال
وتمزق وتناحر وجسدال
وبريد جرعة سلسل من آل
كان الضياع نهاية الآمال !!



يا رب أنى قد أطلت تأملى
وأطلت تفكيرى بنظرة مؤمن
تتحكم الأطماع في تسييره
فرجعت أعظم ما يكون شقاوة
إنى لأحسب اننى فى اممة
وبأنها آلت على أجسامها
من كل أشعث أغبر يمضى إلى
فى الحاضر المملوء بالأثقال
ألفى الوجود مزعزع الأوصال
فإذا قدرت.. فأنت أنت الوالى
ورجعت آدمى خافى بنبالى !!
شدت عمائمها ليوم تزال
من الفراش، ونغمة الموال
أعدائه مشيماً، وفوق رعال

ويخاطب الشاعر قادة العالم الإسلامي الذين يحملون الأمانة أمام الله، ثم أمام شعوبهم وأوطانهم، إنهم القادرون بإذن الله على اتخاذ قرارات الوحدة، والقوة، والتعاقد، والتكامل، والعمل لخير الإسلام، وأفراد الإسلام ومجتمعاتهم، وإنما القادرون إذا اجتمعوا واتحدوا على الوقوف في مواجهة الأعداء، وهم أصحاب النفوذ القادر على الأخذ بأسباب التنمية والنهضة والاعتماد على الذات، وبناء الأوطان علمياً واقتصادياً، حتى لا تكون الدول الإسلامية عالية على الأمم.

إني أناديكم بصوت عال
لأرب، وبطيئة الأعمال؛
ولتصبح الأوطان كالأطلال؛
أعلامها في وحدة وكمال؛
بالعروة الوثقى بكل مجال؛^(١)

يا قيادة الإسلام يا زعماءه
أنا أعيش بأمة سباقة
نبغي الحياة كما يشاء لها الهوى
أم أنني في أمة خفاقة
نبذت خلاقات الهوى واستمسكت



بلسانكم في خير جمع غال
وبه تؤثر ضربة الأبطال
هو غاية الأهداف بين الآل
بالغزو مات على أشد ضلال^(١)

يا قيادة الإسلام مكة أعلنت
حان الجهاد وفي التلاحم قوة
وتوحد الرايات في درب الهوى
من ليس يغزو أو يحدث نفسه

واختتم الحديث عن موقف أهل الجزيرة من واقع العالم الإسلامي بقصيدة لشاب في مقتبل العمر يصور الحالة الإسلامية التي تئن من واقع العالم الإسلامي الأليم وهو يذكرنا بنتائج التاريخ الإسلامي، وببكي الواقع المرّ، ويتمنى أن تكون هناك رموز لبطولات شبابية حديثة كتلك البطولات الإسلامية السالفة، والقصيدة تشير إلى التيه الفكري والمنهجي الذي يسير فيه العالم الإسلامي فما زالوا لم يوفقوا إلى المنهجية التي تأخذ بأيديهم إلى الوحدة والقوة في شتى المجالات يقول الشاعر فواز اللببون:

لم تمتعه بما سلبه
والقوا في فيه ملتهبه
مذ تركنا القدس مغتصبة
شاهراً في جمعهم خطبه
لم يطرز وشيها أديه
فانبرى باللوح والقصبه
والسيوف الحمر محتجبه؛
قومنا يوم الوغى كتية
سل في ميدانكم خشية
وأسلوا التاريخ والحسبه

كلنا أبدى له حجبه
الشعارات ارتمت حممه
ما تركنا حرفنا أبدأ
كل ثرثار نضاً فومه
شعبنا ما كف عن لغه
هباً يستبقى كرامته
هل حجبنا الضيم عن شرف
يا بني صهيون معذرة
ألف مليون ولا أحد
ما أمنتم غير حاضرتنا

(١) علي أحمد النعمي، الرحيل إلى الأعماق ٢٢

أي خطب يا ترى تكبته
تندب الماضي ومن ندبه
للذي يبدي لنا عجبه
واقض آفات ولا غلبه
إن في ساحتنا جلبة
قد ينال النصر من طلبه
وأعتلى أبطاله الحلبه
صولة الباغى وما ارتكبه
يلعن الأوغاد والكذبه
يجتني من عارها ذهبه
رايه ولأهم عقبه
كفه تزهو بما وهبه
لا ترى في دربها عقبه
ضعفكم لم أكتشف سببه
فوقهم ما جاوزوا لجبه
معلنا إعصارنا غضبه
رافعا من بعدها ذنبه
غير أن الحال منقلبه
من بيننا معشر وثبه
والأماني بعد مرتقه^(١)

حاضر يبكي على زمن
رب وامست سلماه علت
ضاعت الآمال.. وأعجبا
اجتسماءات ولا اثر
يا رحي الهيجاء لا تقفي
لا تراعي من بسالتنا
عاد من ماضيه جحفلنا
المثني ثار منتقدا
وابن معد في انطلاقته
وابن عمرو خلف غايتهم
وابن شداد إذا رفعا
والفتى الطائي ما برحت
بينما صهيون ماضيه
يا بنى الإسلام ويحكم
لو أرقنا دمع خيبتنا
لوفخنا في جموعهم
ما رأينا فيهم ضبعا
ما غزائي يا بنى أملي
في الغد الاتي سيحصدهم
دورة الأيام ما اكتملت

لقد ظهرت معالم القوميات قديماً، في عهد الدولة العباسية لما تولى الفرس الوزارة وعظم أمرها في وزارة (البرامكة) ثم ظهرت الحركة الشعبوية، ثم تحول الحكم السلطوي الفعلي من العرب إلى الأتراك من بعد عام ٢٣٢هـ وتم تجسيد القومية التركية في دولة السلاجقة فأعلنوا محاربتهم للعرب في إماراته وعزلوهم عن الحكم. ثم الدولة العثمانية التي أضعفت الأقاليم العربية وانتزعت منهم العاصمة الثقافية والفكرية مع السياسية.

ولقد حاولت الغرب الولوج إلى عمق الخلافة العثمانية الإسلامية. فقد عملوا على إيقاف العنصرية القومية فانطلقت من فرنسا أقوى الجمعيات هي (تركيا الفتاة) عام ١٩٠٨م كي تعلن غلبة الطورانية أي العنصر التركي، وأخذت تعمل على تشكيله، وتترك العالم العربي والإسلامي بإنشاء المدارس والترغيب بالوظائف في الأقاليم.

وأنبثق من فرنسا مؤتمر الأحرار العرب الذي يدعو إلى قومية عربية مضادة للدولة التركية وذلك عام ١٩١٢م.

وكان دور العرب النصارى في لبنان بارزاً فهم الذين تعلموا في أفضل المدارس في العالم العربي، فقد رعت الدول الغربية لا سيما فرنسا إنشاء المدارس لأبناء النصارى ونشر الفكر الغربي.

فتجسدت المعارضة الأقوى للدولة العثمانية في لبنان وانتشر كثير من أبناء تلك المدارس في بلاد الشام وفي مصر وتصدروا وسائل الإعلام الصحفية. ولا استبعد التأييد الداخلي لهم من القنصليات فكيف يكون المهاجر المبعد عن بلد قادر على إنشاء صحيفة؟

ومن هنا انطلقت القومية العربية يتعاون الاتجاه القومي العربي الذي يضم عدم الولاء للدين، والقومي العربي الذي يضم الولاء للدين فطالبوا في بداية الأمر بالمشاركة، لذلك نجد أن مقررات مؤتمر باريس الذي عقد في عام ١٩١٢م باسم التحرير العربي كانت تدور حول المطالب الآتية:

- وجوب القيام باصلاحات حقيقة في الدولة العثمانية.
- وجوب تمتع العرب بحقوقهم السياسية واشتراكهم في الإدارة المركزية العثمانية اشتراكاً فعلياً.

- إنشاء إدارة مركزية في كل ولاية عربية تنظر في حاجاتها وعاداتها.

- اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية.

- جعل الخدمة العسكرية محلية في البلاد العربية^(١).

وقد أنشئت عدد من الجمعيات ومنها «جمعية المنتدى الأدبي» عام ١٩٠٩م في الأستانة وأنشئت في النمسا الجمعية القحطانية ١٩٠٩ وجمعية العلم الأخضر ١٩١٢م وغيرها من الجمعيات الكثيرة التي تكون بتحريض من المفكرين والأدباء في بلاد الشام أو برئاستهم ومنها ما تكون في الغرب^(١).

ونحن لا نستبعد النية الحسنة لإزادة الحرية والنهوض إرادة اجتماعية ومطلب شعبي، وأمل للأمة، ولكننا لا نستبعد بل نرى أن هناك أيد خفية تحرض على الفرقة.

والواقع أن القومية اشتد أوارها، وتشكلت لتسالم المذاهب الدينية والفكرية باسم القومية العربية، ولكن الغلبة في بداية الأمر لأولئك المتواصلين مع التجمع الإسلامي بظهور الكيان العربي، فتكون العربية والتركية وسائر القوميات تحت مظلة الخلافة العثمانية وإن ظهرت هناك نداءات أخرى تنادي بالخلافة في الأمة العربية.

وقد تطورت القومية العربية في عصر الاستعمار حين أُلغيت الخلافة، إلى قومية تنادي بإتحاد العرب، ومواجهة المستعمر، وغلبت عليها الاتجاهات اليسارية كما هو في حزب البعث في سوريا والعراق، أو الاتجاه العلماني كما هو عند اللبنانيين والمهجرين، وكثير من المثقفين العرب، وقد بلغت قوتها حين أخذ يصرح بها -مجردة عن الانتماء الديني- جمال عبدالناصر، وتهتز له الشعوب العربية في خفة ونزغ، وقد هدأت بعد موته وهناك القومية العربية المتلاحمة مع الروح الإيمانية الإسلامية، والتي ترى أن العرب لا تقوم لهم قائمة إلا بالإسلام، وأن العرب حملة أعلامه الأولى إلى البشرية فقد جاهدوا بالأنفس والأموال حتى انتشر وتكونت الخلافة الإسلامية الكبرى وبادر كثير من الشعراء لمعارضة هذا الاتجاه: «ويوحى الشعر في الجزيرة العربية بالتزامية الفكر الشعري عند الأدباء حول القومية العربية، فلم يكن بمعزل عن التلاحم مع الروح الإسلامية، وأن الأمانة الكبرى هي الوحدة الإسلامية التي تجمع شتات المسلمين، ولكن المتدبر يرى استحالة تلك الوحدة فمال القراء في الخليج إلى تمجيد العرب وقيام وحدة وكيان شامل يلم فرقتهم ويقوي شوكتهم تحت مظلة التشريع الإسلامي، فينادي الشعراء بقوة العرب لتكون قوة للمسلمين يقول حسن عرب إلى أحد دعاة القومية:

(١) أبو حنيفة، الالتزام في الشعر العربي، ١٢٩.



واسأل التاريخ، من تأرا؟
 أم على العرب تمطي وازدري؟
 يحصد الروض ويوري الشجرا
 وجبان راح يحكي عنترا!!
 ثم أرغى مزيداً مفتخراً
 منكرأ، صار إلهها أكبرا
 من جماهير، ولا من جمهرا
 وسبى أحلامها، واستأجرا
 ثم ينحي، لأنما معتذرا
 كلما أبرم عهداً، مكرأ
 ورأى التهمة، حين اندحرا
 كلما أوجس ضعفاً غدرا
 ما جرا من قسولة، أو بدرا!!
 عاب كل الناس حتى هجرا
 مـان، في أوطانه، أبو بدرأ^(١)

فاسأل الثائر، عن ثورته
 أمن الإخوان أم من شعبه؟
 عات في الأرض فساداً، ومضى
 جاهل أصبح فينا رائداً!!
 ركب المجدد على أعناقنا
 صال فرعوناً فلما لم يجد
 داعسياً باسم الجماهير، ولا
 حشد الدهماء صفا حوله
 يصنع النكبة في مكتبه
 ماكر الصولة، في صولته
 زادت النعممة، في بطرته
 جرد الغدر، على أقوامه
 وإذا قام خطيباً، ما درى
 كان خطبياً لا خطيباً، فلقد
 حسبته الله، على ما خان، أو

والحق أن الخلاف بين المثقفين العرب يدور حول مكانة جمال عبدالناصر فمنهم من يرى مصداق قوميته في تحرير قناة السويس، وبناء السد العالي في مصر، وآخرين يرون موقفه ضد الإخوان المسلمين، وأن قوميته لا تقوم على الدين الإسلامي، وأنه يفتقد الروية والرأي المحكم.

وينبري الشاعر معلناً الاتجاه الخليجي في قضية القومية العربية:

أتقى الله، وأخشى القـدرا
 بشعارات، غدت متـجرا
 يملأ الحقل بها والبيدرا
 اتحدى بثباتي، الأعصرا

أنا رجـوعى لأنى مؤمن
 لم أبع ديني ولا قوميتي
 صاغها الشيطان زورا، ومضى
 عربي مسـسلم، لا أنثني

(١) حسين عرب المجموعة الكاملة، ١ : ١٨٤



ويحكي الشاعر حسين عرب تاريخ الأمة العربية المعاصرة من التخلف والتفرق والتمزق، والفظة عن البناء الداخلي، فهي ليست قوية في ذاتها وإنما قويت لأنها أدركت مواطن الضعف في الأمة العربية، فداهمتها بمكرها، وغدرها، ورأيها ولبست بالمواجهة العسكرية ذات الاستعداد من الجانب العربي:

لا تلوموا دولة البقي على
السياسات التي حقت بنا
حظ إسرائيل، من قاداتنا
فضحت أقوالهم أعمالنا
أبرمت (صهيون) ليلاً، أمرها
ودهتنا عصابة غادرة
حلت النكبة فينا مرضاً،
اشعلت في كل نفس حسرة
بغيرها الساحق، حين انتصرا
علمتها، كيف تجني الظفرا
حظ من نام، وخلال الحذرا
وأباحت سرها المستترا
واستباحتنا، صباحاً أغبرا
غاب عنها وعينا فانفدرا
ثم أعيي الآسي المقتدرا
ورمت في كل قلب خنجرا^(٢)

والأبيات جزء من مطولة تحكي تاريخ الأمة العربية، وما طرأ عليها من ثورات، وحروب وتخلف، ومصارعة مع اليهود، وتقلب بين القوى الكبرى الأمريكية، والاتحاد السوفيتي سابقاً، تلك التي تمثل الرأس مالية الغربية والأخرى السوفيت الذين يمثلون الشيوعية والاشتراكية، يقول على لسان كل عربي في آخر القصيدة:

عربي مسلم أنا لا أنثني
قبيلتي مكة، لا موسكو، ولا
اتحدى بثباتي الأعصرا
أمريكا، لا ولا إنجلترا

وينبش فهد العسكر الشاعر الكويتي عن كثير من معائب الشرائح الاجتماعية في وطنه العربي، في زمنه كان مدلول الوطن يشمالبلاد العربية بعد أن انحسر المفهوم الأهم للوطن الإسلامي بانقراض الخلافة العثمانية، فهو يعني المروءة بمعناها الأشمل، فلا غير، ولا تعاون، ولا مكانة لأصحاب العزيمة والهمم، والشهم الأبى مكسور الجناح، وأصبحت الغلبة لذي الوجهين، والقادرين على التذلل والخنوع.

وقد ساد الشرائح الاجتماعية كثير من الفرقة، فهناك المذهبية والإقليمية والعصبية

(١) حسين عرب، المجموعة الكاملة، ١: ١٨٧

(٢) المرجع السابق، ١: ١٨٢

العربية في خضم الحياة العاصف.

وتحيط بالتعظيم كل منافق باع الضمير بأبخس الأثمان



ما نحن في وطن إذا صرخ الغيور
ما نحن في وطن إذا نادى الأبى
وطن به يتجرع الأحراروا
ويلاه أجنحة الصقور تكسرت
وأرى الفضاء الرحب أصبح مسرحاً
والليث أمسى بالعرين مكبلاً
ما أن يطبل في البلاد مطبل
أو كلما نعب الغراب وغص في
فلم التخاذل والعروبة أمنا
وتم التفاضل بالموائد والملابس
وتم التمصيب بالمناهب، يابني
فقلوبنا لله والأجسام
فتماضوا وتكاتفوا وتآلفوا
وتآمروا بالبر والتقوى ولا



تجري السفينة في محيط هائل
كيف السبيل إلى النجاة ولم تزل
رياه جار الأقوياء فانظر إلى
وعيوننا ترنوا إلى الريان
عرض الخضم سفائن القرصان؟
ما يفعل الإنسان بالإتسان^(١)

وعاش الشاعر حسن القرشي القضية العربية الفلسطينية، ولم يسترح للشعارات الجوفاء، ولا إلى الأوضاع المتردية، وتآلم كما تآلم غيره للمهازل من الحكام العرب الجهلاء الذين لم يثبتوا على مبدأ، ولم يسلكوا منهجاً مما ضيع القضية الفلسطينية، وقد احتلت مساحة من

(١) عبدالله زكريا الانصاري، فهد السكر، ١٢٨

حول تمزق الأمة والدعوة إلى الوحدة، وإعلان الجهاد:

كل يوم لنا شعار جديد
ينشر القول لا يدعمه الفم
ليس يرجي سوى الجهاد شعار
وخطيب ينبو على النصاح
ل ويمشي في الراكد الضحاح
وانتضاء الظبي وشرع الرماح



أمة العرب إن في القلب جرحاً
أمة العرب إن في الفم ماء
ايقظونا من غمرة نحن فيها
السفين العاني على اللج طاف
كلنا ضائع في ثبج البحر
كلنا طاعم المذلة والهـو
أمة العرب آرزوه فداء
من دمانا دم القذائي ومنا
مقولي يلتوي عن الإيضاح
قد يغص الصادي بماء فراح
ودعونا نمشي على الأوضاح
في ارتقاب لعزيمة الملاح
ر إذا لم تعش حياة كفاح
ن إذا لم نجسد بكل متـاح
يبتدر كل خطوة للنجاح
كل فساد بروحه مناح^(١)

تميل الأمة العربية إلى السلم والسلام، فلها عقول تدرك مخاطر الحروب، وجاءت شرعة الإسلام لتتيمي فكرة المحبة والسلام غير أن نشد أنهم للسلم حين لا يصد الإسلام صاد، ولا يحجبه حاجب، وحين لا يضام الإنسان الإسلامي والعربي، وحين لا تنتهك الأعراض، ولا تققطع الأراضي فإذا بلغ الحد أحد هذه فإن واجب الجهاد على الأمة، يمثل الهاجس الأول، ولما وقع العرب فريسة الأعداء تنادوا للجهاد، متمثلة في قيام حركة (فتح):

تلك الطلائع من بني
نُصلي العدو جحيمها
ك نضرن كالقدر المصيب
وتهش ليوم العصيب!



يا أمة العرب اسلمي
شرف النضال لنا ومن
نحن الأئي عركوا الشدا
تسبجت عزائمنا الملا
وتبي إلى العليـا وأويي
أعدائنا شق الجيوب
تد دون يأس أو لغـوب
حم وانتبشت بدم الحروب

(١) حسن القرشي، فلسطين، وكبرياء الجراح، ٧٠ - ٧١



سيعود موطننا الأبي

مطهرأ خضل الطيبوب^(١)

متى ما أدرك الإنسان أمراضه ومعايبه، وأخذ يفكر كيف يكون العلاج من الداخل قبل أن يوقع اللوم على الآخرين متى ما كان هذا شأن الفرد فإنه يرجى برؤه، وكذلك مصائر الأمم فإنها إذا تداعت إلى النهوض من كبوة التخلف، وتعاضدت على العمل، وتأملت في مناهج السير، وتحطيم الحواجز، وأخذت تغذ المسير، وتحدو للشباب فستكون لها القوة والغلبة، وتكون قادرة على تحطيم العقبات، وصد الهجمات، فاجتماع الآفاق من اليهود، وتدنيهم الأرض العربية، لم يكن من قوتهم وإنما الدعم الأمريكي والغرب الأوروبي، فهم الباذلون له المال والسلاح، والقوة.

وسوف يصد العرب تلك القوى إذا توحدت أفكارهم وأعمالهم، وسياستهم. والشاعر الدكتور أسامة عبدالرحمن يعلن عرويته التي يأمل ثباتها أمام التحديات المعاصرة:

واحد الأماني.. ركبها المتأخرا
آفاقها العليا.. فقد طاب السرى
حتى تبرز الحاضر المتحضرا
حتى تكون.. الرائد المتصدرا
علم الهداية والشهاب النيرا
فجر الأماني.. قد أظل مبشرا
للمعضلات.. وللمعارك.. شمرا
ومحا عن الأفضان أثار الكرى
بركان حق.. بالرجاء تفجرا
ناداه.. أن يلج الوغى.. أن يتأرا
تخذت من الوطن السليب.. معسكرا
ووجودها، وكيانها المتدهورا
قد مر من خلف الحياة.. وأدبرا
متظلماً.. من يومه.. متدمرا
وتهان عند غربتها اسد الشرى؟

قم.. سابق الفجر الجديد.. مبكراً
واصعد إلى الأمجاد، واسر ميمماً
وامدد خطاك على الطريق.. طويلة
حتى تفوق.. السابقين.. مفاخراً
حتى تعود... إذا تعثرت الخطى
أنا موقن بغد.. وملء جوانحي
المارد العريي.. هياً نفسه
المارد العريي.. حطم قيده
المارد العريي.. في إيمانه
المارد العريي.. صوت إباته
إن قيل إسرائيل.. فهي عصابة
لولا يد للظلم تدعم دورها
لم تلفها إلا خيالاً زائفاً
إني أرى التاريخ يشكو يومه
أيجوس، في أرض الغروية ثعلب

(١) حسن القرشي، فلسطين، وكبريا الجراح، ٢٤

أيشرد .. الأحرار من جناتهم ظلما ليفترشوا العراء .. المقفرا؟

وتتشكل حول فلسطين قضية العرب الكبرى، قلب الأمة العربية، وهي مهوي أفئدتهم مع الحرمين الشريفين وكل فرد عربي يحدهو الأمل، وتدفعه العزيمة، ويعمل جاهداً لاسترداد الوطن السليب، ودحض العدو المغتصب، ولكن كثيراً من العرب تتعارض مصالحهم، وتختلف أهواؤهم، ويخضعون للتصادم الفكري الذي جسده الثنائية الثقافية المعاصرة، واختلاف التكوين الذهني يؤدي حتماً إلى اختلاف المناهج والأعمال التي توحد الأمة، وتقوي شوكتها، وتنصر إرادتها، ومن ثم فإن موالاة العرب، متشعبة خاضعة لفكرهم، ومصالحهم المادية وليس هناك إيثار ولس هناك فداء، تلك عواتق يكشف عنه الشاعر:

قولوا لها.. إن الدماء سخية
وغدا... ننال حقوقنا بيميننا
ميمادنا.. عند الحدود سنلتقى
إني.. ليدفعني التفاؤل.. كي أرى
تمحوبه.. عار الهزيمة.. في غد
لن يقبل الدنيا الرخيصة.. لاجئ
حتى ينال الثأر... من أعدائه
النهر في أرض العروبة.. نهرنا
ولقد أردنا.. أن نحول ماءه
سنذود عنه.. فلن يدنس ماءه
إن شئتمو.. تحقيق ما ترجونه
فحذار من كيد العدو... وواجهوا
تلك الدويلة.. من أقام كيانها
ومن الذي.. أرجى السلاح هدية
ومن الذي.. بعث البعث ولم يزل
هذا هو.. العدوان.. يأتي سافرا
هذا هو.. العدوان.. يزحف جاثماً
عق العروبة، من تسمى باسمها
من كل من تخذ السياسة.. مغنما

وغداً.. ستروي في فلسطين الثرى
وتقدم الغالي.. ولن نتأخرا
من كل صوب.. حق.. أن نتجمهرا
جيش العروبة، ظافرا ومظفرا
ونخطه قدرا... يسير مقديرا
حتى يعود... مواطننا متحررا
حتى يرى.. الوطن السليب.. مطهرا
يجري رخاء.. بالحياة مسخرا
وتحول الصحراء... مرجاً أخضرا
نحس.. وسوف نصون هذا الكوترا
وآرديمو التصر العزيز.. مؤزرا
ذاك الجلى... وذلك المتسترا
وبني دعائمها وشاد وعمرا
ليكون شراً.. عاصفاً ومدمراً؟
ومضى يبارك خطوها المتعثرا؟
مثل الضحى.. أو كالدجى متدثرا
فوق الحقوق... مخادعاً ومغفرا
أفكا ويهتانا... وساوم وافترى؟
وطريق قافلة الضلال.. تخيرا

لن استهان بحقها .. وتنكرا
عن خطها يوماً... وخان وزورا
واختار نهج الأنحراف.. تهورا
كتب الخلود لشعبها.. وتقررا
من أن تكون .. تخاذلاً وتقهقرا
للعدل صوتاً... وللعداثة منبراً؟
تخشى الكبير... وتستخف الأصغرا
فإذا تناوله النقاش تبخرا
ومزخرفاً.. ومشوهاً... ومزورا
وتمارس الفعل... المشين.. مبررا
تشقى البصير ضحى.. وتشقى المبصرا
يجلو الحقائق بالحقائق مجهرا
ييدي الخفي.. ويستشف المخبرا
غدر... وطيع الحر.. أن لا يغدرا
والله شاء.. لسرها.. أن يظهرها
ومن الذي أهدى البرية هتلا
ندري العميل... وتعرف المتآمرا
وعلى سناها.. سوف نقتحم الذرى
كبرى.. وشاء الله.. أن تبلورا
في ذمة التاريخ.. يأتي متنكرا
خلف الأمانة.. باع فيها واشترى
تضنى العميل... وتمحق المستأجرا
هذا التشتت.. والتمزق فى العرى
وتحطم الغضن الندى المثمرا
حتى يكون على الربوع مسيطرا⁽¹⁾

تأبى العروية .. أن تكون مطية
وهي التي أودت بكل من اتنى
أو من تراحي فى الحقوق تجاهلاً
إن القضية .. عودة حتمية..
الموت أشرف أن يكون... نهاية
ويحي.. أنتتهك الحقوق ولم نجد
ما المجلس الدولى.. إلا عصابة
الحق مثل الشمس... يبدو واضحاً
فى كل تقرير.. يعمد منقما
عفت الساسة.. كم تغير وجهها
وكرهت فيها... خدعة غدارة
لولا التجارب.. والزمان تجارب
ما صر... لو اتخذوا الصراحة منهجاً
للحاقدين... وهذه ألمانيا
لما أسرت فى الخفاء... عداها
من جسد الغيان.. فى استعمارها
أنا وقد نضت الكرى أجفانها
الوحدة الكبرى.. أمانة جيلنا
شاء الخلود... بأن تكون حقيقة
إن الذي يأتي المصاعب دونها
والويل... كل الويل يلحق بالذي
سيجره التيار، فى دوامة
إنى ليحزننى.. ويذهب فرحتى
ومخالب الشيان تنهش المنى
وتتوج الطاغوت فوق ربوعنا

(1) أسامة عبدالرحمن، شمة طمأى ٢٦



صارعت الأمة العربية أمواج الحياة العاتية في صحرائها، وحاصرتها الأمم الكبرى على أطرافها، ولم تستطع تلك القوى أن تلج عمق العرب وهم حينئذ شيع متحاربة، وقبائل متصارعة لكنهم يتداعون على الخصم الخارجي، وما أشبه اليوم بالبارحة فإن دويلات العرب ضعيفة كضعف القبائل أمام الدول السالفة لكن العرب يمتلكون الجذوة الكبرى التي تمدهم بوهج الحياة، إنها الوحدة في ظلال الدين، فمهما علا صوت اليهود، ومهما وقفت أمريكا تعاضدهم فإن النصر للعرب ولو بعد حين.

فإن للعرب صحوة للجهد، والاتحاد، والتقدم سوف يعلو شأنها ويذل شأنها:

ومن الذي.. صفع العروبة غادراً
ومن الذي.. يفضي لنا بغرامه
سنخوضها معكم.. بكل عزيمة
بترونا.. سيمود رهن يميننا
ولقد بذلنا التضحيات.. سخية
ولنا... وإن ذقنا الهزيمة.. مرة
كم أمة.. من بعد طوفان البلى
لو نحن نمسح من صحائفنا القذية
سنحطم الليل البهيم.. بجحفل
وسنفرز الفتح المبين على غد..
وغدا سيرتحل الدجى عن أرضنا
والحق من فوق الجراح.. ستعتلي
وستنبت المأساة ريحاً صرصراً
لتعود رايات الأباء.. كريمة
سنوحد.. الجهد الكبير لضربة
وغدا.. يرى المستعمرون نضالنا
قولوا لهم صحت الشعوب وقد وعت

في كل حرب.. ثم راح يصفق؟
ويسهمه المسموم فينا يرشق
صدقت عزاًؤمنا... ونحن الأصدق
لا.. لن يعود لأرضكم يتدفق
بدم على أرض الكرامة.. يهرق
او مرتين.. عزيمة لا تفرق
هبت.. وكم هب الأسير الموثق
ويومضة من نورها... نتعلق
يقضي على الليل البهيم ويسحق
وعلى العدو براحتينا نطبق
والشمس من بعد الغياب.. ستشرق
رأياته... والنصر منها، يورق
في الأفق ترعد بالعذاب وتبرق
في القدس.. في حيفا ويافا.. تخفق
تودي بكيد المعتدين... وتمحق
نارا.. على أحلامهم.. تتطوق
من غضة.. ولقد آفاق المشرق^(١)

وتتشكل القومية العربية الملتزمة بالتوجيه الرياني في ديوان الشاعر السعودي حسن القرشي الذي يستذكر عهد الفروسية في الجزيرة العربية قبل الإسلام في بلاد الشام حيث

(١) أسامة عبدالرحمن شعبة طمأى ص ٢٢



الدولة الفسائية، ودولة المناذرة، والقبائل العدنانية والقحطانية، ويهاجر بزمه الحاضر إلى
كيان الأمة العربية التي اجتمعت رايتها على كلمة سواء هي لا إله إلا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وملكت الشرق والغرب ونشرت الخير والسلام والحق في ربوع العالم
وحين يتأمل واقعه يجد مسارح الفرقة ومهازل القول، وأقاويل الباطل تمزق آمنه كأنهم شاة
من أفراد يتهاشون لأسباب تافهة:

عن حماها فبيع ببيع السماح	أين (عدنان) أين (فسان)، نامت
واباء في (عامر الجراح)؟	أين من عارنا (المثنى) و(زيد)
على كل فاجسر نباح	هل تسينا الصيال؟ صنعتنا الكر
كم هزانا بالعاصف الملحاح	هل مللنا الحروب؟ نحن رحاها
فاذا الملك عرضة للروح	كم ملكنا البلاد شرقاً وغرباً
فمنينا بذلة وافترضاح	غالنا غائل التمزق حيناً
ب نوى والأثيم جم الصلاح	وأضعبنا تراثنا فإذا القر
ن على درب فرقة وجماح	وإذا الأخوة الأشقاء يمشو
ت لدى كل غددوة وروح	يتبارون في أصطياد الخطيئا
ر لندهى بالسامري الوقاح	وتركنا الحروب بصنعها الغب
ناقثاً سمه بكل النواحي	عاث في الأرض أفعوانا خبيثاً
نا بلا محتوى ثغير فلاح ^(١)	وطرحنا من الشعارات ألوا

وما زالت تلك الشعارات الجوفاء من اشتراكية وبعثية وقومية وعلمانية، تعصف بالأمة
العربية، ولعل في شبابنا الذي اختلف تربيته يكون الأمل والصلاح.

ويصور سلطان القاسمي اندفاع ابن الجزيرة في سبيل الدفاع عن دينها ووطنها الإسلامي،
فالعربي حمال للسيف مندفع للجهاد، لا يخضع للذل والهوان، وإنما يوجد بالنفس والمال،
فداءً للدين والوطن، ولا سبيل إلا سبيل الوحدة، ورفع راية الحرب والجهاد فتكبير الأوطان
يؤدي إلى الهوان فالشاعر يعلن تلاحم العروبة مع دينها الحنيف:

دع كل صوت فغير السيف أهدار فإنه لدم الياغين هدار
ختام صبرك والأيام ما برحت؟ تدعو لتأر فاسمع؟ إنه الثار
حانت إلى العناية العظمى وكللها نصر من الله أن الله قهار

(١) حسن القرشي، فلسطين وكبرياء الجرح، ٦٨.



يا ابن العروبة أنت اليوم ماملها وركنكها أن دعتها اليوم أعصار
 جرد حسامك ما غير الحسام لها شاف وما غيره بالحق أمار
 فيم التهاون عهدي فيك يا ابن أبي؟ عزيمة فيضها بالجدر زخار
 النار، أشعل نطاها لا يصدك عن وقيدها من بني الأشرار سمسار
 وعائق الموت تحظى بالخلود فمن، رام الحياة حتمها عنه أخطار
 قبحا لمن يرتضي عيش العبيد وفي ذنابة السيف ما يهوى ويختار
 إلى الوثام إلى القرآن مدرعاً بالعزم أن أمام السير آثار
 يا ابن الصحاري أعده لا تصدك عن إعادة الحق يوم الروع أسرار
 ما حرر الشعب من ذل يكابدة إلا الوثام وإلا السيف والنار

❖ ❖ ❖

يا ويحها بلد ثم تفت لعنتها تردي الخصوم وسيف الظلم جوار
 ويالها نعمة تنصب مهلكة لم تنتها عن مدى تنويه أعدار
 قل للطفة أفيقوا من سباتكم وعدثوا ما بقي إن ثم أعمار^(١)

ويصور الشاعر مانع سعيد العتيبة الحالة العربية التي لعبت بها الفتن، وتنازعتها الأهواء،
 واستمالتها الأصوات الجوفاء، وغرر بها الإعلام الهازل، فهو يدعو إلى الحرية التي تكشف
 الفرد وللمجتمع واقع الأمة:

يا أمة لعبت بها الأهواء	روحى تنادي والأسى يجتاحها
فسعى لنيل رضاهم البؤساء	وتقاسم الزعماء حتى بؤسها
ما فيه تلقوم الجباج غداء	فهنا زعيم هادر وصراخه
خبز الكلام ليشبع الفقراء	وهنا زعيم وزعت أبواقه
هل غير هذا قدم الزعماء	خُطب وتصفيق ومجلد زائف
سجنا فهل يتحرر السجناء	يا امتي أرض العروبة أصبحت

ويدعو الشاعر الإماراتي هاشم الموسوي إلى حرية الرأي كي تكون الرقابة الفعلية على كل

مسؤول:

ودعوا الشعب طليقاً في الفكر	افتحوا للنقد باباً واسعاً
تزرعون الجبن فيه والخور	لن يظل الشعب بستاناً لكم

(١) عبدالرحمن العبيد، الأدب في الخليج العربي ١٠٨

ذل يوماً أو تأنى وصبر

لن يظل الشعب مكتوفاً وإن

أين ذاك الانتخاب المعتبر

أين منكم برلمان صادق

من كنوز وبحار ودرر^(١)

أين توزيع حقوق عادل

وليست مناداة الشعراء في دول الخليج إلى الوحدة العربية بمعزل عن التلاحم الحضاري الذي يشكل الدين والأسس والقيم الأولى له، وليست بمعزل عن الدعوة إلى العلم وإلى الوعي، ومنهجية المعرفة يقول الشاعر مبارك العقيلي من الإمارات العربية:

يا منصفاً قد غدا بالصدق متسماً

بالحق فاصدع وكن للأجر مفتنماً

لم ترع ديناً ولا جنساً ولا رحماً

إن دامت العرب جهلاً في تخاذلها

ويا سما أمطري غبراءك حمماً

يا موت فاقرب ويا دنيا الأسى انقرضي

ويتلوى الشاعر خلفان بن مصبح المأ وحسرة على الأمة العربية التي أقل نجمها حين تقسمت أوطانها وآلت إلى الهوان والذل، حين انحسرت قوتهم وقل إقدامهم، وتفتت وحدتهم:

عن عرشه بيد البنين

مجد العروبة قيد أقل

بين الطفلة الجائرين

وتقسمت أوطانهم

وأحسرتنا دنيا ودين

والذل سيطر فيهم

يا للمجبرين وللمعين

والشرق أصبح خاضعاً

بقبي سادهم للظالمين

أبناؤه قيد أساموا

بأسيف سادوا الخافقين

من بعد ما كان الألى

ويكشف الشاعر سلطان خليفة الحبثور عن أسباب ضعف العرب، ويعود بذلك إلى مفارقة

منهج الإسلام فيقول مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم:

وخاب الرجاء الذي ننتظر

أبا قاسم قد يطول الحديث

وتأهت خطانا على المنحدر

وضاع الطريق الذي قد رسمت

وجاء الهوان وهذا الكدر

رضينا الخنوع فحل الوباء

ونجت من عهدنا ما اندثر^(٢)

وصرنا نلوك حديث الشجون

والشاعر صقر القاسمي يتمثل الفرسان العرب الأوائل فهم حاملو راية الجهاد ضد المعتدي على الأمة العربية والإسلامية، فمنطق الفروسية يظل شاخصاً في كيان ابن الخليج، فلا قوة إلا قوة الحرب، ولا سماع إلا للصوت القوي، وهو يصرخ مدوياً بالحرب في زمن التخاذل،

(١) نزار إنفاطة، الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ٩٢ .

والتهاون، والذلة، أمام القوى التي تقف مضادة للعالم العربي، يقول:

فيا وطناً أليت أفنى بحبه
وحققك لو نادى مناديك لم يكن
أدين بحبي في هواك موحداً
احس بالآلام العروبة تكتوي
وما أنا بالبأغي الحياة وأنت في
إلام الأمانى لا رعى الله جدها
وفيم نسام الذل في كل بقعة
اتنفعنا الشكوى، وهذا سلاحنا
بني العرب -لا بالوهم- ما شاء وانطوت
تغلغل في أوطاننا حينما رأى

ولا يرى الشاعر خير من سبيل الحرب والفاء سبيلاً كيما تتكشف الغمة عن الأوطان
العربية:

إلى لغة البارود فأنهض فما رعى
فما الحق إلا أن تكون ممنوعاً
تهاب العدا ليث الشرى لنيوبه
أخو البطل حقاً للضعيف المبدد
بخير سلاح مرهب كل معتد
واقسم لولاها لحطمه جدي^(١)

ترتفع رؤية الجهاد بالعمل الفدائي، حين تكبل الجيوش، والشعراء في الإمارات العربية
يلتحمون مع إخوانهم الذين حملوا راية الجهاد فداء في سبيل الله ثم الوطن يقول الشاعر
الإماراتي أحمد راشد سعيدان:

إذا طلع الصباح ولم تجدني
أعانق مدفعي بيدي وأخرى
أخي لا تبكني إن جاء يوم
فقد عطش التراب إلى دمائي
أكون بخندق بين الخنادق
تراب الأرض في نهف أعانق
ترفرف فوق جثمانى البيارق
فدى للأرض إن الجرح دافق

فقد طالبت رؤية العمل الفدائي في مسرح الأحداث أمام الجماهير العربية فقد كان ينطلق
من الدول المجاورة لفلسطين في المعسكرات وأماكن التجمع كي يسمع العدو صوت ذلك
المقهور المبعد عن أرضه المشرد بين الأوطان، وتارة يتصدى بصدرة للحرب ولا يحمل إلا

(١) نزار إباطة، الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات ١٩٦٦

أمين المدني:

هو نور الحياة في الأجيال
فوق ما يدرك التصور فيه
منه تستلهم الشموخ سناها
نذر العمر للحياة عطاء
ويستشعر الشاعر حالة الفدائي المنطلق كالأعاصير الذي لا يبالي بالوحدة، وظلمات
المخاوف بل يقدم حياته فداء، وهو يدرك مصيره:

همة دونها الأعاصير عنقا
لا يبالي بؤسه في الليالي
وسواء عليه مات شريدا
وسواء عليه إن ذكره
ولهذا الفدائي أمانيه التي تشتعل في دمه:

في مجاري الدماء تنساب ناراً
إن غضا داعبته حلماً جميلاً
لو يكون المحال يوماً طريقاً
يهب الروح دونها في سخاء
منه أمنية له في اشتعال
أو صحا شاغلته عبر الخيال
للقاها لشق درب المحال
لا يهاب الردى لنيل المنال^(١)

ويشير الدكتور نزار أباظة إلى تلاحم العرب مع دينهم الإسلامي، «ونلمس عند شعراء هذه المدرسة شعوراً بالاعتزاز الواضح بالإسلام الذي يرون فيه السعادة: لأنه هو الذي رفع شأن العرب، متمثلين بقول عمر رضي الله عنه «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله» وهذا ما أشار إليه أبو شهاب في قصيدة قال فيها:

قبل الرسالة قل لي من هم العرب
تعال فاستقري التاريخ أمثلة
كان التفاخر بالأنساب رائدهم
هل استطاعوا به توحيد أمتهم
وأي مجد بنت أم لهم وأب
تر الحقائق فيما تحمل الكتب
في كل ناد فماذا حقق التسب
كلا ففاقد أمر الشيء لا يهب

(١) نزار أباظة، الإساسية للشعر الحديث ١٠٢

وما وجدت بغير الدين معركة للعرب فيها على أعدائها الغلب

إن العروبة بالإسلام عزتها فإن تولت فلا عز ولا عرب^(١)

ويستنهض فهد العسكر همة الأمة العربية لقضية فلسطين، عندما استوطن اليهود، واشعلوا نار الفتنة، وطردوا أهلها، وشردوهم وفتكوا بها، وهذه القصيدة قيلت قبل أربعين عاماً وها هي تحكي الحاضر فالأمة العربية في سكون وجمود، تصارع الفرق، فنسأل الله لها النجاة، ولا نجاة إلا بالجهاد والحق، والقوة الاتحادية بين الأمة العربية:

وجنوده ويقية السكان؟

شروهم فيها بكل مكان

الضياعم من بني عدنان

ان لا تكيوا بني غسان

جاء اليهود ودنسوا أحضاني

وعدوا اليهود بقسة البلدان

او ليس هذا منتهي الطفيان؟

وأجبتّها بتوجع وحنان

الرسل الكرام ومنبع الأديان

يا أخت بل هي صفقة الخسران

ونداؤه ضرب من الهذيان

ناديت غير الصيد والشجعان

وتصادم الفرسان بالفرسان

هتكت ظلام النقع باللمعان^(٢)

اعني فلسطينا وكيف أمسينها

بعد الكفاح وبعد ما بث اليهود

إني سمعت نداءها وسمعت تلبية

وزئير أشبال العروبة من بني غسان

وتقول يا أشبال آساد الشرى

لا دردر الغددين فإنهم

وبني كالفرياء في أوطانهم

فهناك فاضت بالدموع محاجري

يا منهبط الوحي القديم ومرقد

لا تحزتي ليست بصفقة رابح

ما وعد (بلفور) سوى أمنية

ابناء عدنان وغسان وما

الصامدان إذا الصفوف تلاحمت

والضاحكون إذا الأسنة والنظبا

إن المفكرين والأدباء يدركون واقع الفرقة العربية ويتألمون لشتات قوتها، ولضعفها، لذا ترنو أفئدة الشعراء إلى كل عمل يجمع شتات الأمة العربية، فتهفوا نفوسهم إلى السلم الاجتماعي باجتماع ملوك ورؤساء الدول العربية، لعل كلمتهم تتوحد ولعل السلام يسود، ولعلمهم يجتنبون الخلف والخلاف كيما يبعدون الجهل والتخلف، وهذا الشاعر محمد جدع يبتهل اجتماع من

(١) نزار اباطة، الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات ٨٢ .

(٢) عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر ١٣٥ .

أقطاب الدول العربية فينادي بجمع الشمل ويدعو إلى السلام والوثام، وإلى التحكم للشرع

الرياني الذي رفع شأن العرب:

عربية نادى بها الرؤساء
بذروا الوفاق فخابت الأعداء
ما نجد ما لبنان ما صنعاء
وإلى العراق أخوة ووفاء
ومراكش ويتونس قرباء
وشعارهم في أمرهم رحماء
جمع القلوب تعاون وإخاء
وتجنبوا ما تصنع الأهواء
والله يرعى ما رعى العظماء
وهو المظفر شأنه الإعلاء
تحيا به الأموال والأرجاء
فزهت معالمها وشع ضياء
وله السيادة موطن ورجاء^(١)

هتف الفؤاد بما رأى من وحدة
عرفوا الشقاق رذيلة فتمسكوا
ما النيل ما أرض الحجاز وشامه
ما القدس ما الأردن بين حدوده
ما أرض ليبيا ما الجزائر أخوة
هدى النبي محمد نبراسهم
ومن العروبة مبدأ متوشح
أقطابها عملوا لرفع كيانها
ورعى سعود عزمها وجهادها
لا يرتضى إلا ليعرب عزها
اعظم به ويعزمه ونضاله
طاف الديار محققاً آمالها
نال الزعامة في القلوب وحبها

ونحن في زمن التكتل العالمي، يجعلنا نستحضر استشراف الأدياء، إلى واقع الأمة ومستقبلها، ونؤمن بضرورة الأخذ بنداءاتهم ودعواتهم الإصلاحية، فالعرب المعاصرون لفهد العسكر يحتاجون إلى التلاحم والتعااض والتآلف، وما زلنا إلى يومنا ننشد ما ينشده الآباء ولكن حالنا لا زال ينحدر إلى الهاوية، فالخلف والخلاف في الفكر والأهواء مصدر شقاق الأمة العربية مع أن الاختلاف مصادر قوة عند الأمم المتحضرة، فالخلاف لا يولد الفرقة لكنه عند العرب ولد الضعف الذي مكن الأعداء من مطاردة العالم العربي في البر والجو والبحر، وفك بهم فزادهم ضعفاً على ضعف:

هيا انبنوا الأحقاد والأضفانا
متراصفين وحرروا الأوطانا
من كان يملك صارماً وسنانا
واعلنوا حرباً عليك عوانا

أبناء يعرب والكوارث جممة
وتآلفوا وتكاتفوا وتساندوا
إنا بعصر لا يعيش به سوى
هم أعلنوا الحرب العوان على سواك

(١) محمد جدع، المجموعة الشعرية، ص ٨٢

ويكل ناحية ترى شيطاننا
أين الأمان لنسأل الرحمانا
والطائرات تطارد الإنسانا
أجرى الدماء وفرق الأبدانا
ويلاه تمحو الدور والسكانا
منها وتُردي الشيب والشبانا
شواظاً محرقاً ودخانا
واحسرتا إن أعلن العصيانا
ويكل ناحية ترى ميدانا
في كل جو فاحذروا العقبانا
ضربت وجه الثرى العُريانا
من حولها الأشلاء يا مولانا
فمتى يعود وهل يخيب رجانا؟



هل شفيتم قلبها الحرانا
يا قوم ألا تغمضوا الأجفانا
نوا صادقين عقيدة ولسانا
أيروقكم سجن الحياة مكانا



رجاؤها، قم قدم القرينا
أقسم على أن لا تطيق هوانا
على الولاء لها وان تنفاني
من باع ميدها وشذ وخانا
على أن لا تكون جبانا
للوضى أن تلبس الأكفانا
الجديد وأعطها البرهانا

الأرض ترجف والسما مغبرة
والبحر يبدو عابساً متجهما
غاز والغام بها كمن الردى
ومدافع والموت من أفواهها
وقنابل صرع القلوب صراخها
لم يسلم الطفل الرضيع وأمه
أنى التفت فلا ترى إلا حديداً أو
نار وكن الضميف وقودها
هذي ميادين القتال تعددت
فقد انبرى العقبان ينث سمه
رحمك ربى فالدماء مستنقعات خ
طففت الجماجم فوقها وتناثرت
يا عيد أين السلم طال غيابه

أفراد بعرب والعروية تشتكى
هي تستجير بكم فقوموا وأقسموا
واستمسكوا بالعروة الوثقى وكو
كل الشعوب تقدمت وتحررت

يا نشء أمة يعرب عقدت عليك
يا نشء يا أمل البلاد وسؤلها
أقسم لها أن لا تنام وأن تظل
أقسم على أن لا يعيش بأرضها
أقسم إذا ما الخصم حاول أن يهاجمها
أقسم لها يا نشء إذا نادى المنادي
وأعد سعادتها إليها أيها النشء

إن تعمد الأنصار والأعدواناً^(١)

قائله نعم العون جل جلاله

دعت الدول الغربية إلى العدالة والمساواة وحرية الشعوب والأفراد ودعمت ذلك بقيام عصبة الأمم التي توارت عام ١٩٤٥م، وما لبث إن قامت هيئة الأمم المتحدة، وكلها خاضعة للقوى الكبرى يمجدون منها إنسانها ويجعلونها وسيلة، لظلم الشعوب، وكسب أموالهم، وذلتهم بإصدار القرارات الظالمة تجاه الأمة الإسلامية لا حصر لها ومنها إعلان تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨م، والاعتراف بدولة اليهود، ونحن نعايش هجمتهم على المسلمين باسم الأصولية والتطرف، ويجهضون كل مشروع إسلامي يدعو إلى إنصاف الشعوب الإسلامية ويشاطر الشاعر الكويتي عبدالله زكريا الأنصاري العرب مأساتهم في فلسطين معلناً سخطه على مشروع التقسيم الذي لم يتم وسلام اليوم يتمناه:

أعلنوا التقسيم ما أرخصه	فلقد دوي ذيوعاً وانتشاراً
إنه الجور شفاء نافع	مرحباً بالجور يوري القلب ناراً
يا بني الغرب اعملوا أو قروا	كيفما شئتم وأذكوها أواراً
اججوا النار وصبوا هولكم	وأشحدوا العزم ولا تبقوا ادخاراً
فلنا في كل فرد أمة	في صفوف الحرب سبقاً لا يجارى

ويقده الشاعر زند الروح العربية التي يثق باستعادتها لحقوقها المسلوبة، فالعرب أمة لها شأنها، ولها تراثه وهي ترفع راية الحق والمساواة والعدل للبشرية، ولا زالت تلك الغاية والهدف السامي أمل الأمة العربية، وجذوة عزميتها وسلاحها الذي تستعيد أمجادها به:

من رجال نذروا أنفسهم	لحمى العرب صفاراً أو كباراً
نسل عدنان وغسان ومن	ملأوا التاريخ عزا وفخاراً
في المعالي شرفت أخلاقهم	وسمو أصلاً وقد طابوا نجاراً
كم تغنى بهم المجد وكم	سجلوا في صفحة الدهر انتصاراً
مثلوا العدل وشادوا صرحه	وغدوا في قمة الدهر مناراً
عزف المجد وغنى طرباً	مد رفعا علم الحق شعاراً
سائلوا التاريخ عنا فلکم	قد عدنا لأخي الغرب وجاراً
الوفا والعدل من شيمتنا	والعلا تقضى بأن نعصوا اقتداراً
نحن لا نرضى لشذاذ الوري	أن يسيئوا في فلسطين الجواراً

(١) عبدالله زكريا، فهد العسكر ١٣٢

أو تواتبنا فلا نخشى الحذارا
نبدل الأرواح طوعا واختبارا
ببني المجد وجاءت تتيباري
وغدت بغداد لا تبدي قرارا
وطن الأحرار في المغرب ثارا^(١)

إن غصبنا لم نهب أعداءنا
لا نهاب الموت في سوح الوغى
يا فلسطين زهت أوطاننا
غضبت مصر وضجت مكة
وربى صنعاء قد ريعت كما

يستعذب الشاعر الكويتي عبدالله حسين الرمز القريب التناول ليهت لواعجه حول واقع الأمة العربية، ويخاطب (سمراء) التي قبست ألوان البشرة الخليجية، وسائر الأمة العربية تميل إلى السمرة فكأنه يخاطب كل فتاة في الأمة العربية ليبيثها شكواه مما آلت إليه أحوالها من التخلف، والجمود، والضييم، والتنايع من استلاب الأرض، وهتك المحارم، فيستهل القصيدة بملق مشاعره بتلك الفتاة السمراء التي لا ينفك عنها، مهما تعرض له من صعاب، وعقبات، فهي المحبوبة في سائر أحوالها، الجميلة في نظره، الدائمة الجمال العالق بالفؤاد:

يا أنت يا سمراء يا قدري،
يا وجه صبح مشرق الصور،
يا أنت يا دنيا مقردة
يا حب.. ملء السمع والبصر
هاتي يدك فقد حننت إلى
همس اللقواء، ولذة النظر
هاتي يدك فليس يذهلني
عصر الضياع وصيحة النذر
يدعوك مـا أشكوه من أرق
وهوى الفؤاد، ويسمة القمر
أهوى لـقـاك وحبـيـدة أبدا
دون الرفاق وضجة السمر
أهوى لـقـاك وليس يعجيني
كأس، ولن أصغى إلى وتر
سمراء.. يا سمراء يؤرقني

(١) خالد الزيد، ادباء الكويت ٢٠٠٢، ٢٨٤

إن غـيبت عنك وناء بي سـفـري
 إنـي أسـافـر كل ثـانـيـة
 وأظـل بـين الأـمـن والخطـر
 وأسـير في البـسـيـداء منـفـردا
 وأعـيش تحت الخـسـوف والحدـر
 فأرى الثـمـال في مـبـاذلها
 تخـتـال في ناب وفي ظـفـر
 وأرى اللـيـث كأنها مـسـخت
 ترعى كـمـثـل سـوائـم البـقر
 حتى الصـقـور على جـسـارتها
 تـرتـد خـوف القـبـوس والوتر
 سـمـراء هل أبـصـرت أمـتـنا
 تجـثـوا أمام دمي من الحـجـر
 وجـمـوعها كم ساقها صنم
 وحقوقها هـات على نـفـر
 إنـي افـتـقدت الصـيـد... أينهم؟
 قد شـتـتوا في البـدو والحـضر
 سـمـراء إنـي صـامـد أبدا
 مـهـما تـمـادى اليأس بالبـشـر
 ثـبـت على الإحـداث منـفـردا
 ما كـنت في الأحـزاب والزمـر
 سـمـراء هل أبـصـرت ناشئة
 تـبـدو عليها نـقـمة الضـجـر
 وتكاد تـمـلأ أرضنا حـبـا
 وتشد رـغم طـريـقـها الوعـسـر
 تنقض لا تخشى مصارعها

تتهدك صدح الظالم الأشهر
سمراء والدنيا لها عبر
هل يستفيد القوم من عبره^(١)

والشاعر عبدالله حسين ينبذ التفاخر بالماضي بلا عمل للحاضر والمستقبل وينبذ التفاخر بالخطب الجوفاء، ويأمل باليقظة الشعبية التي تحمي روح العمل والفداء لدى الأفراد والمجتمعات، ولا تكون إلا بالتقاني من سائر الشرائح الاجتماعية في الأعمال البنائية والجهادية:

أي عهد أرى وأي مناظر
أصبحت الأرض من مهازلهم تد
وتنزي الجماد وانتقص الكو
واستنام البغات في وهذه الد
ويشير النيران في كل فج
أي ماض لنا إذا لم نحقق
فاتركونا من التشديق بالمجد
كم ملأنا الأسماع في شدة الخط
واجتمعنا من كل حدب وصوب
غير أنا لم نجابه الخصم بالعن
كم هتفنا ندعو الشباب المفدى
بين رقى تفضيه أن ندب الحد
ليس يعنيه أن يكبله الضد
قد كفانا الجمود عهداً طويلاً
وكفانا أيقاظكم يا بني المج
كم فتحتكم وكم ملكتم وسدتم
خالد منكم وسعد وعمرو
واسجدوا صاغرين للمعتدي الكا

كذب العقل ما يراه الناظر
ك ومادت بيدها والحواضر
ن وشقت عن ساكنيها المقابر
يل فمن يبعث النصور الكواسر
ثم يزرو رماد عهد خاسر
حاضراً تيراً عظيم المفاخر
فمن أنتم وذكر المآثر
ب كلاماً وكم هزنا المنابر
وسممعنا لناظم وناثر
ف وملنا إلى السلام الخائر
فإذا بالشباب هيمان حائر
روبين الغنا عديم المشاعر
م جهاراً وإن تهان الحرائر
وكفانا النداء ملء الحناجر
د ويا وارثي الجدود الأطاهر!!
فارقوا الآن في بطون المقابر!!
فاكتفوا منهم بما في الدفاتر!!
لح حيناً وسلموا للجبابر^(٢)

ويشاطر الشاعر الكويتي الأمة العربية في قضاياها المصيرية، فهو يتألم من المهم ويحمل السلاح معهم ويجاهد بماله وإبداعه، بل لو أتيج لأبناء الأمة العربية ومنهم أبناء الخليج

(١) خالد المزيد أدباء الكويت ٢: ١٥٩

(٢) خالد المزيد أدباء الكويت ٢: ١٦٦

العربية لجاهدوا بأنفسهم وأموالهم، ولكن التقسيم الإقليمي الذي فرضه الغرب على الأمة الإسلامية أوجد الباب في وجه التداعي للجهاد، ولو أتيح التطوع لأبناء العرب لحلت القضية ولكن الدعاوى الموهمة من الدول المجاورة التي تمنع التطوع تحول دون ذلك ولذلك لجأ الإبداع والفكر إلى أمنيات خيالية في الزمن المعاصر وجلها تدور حول قائد موحد للأمة العربية يقود الجيوش، ويعيد العدو ويسترد البلاد، ويحرر القدس، يقول الشاعر أحمد السقاف الشاعر الكويتي المولود ١٩١٩م:

الجرح جرحك قم للثأر منتقماً
لا تحفظن بأسطولٍ يدال به
والحق أبلج لو يبغون رؤيته
وصرخة الحق تابأها مسامعهم
والأرض أرضك فاسحق رأس من ظلما
طاغ يجرُّ إلى تابوته قدما
هيهات يبصر من في ناظره عمى
من يسمع الحق منهم يشتك الصمما



يا قائد العرب إن العرب قد نظرت
فأرفع لواءك منصوراً فما عقت
وسربها نحو مجدٍ هزه خور
حسب الضجيجة صبر غير محتمل
وفي النفوس براكين مدمرة
فأنت في كل يوم باعث أملاً
إلى القتال تلبى القدس والحرما
عروية أنجبت عمراً ومعتصماً
فظن بعض الأعداء أنه انهدمما
قلوبنا منه تشكو الحزن والألما
إن تنطلق نزرع الأهوال والنقما
وأنت في كل يوم شاهد همما^(١)

والشاعر في عُمان أقصى البلاد العربية شرقاً يستوحي المشاعر الإسلامية لكل عربي، فهو عربي إسلامي تمتزج العربية بروحها الإسلامية، تلك الحالة الاقترانية التي تشع في النفوس العربية التي حملت الراية الإسلامية وتحمل أمانيتها المعاصرة يقول الشاعر سالم الكلباني:

بدمي يا عزمي أكتب بدمي
بدمي سجل على هام العلا
هذه دربي وهذا مقصدي
لا يُنال العز بالهون فلا
أنا حر عربي مسلم
يحتمي الحق بإقدامي فيا
مصحف الفخر ووحى الشمم
لغة العز الذي لم يوصم
فاهلكي يا مهجتي أو فاسلمي
تجبنني لا تجبنني يا هممي
والوفاء دوما شعار المسلم
شرف الحامي وعز المحتمي

(١) خالد الزيد أدباء الكويت ٢٩٢

إن أكن أمشي على هذا الثرى

فطموحى فوق هام الأنجم^(١)

وفي خضم الأحداث العالمية فإن الشاعر ينظر إلى أمته العربية وقد وأدتها القوى العظمى، وسلبتها حقوقها، ووآدت تاريخها الحافل بعبثات المنجزات، وأوضحت لا تدافع عن ذاتها ولا تصد السالب لحقوقها يقول سعد الحميدى الشاعر السعودي في قصيدة بعنوان (المؤودة):
حين انك عقد الخلافة العثمانية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري تنادى المفكرون

لا تسألوها.. وقد حلت بها ثوب

عما حداها وما يأتي به الأثر

الكل يعلم لكن دون مقدرة

أن ينطق الحرف إذ يبدو له خفر

مؤودة قيل أم مسلوبة قلما

لكن ما جاءها في عقرها حذر

أشفاق للحرف دوماً كي أظالعه

ما قال أو قيل يوماً وهو ينظر

عن موكب كان من قبل لنا ترفاً

نستاف منه عطوراً وهو ينتظر

لاقاه حتف إذا ما حل في قدم

يجرها نحو تخدير ولا ينذر

جفت منابع خيرات لنا كانت

تمد بالدفء، في أعطافها مطر

ما كان من طبعنا أن نرتجي رهقاً

لما لسنا وما تهدي لنا الشجر^(٢)

والمبدعون إلى الوطنية الإسلامية وتارة إلى الوطنية العربية، ثم تطور الفكر فيها فاتخذت مفهومها قومياً، فمنهم من يدعو إلى عنصرية عربية بلا ارتباط ديني وهذا المفهوم ظهر لأول مرة عند العرب النصارى في الشام والتحق بهم أنصار لهم وعظم أمره حين ظهر اليسار العربي والأحزاب البعثية، ومن شايهم من العلمانيين فتجسدت القومية العربية، ويكاد هذا المفهوم أن يطغى على العرب، ولكن الواقع أن كثيراً من ينادى بالعربية والجامعة العربية لم يتحلل من الإسلام وإنما يقصد بها التعاضد العربي في غياب التعاضد الإسلامى يقول عبدالله بن حسين (١٩٢٧م) الشاعر الكويتي عن العرب:

إن المبدع المفكر الذي يخوض عباب معترك الحياة السياسية تشحنه الوقائع التي يفحص

هم العرب إن سارو فللمجد سيرهم

وللعزة السماء يستعجل الركب

هم العرب ما هابوا جحافل قيصر

ولا راعهم كسرى الأعاجم إذ هبوا

أرادوا حياة العز والخصم دونها

فذبوا ومن أسيافهم يحسن الذب

(١) أحمد درويش، تطور الأدب العماني ٢١٢ .

(٢) سعد الحميدى، ضحاها الذي، ١٠ .

وما في سيوف العرب يستصعب الصعب
 ولله شعب حينما أتحد الشعب
 تحركه أسد معلمة غلب
 هي الرعد إلا أن مصدرها العرب
 وتمحق صرح الظلم خيلهم النجب
 وهم رسل الأجال ما احتدم الحرب
 فلا خيلهم وتكبوا ولا سيقهم يتبو
 فغدوا وحوش البير وارتوت الترب
 فلما رأى الأعراب فارقه العجب
 سواعد عرب زانها الظعن والضرب^(١)

فضوها سوقا قاطعات مواضيا
 فليله أشياخ ولله فتية
 مشى العرب بل قل سار للحق موكب
 تحس لهم في غوطة الشام رجة
 تقلم أظافر العتاة سفارهم
 هم الموت إن شدوا العتاق واقدمو
 وتشهد ما بين الفراقين جمعهم
 وقدسحقوا جيش الطماطم عنوة
 تعاضم كسرى وهو بالعرب جاهل
 غداة بدت راياتنا تدفعها

ويمحص أسبابها ومسبباتها، وهو يشاطر في الحوار الفكري، والجدل السوفسطائي، ويميز الصالح من الطالح ويعلم الحلول النافعة، من المهدئات التي توهم والجرح يواصل تأكله في الجسم إنني أدرك معاناة الشاعر السياسي وأتعجب من قدرته على الترويض الفكري والقبولي الذي تحتمه السياسة، لكن الشاعر في إبداعه لا يكشف بصراحة عن معاناة الأمة، وآمالهم التي يعلقونها على ولاة الأمر بل يصرخ بحرية فكرية عما يدور في المؤتمرات من خلاف وانحراف في الفكر وتبيط للعمل الجماعي للأمة العربية، يقول مانع العتيبة عن مؤتمر الرباط للدول العربية عام ١٩٨٥م:

توثقت عرى التواصل بين العرب والدين الإسلامي، فحضارة العرب ضئيلة الشأن، قليلة

تبدو وهموم جمعه
 لهانته المهمة
 جراح قلب أممه
 مسرارة وغممه
 يا أيها الأثمه
 فالمدح كالذمه
 عطر لكي نشمه
 واستطيب ومنه

من فوق ظهر القمه
 لو كان همما واحداً
 لكنتني هنا أرى
 فكيف لا تصيبني
 هل نحن خير أمة
 ما جئت كي أمدحكم
 وليس في حاضرتنا
 هل أمدح اختلافنا

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت ٣: ١٥٧



يَضْرِبُ عَرَبٌ أَنْ أَمَّهُ
يَعْبِشُ فِي مَلَمَّهُ
يَا قَوْمَ مَسْتَحِيمٍ
وَتَفْرَجُونَ هَمَّهُ
فَهَلْ لَدَيْنَا هَمُّهُ
فَالسَّمَاءُ مَدْلَهُمُ
قَضِيَّةُ مَهْمِهِ
مَا ضَرَّ أَنْ نَتَمَّهُ
وَنَرْتَقِي حَضْمَهُ
الْوَلِيدُ كِي تَضْمَهُ
وَمَنْ يَعْقُ أُمَّهُ (١) ٩٤

وَأَتَكَرَّ الْجُرْحَ الَّذِي
شَعِبَ بِكُمْ مَسْتَحِيمٍ
خَيَامَهُ بِدَمِهِ
فَلَيْتَكُمْ تَحْمَمُوتُهُ
مَعْتَصِمًا أَنْطَلَقَتْ
لَتُرْجَعَ الصُّفُوفُ
أَمَا فِي ذَبْحِ إِخْوَةٍ
هَذَا اجْتِمَاعُ قَمَّةٍ
لِيَكْمَلَ اتِحْسَانُنَا
وَتُرْجَعُ الْأُمُّ إِلَى
فَأَمْنَا وَحَسَدُنَا

العدد، مستضعفة من الدول الغنية، الفرس والروم، حتى تلبس العرب بلباس الإسلام، وحملوا رأياته، فكان فضل العرب على سائر المعمورة الأرضية بهذا الدين الخاتم للرسل والأنبياء، ومن هنا تتعالى الأصوات التي تترنم بالعرب ولا ضير في ذلك إن لم تكن الغاية فصل العروبة عن إسلامها يقول فهد بن حسين الشاعر الكويتي المولود في عام ١٩٢٧م:

مَا الْكُفْرَ حَقْدَكُمْ وَالذُّحُولَ
نَحْنُ أَهْلُ النَّهْيِ وَنَحْنُ الْأَصُولُ
وَإِنْ لَجَّ فِي الضَّلَالَةِ جَهُولُ
فَأَيْنَ مِنَّا الْأَفْـوُولُ؟
وَتَسَامِي مِنَّا الْكِرَامُ الضُّحُولُ
وَأَقْسَمْنَا الْهَدَى فَعَزَّ النَّزِيلُ
وَعَلَى ضَادُنَا آتَى التَّنْزِيلُ

لَا تَقُولُوا أَنْ الْعَرَبِيَّةُ كُفْرٌ
نَحْنُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ عَهْدٍ
نَحْنُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ أَنْ حَزَبَ الْأَمْرُ
عَرَبٍ نَحْنُ لَا نَزَالَ عَلَى الدَّهْرِ نَجُومًا،
وَرَثْنَا الْأَمْجَادَ مِنْ عَيْدِ شَمْسٍ
وَلَبَسْنَا عِزَّ الْهَوَاشِمِ بَرْدًا
وَسَمَّوْنَا بِمَنْطِقِ عَرَبِيٍّ



وَتَعَالَى التَّزْمِيرُ وَالتَّطْبِيلُ
وَيَبْقَى الْقُرْآنُ وَالْإِنْجِيلُ

لَا تَرَاعِي أَنْ لَجَّ فِي الْأَفْـاتِ قَوْمُ
أَنهَا جَوْلَةٌ وَيَبْقَى لَنَا الْحَقُّ

(١) مانع العتبية، محطات على طريق العمر ١٢٢

إنما الدرب عـباس وطويل
سات وان ينهض الأبى الأصـيل
والمهـازيل عـابرون فلول

ما وقفنا على الطريق ارتياحاً
قدر العرب أن نـصان الكرام
عرب نرفض الهوان ونبقى



وتسامى لواؤك المأمول
رؤاها، ولا القبـبـيل قبـيل
كل يوم ويكثر التـأويل
وشجار وماتم وعويل
وعلى الإفك يرفع التـهليل
وجمع جهاده تضليل
وسخافات قاصـر يستـطـيل
فبئس الهوى وبئس البديل
وعلى صدقنا أقيم الدليل^(١)

يا فتى يعرب عدتك الدنيا
لم تعد أمتى كما كان بالأمس
فالعصامات حولها تتهاوى
والقرارات ضجة وانفعال
كم على جهلنا تقام الزوايا
بئس قومية يناصرها الفرس
وشعارات حاقدين سكارى
قد أرادوا المسير في موكب الفرس،
وانتصرنا للرافدين انتصاراً

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ١٦٢ .

يتواصل الوطن مع الفرد بداية بالمشاهدات الأولى للطفولة، ثم يتعانق المكان بالتكوين النفسي والذهني، وينزع بالمكونات والوجدانيات الأولى تلك التي ترسم خارطة الذكريات الدائمة الحضور في ذاكرة كل إنسان، وتزداد تلك الوشائج بمراحل النمو البشري، فيكون الحب المكاني، والحب الاجتماعي، وحب الموروثات الفكرية والشعبية، فأكثر معالم التكوين البشري متأثرة ببيئة المكان فحب الوطن أمر حتمي لا مناص منه ولا فكاك منه، وتتسع دائرة الوطن بتطور الفكر من المكان القرية أو المدينة إلى الإقليم إلى الأقطار إلى الإنتماء العربي ثم إلى الإنتماء إلى الأمة الإسلامية المتمثلة في الخلافة.

والقارئ للفكر الإسلامي والعربي في مستهل النهضة يدرك أن الوطن يراد به الأمة الإسلامية أو لنقل من يدخل في إطار الخلافة العثمانية زعيمة العالم الإسلامي، ثم أخذ يتضاءل مفهوم الوطنية بعد اندثار الخلافة إلى مفهوم الوطن العربي عامة والشعر يزخر بهذا المفهوم، ثم تحول إلى مفهوم الدولة أو القطر فالوطن في مفهومنا المعاصر هو ما يكون في دائرة الدولة فالسعودية وطن، والكويت وطن، والإمارات وطن، وعمان وطن، والبحرين وطن، وقطر وطن، وكذلك سائر الأقطار العربية.

وقد كان للشعراء الأوائل تواصل مع الوطنية الإسلامية من مثل أحمد الغزاوي، وإبراهيم العريض وفهد العسكر، ولكنهم لم يلبثوا أن تحولوا إلى الوطنية العربية، وقد اتخذت القومية العربية مساحة كبيرة من شعر الشعراء، ثم أخذ المفهوم ينحسر للوطن المؤطر بمساحة الدولة.

وقد بدأ مفهوم الوطن في السعودية بتوحيد البلاد عام ١٣٥١هـ وقيل أكثر الشعر الوطني في المناسبات العامة، وفي اليوم الوطني، وقد تبارى عدد كبير من الشعراء في هذا المضمار فاحتل الشعر الوطني في السعودية مساحة كبيرة في الدواوين الشعرية، وتجلى الإنتماء الوطني المفاخر بعروبته، ومكانة الجزيرة، وبأنه منبع الإسلام، وحامل رايته، وتدور أكثر الوطنيات حول الالتزام بالمهمة الكبرى لأبناء الجزيرة تلك التي تتمثل في الالتزام الديني والمحافظة على المشاعر المقدسة، والمحافظة على لسان الضاد.

ويندرج تلك الغايات عند أبناء الجزيرة مع خاصية كل وطن من دول الخليج العربية حب الوطن من الإيمان ولولاه لخرب موطن السوء، فكيف بالوطن الذي تدفقت خيراته

على أبنائه بل تجاوزته ليعم أبناء الوطن العربي ويشمل الأمة الإسلامية بل وساهم متعاوناً مع دول العالم ليمد يد العون للمؤسسات الخيرية ومن هنا اندفع أبناء الخليج يشدون بوطنهم الكبير العالم العربي وبالجزيرة العربية، وتستوقفهم أوطانهم المتمثلة في دولهم المعاصرة فالشاعر الكويتي عبدالله الصائغ يتعاطف مع دولة الكويت، ويشدو بأمجادها ويحكي سيرتها الحديثة، مفاخراً بتواصلهم مع البحر ومعاناة الحياة القديمة:

زاحمت في الرحب أطيّار الربيع	وطن أرواحنا في جـووه
بهجة اللقيا مدى الكون الواسع	إن قـرينا فلنا في أرضه
في لقاءه أمل الصب الولوع	أو بعدنا عن حمّاه فلنا
كان يوماً غير طمّاح شجيع	وطن قد بلغ النجم وما
وأنت بالفخر والنصر الينيع	صراع الأيام حتى أذعنت
وأمانيه، وعن مجد منيع	فاسألوا التاريخ عن أماله
من كضاح الشعب في تلك الربوع	واسألوا (القرنين) ماذا شهدا
كيف هاموا بذرى العز الرفيع	واسألوا الأسفصار عن أبنائه
مفتم عز على الغر الجزوع	فمن البحر ومن أهواله
واستحقوه باقرار الجميع	مفتم حقه ابنائه
شنفوا الأسماع باللحن البديع	عشقوا البحر ومن أمواجه
لرجال جهلوا معنى الخنوع	فهدير الموج يغدو نغما
مشرق الأطراف كاندرا اللميع	وظلام القاع عند الملتقى
في جبين الدهر بالنور السطوع	قصصة رائحة قد سطرت
من شعوري ومن القلب الوديع ^(١)	يا كويت المجد هي دفعة

اختلفت التأويلات لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته...»^(٢) فمن البسطاء من يعطي الأهمية للراعي، ويحدد الفروق الكبرى بين الراعي والرعية، فالراعي هو الإنسان ذو الشأن العظيم، وله الأمر وله حق الطاعة المطلقة أما الرعية فهي كالسائمة لا رأي لها ولا فكر، ولا حق المداولة، ومن هنا كثير ما يوردوا هذا الحديث الشريف لمثل هذا المضمون لا سيما عند مرضى القلوب، وكثيراً

(١) خالد الزيد أدباء الكويت، ٢: ٢١٢.

(٢) النووي، رياض الصالحين ٢: ٩.

من المبدعين يلتحق بأولئك، فهو يصور الحاكم المستبد راعياً، والمحكومين حيوانات سائمة،

فيرمز بالحديث لهذا المضمون لا سيما عند مرضى القلوب.

ولكن القول الحق أن الحديث المحكم المضمون لا يتجاوز بالراعي إلى حرية الفرد والتصرف بالإنسان والاستبداد به ولا ينزل بالرعوية إلى حدّ السائمة، إنما الدلالة التي نستوحىها من الراعي تشير إلى مسؤوليته العظيمة التي لا يحتمل أمانتها إلا أولو العزم من الرجال المنصفين فهي مسؤولية تصحبها المحاسبة، والكبح، والرقابة، والمعاناة المستمرة، والراعي واحد من هذه الرعية، يعاني كما يعانون، ويأكل مما تأكل منه الرعية، فالرعوية البشرية لها الحقوق الإنسانية كما للراعي البشري فهم يشتركون في الشورى، وتداول الأمور وفي المساواة والعدل.

والشاعر الكويتي عبدالله الجوعان المولود عام ١٩٢٢م يصور العصيان المدني المعاصر حين يكون الراعي مستبدأ يحكم بيد من حديد فإن الشعوب المعاصرة أخذت تظهر المخالفة في الرأي، وتنادي بمداولة الرأي، ومن ثم تكون السلامة إذا تلاحم الطرفان، وتقاربت الآراء:

أريد أن أفهمهم

إذا عصى القطيع رأي الراعي

وراح في ضلاله يجري..

أترك القطيع لضياحه

في مهمة قفسر..

أم يصعد الراعي إليه أمره

ويرفع العصا عليه جهره

أي الطريقين له أسلم

أريد أن أفهمهم



أريد أن أفهمهم

إذا طلبنا الرأي من غيـر ذويه..

وجاءنا بالرأي.. من لا رأي له..

أذاك ما نقصده، وتبتغيه

ومن مستجدات العصر في دول الخليج قضية الانتخابات لمجالس الشعب، التي ولدت حركة فكرية، وخطابية ثم مجالات عميقة داخل المجالس، والوصول إليها أمر من الصعوبة بمكان فالتبارون كثر، والإقناع الفكري للشعب مهمة ليست باليسيرة والتنافس بين المرشحين وأنصارهم تنفر منه النفوس إذا اتخذ مساراً غير حضاري، وحمل الأمانة الوطنية والفكرية لا يقوم به إلا أولو العزيمة والقدرة، والفكر الثاقب من الرجال يقول عبدالله بن حسين المولود في ١٩٢٧م مخاطباً مجلس الأمة الكويتي في أول انتخابات في ٢٠ / ١ / ١٩٦٣م:

جئتم يا قوم باسم الشعب قادة
واحفظوا العهد لشعب باسل
واجعلوا أنفسكم درعاً يقي
ليس من قدم جهداً خالصاً
فليكن زادكمو إخلاصكم
واستعدوا لنضال صابر
راقبوا الأمة في أعمالكم
انتم الضرسان في حلبتنا
واحدروا كل كسول خامل
وشحیح لا يرى صيد الهوى
وإذا مــــا لاح دينار له
وجــــبان إن تعــــالى زيد

وقال بروز الشعر الوطني القطري في مستهل الأمر، لكننا لا نعدمه فالشاعر عبدالرحمن يقول داعياً إلى النهضة الوطنية في العلم والعمل:

لله در شباب عامل صدقوا
يا فتية البلد السامي وزهرته
لا تياسنكم الدنيا إذا عبست
والناس بالعمل المجد فإن فقدوا

سعياً إلى الهدف الأسمى بلا سأم
من كل ندب زكي القلب مضطرم
حيناً فإن هطول الغيث في الديم
عنه فإنهم في حالة العدم^(٢)

(١) خالد الزيد أدباء الكويت، ٢: ٤٢٦ .

(٢) خالد الزيد أدباء الكويت ٢: ١٤٦ .

(٣) معجم البابطين ٦: ٢٦٨ .

يخس الشاعر الإماراتي سلطان العويس المولود عام ١٩٢٥م المتوفي ٢٠٠٠م بالمأساة لحرب الكويت التي اشعل نارها حاكم العراق، واعتدى على إحدى دول الخليج، وأحرق الانتماء العربي، وصدع التلاحم، وانشطرت الوحدة، وهو يحكى مأساة التشريد والقتل وانتهاك الأعراض لشعب آمن ومسالمة، فحكم عليه بالموت والهلاك والأدهى من تلك الروح الغاضبة الحاقدة التي تجلت على أبناء الخليج المحبين للعرب والعربية المستجيبين لكل نداء يقول في قصيدة بعنوان (مأساة شاعر في حرب الخليج):

بكيـتـك يا حياـتي قبل موـتي
 كما بكـت العـروبة في «الكويت»
 فصـحـبـي غير راضٍ عن مسائـي
 وليـلي في مـخـاض حـيـت يأتـي
 ومهـما كانت الأعدا عـندي
 فإني قد سلـخت بيـوم سـبـت
 أنا البطل الذي فـتلوه ظـلماً
 أنا ذاك الـسـجـين بـكل وقـت
 أنا ذاك المشـرد في بـلادي
 بـدون هـويـة و بـدون بـيـت
 بأي الحق قد قـتلت «سـليـمـي»
 بأي شـريـعة أختي اغتـصـبت
 جنون أن اعـيش بلا هـمـوم
 وقـومـي يـكـتـبـون عـلى مـوتـي
 أيا «بغداد» يا ضـجـر الـليـالي
 سـواء أن حـُرقت أم احـتـرقت^(١)

يستمطر الشاعر سلطان العويس الخير في اتحاد الإمارات وبارك مسيرة رائدة الشيخ (زايد) وهو يرسل النداء مشتاقاً إلى أبناء الوطن داعيهم إلى البناء العلمي، والفكري وأن يتولى الأفراد والمجتمع الأعمال التي من شأنها رفقة الوطن وحمايته وحماية ثروته، وقد خاطب النساء من خلال اتحادهن فأحب أن يكن منتجات لا مستهلكات يقول عن الاتحاد:

(١) سلطان عويس، الديوان ٥٤



ابناؤها وقوامها الأمراء
هو زايد تجلى به الظلماء
بالرفق حتى عمت النعماء
ما لم تغير نفسه الأهواء
فكانه والروح في سواء
يوماً ولا خيط به الإكساء
ولباسنا ملاكته الأعداء
عهد الإباء فأمك «الخنساء»
إن غاب عن لبن الرضيع إباء
إن القناعة للشباب فناء
إن التآزر في الحياة بناء
ألا يكون لديكم وفضلاء^(١)

الاتحاد قصيدة وحروفها
وأبو الجميع قيادة وريادة
ماض يحقق في الحياة طموحنا
نعم الحياة كثيرة لمكافحة
وطني دمي ينساب بين جوانحي
يا أخت لا زرع يقيت جباعنا
يا أخت كيف لنا والأمان وقوتنا
يا أبها الأم الصبورة جدي
لا تطلبين من الرجال كرامة
لا تقنعوا من حاضر بنوالة
كل يشد على يمين رفيقه
وطن حنا أعطى فيوم هوانه

عاش شعراؤنا في منتصف القرن الرابع عشر الهجري الحركة السياسية التي حتمت تغير مفهوم الوطنية، فقد كانت تلك على الوطن الإسلامي في ظل الخلافة العثمانية ولما سقطت وظهرت العنصريات، فاخر الشعراء بوطنيتهم العربية التي تتسع من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي وقد ذكرت في موضع آخر قصيدة للعواد يحدد بلاد العرب بمثل هذه ولكنه بعد قيام الدول العربية، فقد أخذ كل من الشعراء بفاخر بوطنه الذي لا يتجاوز حدود الدولة، ولكن الشعراء يلحون على إظهار الروابط العربية:

ومنشأ مجدي بل منيتي
وانت دوائني مع عليتي
بلاد الذكاء، بلاد العرب

بلادتي، ومترع امنيتي
إليك حنيني في صسوتي
سلام عليك بلاد الحياة



ومرسي العدالة والحكمة
ومهد الطهارة والعفة
لكي يوصلوك إلى الذروة
بلاد الحياة بلاد العرب

أموثل أحرارنا العاملين
ومنشأ أسلافنا المخلصين
أهيبني بقومي أن يعملوا
وقولي لهم غير هيابة

(١) سلطان العويس الديوان ٥٩

إلى الأرتقاء بني أمّتي
كرام السجّية والنزعة
عظام الخليقة والنبعة^(١)

بني أمّتي، وأصلوا غاية
سلام على العرب الناهضين
أسود الجزيرة أبطالها

استبشر الشعراء في الجزيرة بالعهد السعودي لا سيما حين استشعر النظام وساد الأمن واتجه المجتمع إلى بذر معالم النهضة، ونقض غبار الجهل، واندفعوا لطلب العلم وتنافسوا على العمل. يقول العواد في مقدمة قصيدته «الوثام».

«في عهد الانتقال كان الناشئون يحسون بسريان الفأل الجميل في قلوبهم بقدرة العهد الجديد على إعطاء الأفكار حقها من الحرية والانطلاق، والقصيدة الآتية تعطي صورة «ميطنة» لذلك الضغط، وقد حيين بها صحيفة «بريد الحجاز» التي كان يصدرها بجدة المواطن الكبير المحامي السيد محمد صالح نصيف».

حي داعي الوثام، حي الوثام
حي بالمجد أمة تتسامي
في نواحي البلاد يبغى التئاما
ظامئات ترى الجمود حراما
قد براها، واربأ بها أن تضاما
ملجمات فحل عنها اللجاما
وحرمنا حتى حرمنا الكلاما
واردنا أن نكسر الأقالما
ولنعدي السكوت خطبا جساما
أن يرى فم الزمان ابتساما
فوق دوح الطروس عاماً فعاماً
إن هذه الحياة عادت مناماً
آن ألا نسح دمعا سجّاماً
سبيل فكر يبدد الألاماً^(٢)

صاح حي الرقي، حي السلاما
حي عصر النهوض، حي التعالي
ألف أهلا يصادح يتغنى
يا «بريد الحجاز» أن قلوباً
يا بريد الحجاز بل غليلاً
يا بريد الحجاز، أقواه قوم
قد حرمنا حرية الفعل عصرا
طال عهد السكوت حتى مللنا
فلتقري شبيبة العصر عينا
طال سجن اليراع والآن يبغى
كفكف الدمع يا يراع، وعُرد
طال عهد السكوت حتى حسبنا
أيه فتتيماننا وآل أبينا
آن أنا تحوّل السمع منا

(١) محمد حسن عواد، البراعم وبقايا الأماس، ٤٢
(٢) محمد حسن عواد، البراعم وبقايا الأماس، ٤١

ويتعاقب الشاعر أحمد العدواني مع وطنه الكويت ومع الأسرة الحاكمة ويشيد بأعمالهم التي صيرت الكويت دولة لها شأنها ويدعو إلى مواصلة المسيرة الخيرة، ومراعاة الإصلاح ويحذرهم من التهاون، والشقاق، والخلاف الذي يؤدي بوحدة المجتمع، يقول الشاعر في قصيدة (تحية العهد الجديد) مخاطباً أحد أمراء الكويت، ومباركاً له ثقة الشعب الذي ارتضاه قائداً للبلاد:

تلكم منازلكم وانتم أهلها	وعليكم عقد الأمور وحلها
أوليتم الثقة البلاد، ومثلكم	من يصطفيه لدى المفاخر مثلها
وتباشرت بقدمكم وتباركت	بخطاكم بين المرباع سبلها
وتهلل الشعب الوفي فكله	فرح وأحلام تشابك غزلها
فتحسسوا أماله وتحسسوا	آلامه لا كان منكم جهلها
فحذار ثم حذار أن يبدي بها	غير التناء المستفيض سجلها
واتوا الأمور بحكمة وروية	إن التبصر بالصعاب يذلها
عركت تجارب أمسكم ما كان من	جور النفوس متى تعذر عقلها
فتجنبوا سبل الشقاق فإنها	مثل المشاقق ما تعطف حبلها
وارعوا بلادكم فإن ديونها	مما يشق على الأكارم مطلها
من لم يراع بلاده في حليته	القت به تحت السنابك خيلها!!
إنا على ثقة بأن شجونكم	وشجوننا متشابه منهلها
قد شفنا حب الكويت، فكلنا	كلف بليلى قد عناه وصلها

ويفاخر الشاعر بوطنه الكويت، وينادي لحمايتها وبناء حضارتها، ويشيد برجالها الذين أسهموا بفكرهم، وأعمالهم في بناء نهضتها، وتطور حياتها، وقد خاضوا عباب المهالك والمتاعب في سبيل إرساء الدعائم الوطنية القوية:

وطن نفديه ونبني مجده	بعزائم أعيالي الليالي فالها
ما همنا إلا حماية نهضة	حقت وجلجل بالمسامع صوتها
نأبى عليها أن يشين رواؤها	كدر نفاه عن المشارب سيلها
إن الكويت لأهلها وهم لها	قامت مآثرهم عليهم كلها
ورجالها مثل البذور فأبهم	تبعته سار إلى النجاة يدلها
فخرت بهم بين الديار ديارها	وعلا بهم فوق السماك محلها

أطواها وعلى يديهم حولها
للحادثات إذا تكلم حولها
من دونها إلا ليزكوا حقلها
إلا الجراد إذا تطاير رجلها^(١)

وتداولوا أعبياءها فإذا هم
من قدمت منهم ومن ضنت به
عاشوا لخدمتها وما احتملوا الأذى
فليست المتحذلقون فما هم

انطلق النور الوهاج من الجزيرة ليعمر القلوب الخيرة بل ويعول الشريرة إلى حب وعطاء، والجاهلة إلى وعوي وبناء، إنه النور الذي عمر وغمر الوجدان الإنساني في مشارق الأرض ومغاربها، وقد توارثته الأجيال، عبر الأزمان وفي كل مكان، تبض به، وتفاخر به، وتعز به، وتفديه، وتجاهد من أجله أنه الشروق الفكري الذي يفوق الشروق الحسي، إنه شروق الإيمان الذي يهدي العقول، ويضيء النفوس، وينتشلها من الهوى إلى العلى، فحق لأبناء الجزيرة أن تكون الروح الإيمانية هاجسهم الدائم الحضور في نبض الفرد وكيان المجتمع يقول ابن الجزيرة الشاعر أسامة عبدالرحمن:

طاهر الرونق .. قدسى السناء
كامل المظهر .. مرموق الرواء
غمر الأرض .. بإشعاع السماء
يحصد الجهل .. ويهدي الجهلاء
مثل الخير .. وأمثال الوفاء
للقاء الطهر ... إن جاد اللقاء
أستشف الخلد أستجلى الصفاء
وارتقاء الروح ... أسمى الأرتقاء
في خشوع .. وابتهاال ... ورجاء
حملت أنوار .. خير الأنبياء
في ربي الوادي .. وفي أرض قباء
باهر الطلعة .. وهاج الضياء
وهو إيمان .. وعادل ... وبناء
قد حباه الله .. أسباب البقاء

قبس .. من مهبط الوحي .. اضاء
باهر الإشعاع .. لمح الذرى
هو ... نور الله ... في مشكاته
قد سرى .. عبر الليالي ... كوكبا
ويمد الكون .. من إشراقه
موئل الطهر .. أرى نفسي هفت
في حمى البيت .. وفي ما حوله
ارتقى .. بالروح .. في آفاقه
وأناجي الله ... من عليائه
وأحيى .. في جلال ... بفرعة
لم يزل .. يروي التسامي .. أمسها
يا سراجاً .. جاء للناس هدى
دينك .. الرحمة .. والخير معا
وهو نور فوق نور .. لم يزل

(١) خالد الزيد أدباء الكويت، ٢: ٢٩٨

في خشوع .. من كدي .. لكداء

أذن الحق .. فمهادت مكة

فاذا باللات... والعزى هباء^(١)

والطواغيت... تهاوت كلها

والشاعر غازي القصيبي ذاتي تبرز الأنا شاخصة في شعره فهو إن تحدث عن المرأة كشف عن واقعه، واقتصر على العلاقة التي من خلالها تتجلى حالة الشاعر لا حالة المرأة وشأنه مع أوطانه كشأنه مع المرأة. فالوطن وسيلة للحديث عن غربته، وانتقاله بل وسيلة لسرد سيرته الذاتية فهو حين يتنقل من البحرين طالباً للعلم مستزيداً للمعرفة يحكي واقعه فيقول من (جزيرة اللؤلؤ):

مبيددة الشباب
بأنيساب السراب
وهمت في دنيا اغترابي
يبحر في الضباب
وحيدا للعذاب
منحتي قبل الوداع؟
تألوح بالذراع؟
علي بارقة التباع؟
في ليل الضياع؟
سوى خفق الشراع
رمته للدنيا الخطوب
يكاد يخنقه النحسب^(٢)

اليوم.. والأحلام ضائعة
والعمراشلاء ممزقة
اليوم إذا حسان الرحيل
ومضى شراعي وأهن الخفقات
اليوم... تنكرني... وتتركني
ماضرئو قبل الرحيل
لوجئت عن بعد تطالعي
أومأ بدت في ناظريك
أومأ رثيت لذلك الملاح
ذاك المسافر لا يسامره
أنا ذلك الطفل الغرير
تركته في صخب الجموع

ويستمطر غازي القصيبي ذكريات الطفولة في البحرين في زمن هبوب رياح اليأس من عمره فتكون مطراً ربيعياً يغيث ذاته الهائمة التي لا ترتوي بعد أن أثقلتها وقائع السنين، فإذا بالأنس يداعب الفؤاد الملتهب وإذا بتموجات الصبا، ومنادمة الطفولة واندفاع الشباب وطموحه، تملو وتكشف عن الشاعر سحابة اليأس:

يا نشوتي .. حين يذرى موسم العنب
يا واحتي .. وهجير القصر يعبث بي

يا فرحتي .. ورياح اليأس غاضبة
يا ضحكتي .. والدموع الحمر تعصرني

(١) اسامة عبدالرحمن، شعبة ظمأى ٦١

(٢) غازي القصيبي، الأعمال الكاملة، ١١



على المحيطات عبر البرق والسحب
واحتمى فيه من رعب ومن وصب
غض الهموم عجوز القلب مضطرب؟
في أمسيات الصبا المغرور واللعب؟
إلى النجوم قراشات من الحبيب؟
على القصيدة أمطار من الذهب
سود الليالي على خدى من كتب؟
من الشجون .. وتاريخ من النصب
يظل فوق مساء حامد الشهب
وظفت في البحر، حتى ضج منقلبي^(١)

حملت وجهك في روعي .. وطرت به
أخلو إليه... فتؤويني بشاشته
أتذكرين الفتى المخبوء في رجل
أتذكرين القدامى من قصائده
أتذكرين ندامى الليل.. تحملهم
أتذكرين اسمها؟ ... لوقلته انهمرت
هل تذكرين وجهي رغم ما نقشت
الأربعون غضون خطها قلم
والشيب في لمتي فجر بلا مرج
ضربت في الأرض حتى مل مضطربي

كانت الإمارات دويلات صغيرة وقبائل عربية، لكن بعد خروج الاستعمار توحدت كلمتها، وتلاحم مجتمعها وصارت وطناً واحداً، فكانت الوطنية من مصادر الإبداع لهذه الدولة الفتية، فكانوا يدعون إلى نبذ الخلاف، وإلى النهوض بالوطن بالعلم والعمل، فعلى كل فرد أن يعد ذاته وعلى كل مجتمع أن ينمي روح العلم والعمل في أبنائه كي لا يعتمدون على العمالة الوافدة من الشرق والغرب فهم أولى بعباء الوطن وثورته، كيما يورثونها للأجيال اللاحقة، يقول الشاعر سلطان العويس:

دعوا ما مضى واستقبلوا الأمر بالحزم
فهل بيننا ضد العواصف والرجم
لدينا جواب يستمد من الفهم
عباءة ماضٍ لا تقال من الذم
أم الورد للمحتال والأهل للظلم
أبر وأمضي في العراك مع الخصم
يهمهم أمر هو الفوز بالغنم

أقول لقومي بعد أن جد جدهم
أقول لقومي إن في الجوع عاصفاً
ستسألنا الدنيا قريباً فهل ترى
أم الرد ملفوف بمال وتحتته
وهل ورد هندي الأرض يصفو لأهلها
دعوا بلد الخيرات للأهل إنهم
ولا تركنوا للوافدين فإنما

وهو يدعو مجتمعه إلى البناء الاقتصادي، وبناء القوة الدفاعية، وإلى كل ما من شأنه رفعة المجتمع الإماراتي:

(١) المرجع السابق، ٨٠٨

عزلاء من درع ومن بتار
تجدوه مقبولاً أمام الضاري
والسباحات وقاذفات النار
أجدي وأتفع من لسان عار
كبس الحديد ككبسة الجبار^(١)

إن السياسة لا تجود لأمة
أبنوا المصانع ثم قولوا رأيكم
ودعوا البنادق والمدافع لعماء
صوت الحديد يرن في أسماعنا
وإذا تذاخرتم فقولوا مصنعا

ويهتف الشاعر سالم الزمر بوطنه، هتافاً وجدانياً يذوب في حبه ويشعل أحاسيسه، ويقدم إبداعه فالشاعر يتمثل وطنه، في ملاعب صباه، حين يعلو رماله وكتباته وحين يسبح على شواطئه، ويدلف إلى أعماقه:

بكل حرف ندي ملؤه شجني
في صدري الوجد يحدها فتشغلني
بين الشفاه ضرام النار في بدني
حتى وإن بات من بالثوب يخلعني
من أسرها الشوق حتى كاد يغرقني
وطرفها في زوايا ظلمة الزمن
حوراء تاهت على أمواجها سفني
في كل رابية خضراء يحضنني
سكنته العمر حتى بات يسكنني

تنشق عنك شفاه الوجد يا وطني
بكل قافية سكرى يشاغلها
بكل حرف غدا في الثغر مضطربا
يا ثوب عزك ساني لست أخلعه
يا دمة بات يجربها ويطلقها
يا مرتع المهجة الحري وخفقتها
على شواطيك ضيعت الهوى مقلا
في هضابك ألفت الهوى خضلاً
يا ساكناً أهتي الحري وبا وطناً

ويستحوذ الوطن على وجدان الشاعر (صالحة غابش) فترى فيه النور المشع، وإشراق الحياة، وفيه تجوب آمالها، وحوله تدور أحلامها، فتارة تجوب واحاته الزراعية وترنو إلى نخيله الباسق، وتارة تلعو أشرعتة، وتجوب سواحله فتقول:

فذاك الصبح وجه منك يا وطني
جناحاها الحنين ودفقه الشجن
صدي أنشودتي لهواك يصحبني
يزاحم في الخليج أصالة السفن
تقص رواية للحب تسحرنني
وأغنية الشتا بالدفء تمطرني

ويلقاني صباح ضاحك فمه
تسافر بي إليك فصول أحلامي
ومن خلف النخيل أطل منشدة
أماني الكبييرة زورق بجري
وذاكرة الزمان على خطا جدي
وتأخذني لهمس البحر في صيف

(١) نزار أباظة الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث، ١٠٨

ويا فرح كالعيد يغمرنى

بلادى يا اشتياق القلب في بعد

وقد شرعت الدولة عقب إعلان الاتحاد في بناء المؤسسات التي تجمع شمل المجتمع، وقد سارع الشعراء إلى إيقاظ المجتمع، والدعوة إلى دعم هذا الاتحاد ومؤازرة رائده الشيخ زايد بن سلطان.

يقول الشاعر سلطان العويس عن هذه الوحدة الوطنية التي باركتها الدول العربية:

الاتحاد قصيدة وحروفها	أبناؤها وقوامها الأمراء
وأبو الجميع قيادة وريادة	هو زايد تُجلى به الأدواء
وطني دمي ينساب بين جواني	فكأنه والروح فيه سواء

ويقتنع الشعراء بولادة هذه الدولة حين تواصلت أطرافها، ورفعت الحدود بين الإمارات، وتجسدت تلك الدولة العربية للملأ من حولها:

رفعوا الحدود فلا حدود	كأنما عرفت وجودا
فطن الرجال لشورها	فمضوا يدكون الحدودا
فإذا بمولد دولة	أقوى أساساً بل عمودا
فالحلم بات حقيقة	واللا وجود غدا وجودا
فببت تهادي كالفزاة	تعلن الفجر الوليدا
وتبث في أرض الخليـ	ج الدفاء والعهد الجديداً ^(١)

وتظل ذكرى يوم الاتحاد عابقة في مهج الشعب الإماراتي، في حين وفي كل حول يحول عليه يصير يوم ابتهاج وفرح، فالإتحاد مطلب فردي واجتماعي، ووطني، يشدو به كافة أبناء الشعب وتتفاعل معه أفئدة الأدياء فتفيض تجاربه إبداعاً يقول الشاعر عارف الشيخ في إحدى ذكريات الاتحاد:

مرحباً بالعيد بوركت لنا	ما شدا في هذه الأوطان شاد
هل يا عيد علينا تلقنا	مهجا حرى وشوقا في ازدياد
نحن شعب قد سئمنا فرقة	فإلى الوحدة سلمنا القياد
نحن قلب واحد في قالب	واحد صرنا فعاش الاتحاد

(١) نزار اباطة، الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث، ١١١

الدولة الفتية في سائر المحافل الدولية، يقول هاشم الموسوي:

مرحباً ليومك دولة الأمجاد كم كنت أرقب في الزمان ضحاك
فإذا بك اليوم استقمت فتية ملء الزمان شبابك وصدالك (كذا)
ورفعت ألوية المحامد عنوة للمسجد باسطة عليه سناك
ووهبت للتاريخ أنصع صفحة في الاتحاد تشع من مفاك

ويستذكر الشاعر حمد أبو شهاب حياة الفرقة والشتات لشعب الإمارات، فيتألم أسى وحسرة للسنين الغابرة التي كانت وبالاعلى المجتمع، وهي الآن تنعم بالأمس والاستقرار:

إني لأستعرض الماضي وفي خلدي أسى وفي ذكريات الأمس آلامى
بالأمس كنا إمارات ممزقة يعيث فيها فساداً كل هدام
واليوم تنعم في أمن وعافية وترغم الحاقد الساعي لإرغام
بالأمس كنا إمارات نعيش على جهل وفقر وأوصاب وأسقام^(١)

وعُمان لها في كيان أهلها مكانة عالية، فهم يفخرون بأمجادها العربية القديمة، قبل الإسلام وبيتهجون بروابطهم الإسلامية، فهم وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم، ووفدوا على الخلفاء، أبي بكر وعمر بن الخطاب، واشتركوا في الفتوحات الإسلامية، ولهم قيادتهم الفكرية في شرق آسيا، فهم من الذين يركبون البحر إلى الهند للتجارة ونشر الإسلام، وكذلك يطلون على إفريقيا، فيهاجرون إليها بل أسسوا دولاً هناك، يقول الشاعر أبو سرور العماني:

سائل فديتك عنا في مواضينا تلف الحقائق أمجاداً لماضينا
سائل تجد ورقات المجد ما كتبت من عهد آدم إلا مجد عالينا
عُمان إن فخرت يوماً وإن ذكرت تاريخها أحرست لسن المعادينا
كنا ملوكاً لنا الأجيال ساجدة قبل النبي على الدنيا أساطينا
نحن الذين اتينا المصطفى شرفاً في ركب مازن والإيمان يحدونا
لنا الهدى وثناء المصطفى فعلت قناتنا بثناء المصطفى فينا
وقد وفدنا على الصديق في همم تباع أنفسنا لله شارينا
اثني علينا أبو بكر وقسال لنا خبراً وأبصر فينا المجد و الدينا

(١) نزار أباطة، الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث، في الإمارات ١١٢ هـ

على من ارتد فاستفسر عوالمنا
لاقي بنوها منايهم بأيدينا
إلا بحد المنايا من مواضينا
وإن رضينا فما أحلى مرضينا
أنفا حصدناهم بالسيف مفضينا
تدفق العلم فياضاً بوادينا
وفي عمان وردنا الهند والصينا
فاسمع لمصقلة مع ابنه فينا
فشعرنا الشعر والياقوت يتلونا
مجد تسجله الدنيا دواوينا
هدي النبوة أبطالاً ميامينا
ميمونة تحت شرع الله ميمونا^(١)

قدنا له حرب مجد للظبا فقضت
كذلك خضنا مع الفاروق حرب هدى
كأنما الموت لم يكتب على أحد
إذا غضبنا رأيت الدهر في قلق
فالناس رهن مواضينا فإن شمخوا
وتحن رواد فكر عن منابعتنا
شدنا الحضارة في الدنيا على شرف
ونحن أخطب من فوق الصعيد مشى
ونحن للشعر تيجان وألوية
هذي عمان على الأجيال ما برحت
نمشي على نظم القرآن يعضدنا
هذا الجلندي إمام قصاد دولتنا

والشاعر العُماني مشحون بحب بلاده، يقف على تراثها التاريخي فيزهو به، ويقف على طبيعتها، فتعظم في نفسه فهي مطلة على المحيط الهادي وبوابة الجزيرة للشرق الآسيوي، وهي تزهو بجمال الطبيعة الخلابة، بجبالها الخضراء وأوديتها ذات الينابيع الثرة، والغابات الكثيفة يقول الشاعر العُماني محمود الخصيبي مفتخراً ببلاده:

فقد طال بي صبري وطال سهادي
فأمسى هشيماً مورياً برماد
وحلمك إنني أكتوي ببعادي
حب واخـلاص لكم ووداد
إلى نضرة الإيمان دون عناد
وسارت على نهج النبي الهادي
وأبناؤها أهل لكل قياد
لنغمة غريد وروعة شاد
كثوب عرب نمقته أياد
بماء غدير أو بلججة وادي

منى الروح ردي مهجتي وفؤادي
وكاد الهوى يدري بروحي مع الهوا
حنانك لا ترميني بجفاوة
فلا تحرميني من لقاء وصحبة
وإني لمن أرض تسابق أهلها
فسادت بلاد الكون بالعلم والتقى
لها اثر في كل ركن من الدنيا
إذا ما رأتها العين نامت قريرة
مطرزة بالضل والورد والجنى
كشجرة صف صاف تشبع جذرها

(١) د. أحمد درويش، تطور الأدب في عمان ٢٠٧

بصرح لجين تنثنى بعناد
بكوكب در فوق جنة عاد
سهول ووديان بهسا ووهاد
طربت لها حبا وطاب رقادي^(١)

كبلقيس إذ وافت سليمان في الصبح
يضيء سناها الأفق مثل زجاجة
وفيهما جمال لم تر العين مثله
إذا الريح هبت من خلال تخيلها

الوطن رمز الزمن الواحد ورمز المكان المشهد المتواصل مع الرؤية الزمنية التي ينبت عليها الإنسان، والوطن يميل الوحدة والقوة والتآزر، وهو يمثل الحماية للدين، والنفس والعرض والمال، ومن هنا فإن الإستجابة الوطنية حتمية عند كل فرد ومجتمع، ويزداد حبه، كلما كانت الدولة تحمل عند كل فرد ومجتمع، ويزداد حبه، كلما كانت الدولة تحمل قيمه وتحرسها، يقول محمد جدع في الوطن:

عسزمي وروحي في الزمن
فإذا دعما داعي الوطن
من كل باع أو مـحـن
حق الكسارم والمنن
نحيا على مر الزمن

إنني نذرت لموطني
ونذرت أن لا أنثني
أفـدي بلادي أخـي
أحمي الحمى وأدود عن
أحيا وتحيا أمتي



إني فداء عروبتي
ولهـا أجنـد قـوتـي
صد الوفاء وهمتي^(٢)

إني الفداء لأمتي
إني فداء عقيدتي
ولقد بذلت لجيـرتي

يتعلق مكان الجزيرة في ذاكرة كل شاعر مسلم بعامه والعربي بخاصة، وقد رأينا دواوينهم تزخر بذكر نجد عند الشعراء الوجدانيين، فيستلهمون مواطن الهوى والعشق، وخزامه، وشيحه، وقيصومه، ورأينا الشعراء الصوفيين يجوبون الحجاز اقتفاء لأثر الرسول صلى الله عليه وسلم، وشعراء الجزيرة العربية المعاصرون يستحضرون كل هذا وفوقه أرومتهم العربية. وتراثهم الاجتماعي، وتواصلهم مع الوطن، وانغراس الفروسية والمصارحة في مشاعر المبدع في هذه الجزيرة فأحمد باعطب يقول عنها:

هنا جنة الإلهام والسحر والندى

هنا بلدي المضياف مؤتلق

(١) د. أحمد درويش، تطور الأدب في عمان ٢٠٠٩ .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة، محمد جدع، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .



مجنحة الأفاق ليس لها مدى
هنا كبرياء اليوم تبني له الغدا
ويبتسم الإصرار في دريها صدي
هنا تعزف الدنيا البطولات سرمداً
إباء وإخلاصاً شموخاً وسؤددا
مطرزة بالنور فضلاً ومحتدا
وما قبلت إلا جسوراً وسيدا
إليه مدى الأيام أصلاً ومولدا
وجدت بنية الغر أكرمهم يدا
على الأرض تمشي تبعث النور والهدى
مباركة ميمونة البذل والفدا
ملاحم تبغي هامة المجد مقعدا
نجوماً تعاف الذل لله سجدا
وشيدت للرواد صرحاً ممردا
معينك دفاقاً وما زالت فرقدا^(١)

هنا ترقص الأحلام في ليل عرسها
هنا عزمات الأمس رفاضة السنى
هنا تهتف الأجيال وثابة الخطى
هنا تلد العلياء فاجر خلودها
هنا يرضع الأطفال من ثدي أمهم
وفي جبهة التاريخ تشرق لوحة
تقبل شمس العز أقدام أهله
وينتسب الإقدام والنبيل والوفا
إذا مدت الأيدي إلى ذروة العلى
وسرت فما أبصرت إلا كواكباً
بأيمانهم تختال في الأفق راية
وينقش في جيد الحياة كفاحهم
فبوركت أرض أنبتت من شفافها
حملت نواء العلم بالأمس فازدهى
وجضت ينابيع الزمان ولم يزل

يتغنى الشعراء السعوديون بمولد عاصمتهم الرياض، ويشيدون بها رمزاً لكيان الدولة، فحديثهم عن الرياض يدلّف بهم إلى مسيرة أولئك الأبطال الذين أسسوا هذا الوطن الشامخ، والشاعر الوزير الذي استوطن الرياض ينقلنا بين أحياء العاصمة ويجوبُ في سجايا الرجال التي تقوم على العلم الشرعي، وكونهم مصدر حكمة ووعي، وأهل نجدة ومرورات:

كيف عادت حال الأحبة بعدي
هم «مدى غاييتي، وغاية وجدي
ويوادي (البطحاء) أخدان رد
وتعودت في (الشميسي) وعدي
من شيوخ ومن شباب ومرد
ريف ويسدونها إلى كل فرد
تجري عطاء مردداً دون رد

يا نسيم (الرياض) في أرض نجد
شفتني الوجد، من هواهم ولقيا
إن لي (بالمز) إخوان صدق
كم تفتقدت، في (المربع) ربعي
وتصباح من وجوه صباح
عبقريين يعرفون المعاي
والمرورات من أياديهم

(١) احمد باعطب، عيون تشرق الشهر، ١٠٢ -

وجدي، من صانع الجود مجد
مستفيض يجري بدون مرد
ترتوي النفس من صداها بشهد
قصة الشوق من لقاء وصد
على رسمه إشارة خلد

سامر عامر، وناد ندي
والأحاديث، والسوالف ورد
عذبة، كم روت شؤوننا عذابا
والروابي إلى المربع تروى
كل ربع، كأنه رفرف الخلد

ثم يحكي سيرة التلاحم والوحدة بين أقاليم السعودية، فقد اقتربت المسافة الفكرية والمكانية، وتوحدت الأهداف، وتلاحمت المجتمعات:

بد كثيرًا، على السريع المجد
من قريب، ولا أبالي ببعيد
ننى سبق لها إذا جد جدي
نيني، إلى أخوتي وأهلي ورفدي
ق، تلاشى بين الحجاز وتجد

قيل: أن الحجاز يبعد عن تج
قلت: أن البعاد بين المحبي
إن سيارتي أمامي، ولك
خطوة في مسابح الريح تد
قصرت بيننا المسافات والضر

والشاعر يرسم حدود الدولة السعودية التي تتراعى أطرافها من حدود الشام إلى مشارف اليمن ومن البحر الأحمر غرباً إلى الخليج العربي شرقاً:

تلاقى على إباء ورشد
نجران، قامت على مكامن أسد
ذات ماض على المدى ممتد
للضواري، من كل شبل وورد
بوفد غدا على إثر وفد
إن تعدي، وحتفه في التعدي
م وتجتازها، بفضل التحدي
وفلاح أكرم به من جند
على صفحة الحسام الضرد
ل، مستبسلأ بعزم أشد
ويجتاحهم بأحكم رصد
بين عينيه، تستعيد وتبدي
شواظاً على العسدو الألد

بلد واحد ومملكة كبرى
من حدود الشام حتى ربي
ومن البحر للخليج بلاد
عمرت بالرجال، فهي مهاد
تتوالى بها الوفود، وتمتاز
لا ينال العسدو منالاً
تتحدي الصعاب بالعزم والخز
جندها، جند سؤدد وصلاح
كل فرد كأنه شعلة النار
يتصبى النضال، يقتحم الأهوا
يرصد العاصين، والمستبدين
يتببارى إلى المنى والمنايا
يدراً اليأس عن حماه، ويلقيه

ويزهو، إلا بتقوى وحمم
ان، يلجؤ غواية المستبد
ر صبور على الشدائد جلد
ر مـجد، إذا دُعي للجد
تصدي لهسا بأعظم كيد
وهو الليث ليس بالمتـردى
ن وعدنان أو سـرارة معد
م مُستأسدين، للمتصدي^(١)

لا يُدارى، ولا يمارى، ولا يلهو
في يديه السلاح في قلبه الإيم
باسم الوجه مثل منبلج الفج
عابس إن تهجم الأفق واغـب
كائد للنواب المدلهـمات
يتـردى عمدة في المهاوي
والصناديد من ذوائب قحطا
يتصدون، للمروية والإسلام

التأمل وظيفة عقلية، ووسيلة للمعرفة، وأنماء العقل، ولسعة الإدراك ووسيلة لاستبطان البراهين، ووسيلة للقناعة والرضى، ووسيلة للتأثر الوجداني، والتعاطف الشعوري والتأمل، ووسيلة لكشف الطبيعة، والإفادة منها، وهو لازمة عقلية وقد أمر به ديننا الحنيف وحث عليه، فكثير ما وردت الآيات التي تشيد بذوي الألباب، وتأمّر بالتعقل أفلا تعقلون. والتدبر أفلا يتدبرون، والتفكير، فالتأمل يزيد الإيمان ويقنع به.

والتأمل هو أن يجيل البصر والبصيرة، في معالم الكون، فيكشف أسرارها، ويكشف عن عملية التلاحم بين موجودات الكون، ويكشف عن وظائف تلك الأشياء وقد عرفه جبور عبدالنور بقوله (حالة من الاستفراق الذهني في عملية جدّ واعية لتداعي الصور والأفكار)^(١).

والتأمل الشعري وظيفة عليا فهي نسيج من الفكر والكون واللغة والأحاسيس الشعورية ولها القدرة على الاكتشاف، والاستشراق، وبيان المجاهيل، وكشف المعالم الجمالية والعلاقات الكونية، وسبر أغوار الأنفس البشرية والتأمل وسيلة التجريد الفني تلك العملية الذهنية التي تلجأ إلى كشف الخاصيات العامة لأي شيء فهي «استخراج الماهيات ذهنياً من الموجودات والارتفاع بها عن المحسوسات والجزئيات إلى الأمور الكلية والشاملة»^(٢).

ونتيجة التأمل، ظهر الخيال العلمي الذي يكشف ويقترح أشياء لم تخطر على عقل بشر لكنها قابلة للترويض، وربما تم تسخيرها علمياً، كمثل الفضاء وأسراره، وحرب النجوم وغيرها، والشاعر هو القادر على تحويل المعاني البعيدة الغور، أو معاني الفلسفة الاحتمالية التجريبية إلى أفكار ومضامين قريبة المتناول، سهلة الإدراك، ومن هنا فإن كثيراً من المضامين عند الشعراء تعود إلى فكره أثره الفاعل في الكشف عن الحياة والكون، فالمعنى هو الماهية، والماهية ملتبسة بالأشياء، تكتسب عن طريق الملاحظة والتفرقة بين الصفات الجزئية والعرضية والصفات المشتركة، ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول إن المعنى الذي أدركه هؤلاء النقاد عبارة عن أفكار ذات طابع حسي، على نحو ما رأينا في البدر والإنسان والأسد، الكلمات تعني أفكاراً وأشياء في الوقت نفسه، كلمة الأسد تعني الأسد والأفكار التي

(١) جبور عبدالنور، المعجم الأدبي ٤١

(٢) المرجع السابق ٥٩ .

وتجسد فيه، وتحديد الأفكار إذن لا ينقصل عن الشيء الذي نراه»^(١).
 ووظيفة الناقد هي الكشف من مدى العمق الفكري في شعر الشاعر وإن سهل لفظه قرب
 معناه، فإنه يحمل دلالة فكرية عن معنى ذهني مجرد، أو فكر اجتماعي، أو نفسي، وقد أدرك
 النقاد الأوائل فلسفة أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري.

«الناقد القديم شعر بحاجته إلى تمييز الشعر أو بحث قيمته، ولكنه عاش في هذا الإطار،
 وتصور براعة الشاعر تصوراً ملائماً لفلسفته الإنسان العادي يرى الدرر، ويرى البساط، ويرى
 النجوم والسماء. ولكن الشاعر يستطيع أن يؤلف من هذه العناصر كلها نسقاً، وهو نسق
 خاص لا تختلط فيه النجوم بالدرر، ولا تختلط صفحة السماء بصفحة البساط، الأشبه بعقل
 الناقد القديم أن هذه الأشياء اجتمعت في الوهم وهي منفصلة في الحقيقة. فالضرق بين
 الوهم التخيلي والحقيقة المدركة بالحس والعقل فرق وثيق. الإنسان العادي يرى البرق وحركة
 الصحف ولكن الشاعر يستطيع أن يربط بين هذين العنصرين الكون نسيج يسوده النظام
 والتوافق، ولكن أجزاءه المتناغمة متميزة»^(٢).

وشكل شعر التأمل في الجزيرة الحركة الكونية العلوية والسقلية والوسطية والتفاعل
 البشري معها ومع البشر أنفسهم.

فديوان الشعر الخليجي الحديث فاض بالفيض الشعوري للفردي وإنسانيته فالنبض
 الشعوري والإحساس الإنساني يتعالى صداها في الإبداع الشعري.

والشعر التأملي كشف صدق القيم والمثل الراسخة ومدى الالتزام بها بل والدعوة إليها
 والتعلق بها لكونها إحدى الثوابت الراسخة التي يهدف إليها إنسان الخليج ويبتغي نشرها
 لأجل الإنسانية والشعر التأملي كشف عن الفكر الاجتماعي وتحولات، وخاصة أقاليمه.

وتجسد التأمل في نظرة الشاعر إلى البشر والعلائق بينهم متواصلة ومتوازنة، ومتضادة،
 وكاشفاً عن علاقة البشر بالكون خاضعاً وحيراناً.

وقد استوقفت الطبيعة الشاعر في الجزيرة، وتدبرها طويلاً، واستنطقها وصحبها وهرب
 إليها، وماج مع أمواجها الصاخبة، وغاص في أعماق يحورها العميقة، مفسراً ومحللاً، وتارة
 متعاطفاً متمنياً تلك الحياة الخالية من شرور الإنسان.

وقد ولج الأدباء والشعراء إلى كيان الإنسان، فهم تأملوا في الإنسان ذاته. فكما أنه مكون

(١) د. مصطفى ناصف، نظرية المعنى ٧٢ .

(٢) مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد الأدبي ٨ .

الأدب ومبدعه، فهو الأولى بأن يكون المصدر الأول، فأخذ المبدع يعبر عن إنسانية الإنسان، ويكشف في حرية وصراحة آماله وآلامه، إرادته وإعراضه.

ومن الشعراء المفكرين حمزة شحاتة الشاعر السعودي الذي غلبت الفكرة على نتاجه الأدبي الجميل، بل صهر الشاعر حياته بسلوكياتها، وأنماط أساليبها في تموجات الفكر الفلسفي والعقلاني التأملي، فكان انفعاله انفعالاً ناجماً عن التأمل العقلي ففاص في أعماق النفس البشرية، وتدبر التفاعل البشري مع بعضهم بعضاً ومع الحياة ومساعداتها، واتخذ فكراً شمولياً إلى علاقة الكون كله، وهو يتأمل ضياء النار الذي يأنس الإنسان به، ويجلو الظلام، ويزيد الإبصار والبصيرة، لكنه نار مشتعلة حارة حارقة، يقبس الإنسان ضياءه عن بعد:

لكن الشاعر يورد فكراً مركباً عندما يشاهد الفراش تدور حول الضياء دابة لا تفتقر، ولا تحجبها الحرارة ولا تطردها، وإنما تهلك راضية، فتأتي جموع من الفراشات وتهلك وتلونها جمع أخرى لتهلك وهكذا بلا انقطاع.

فيتأمل الشاعر الحياة من خلال هذا، فهل يريد أن الإنسان ذاته يتساقط على بريق الحياة كما تتساقط الفراشات تلك قراءة من القراءات ولقطة (السرير) لها دلالة أخرى فإنه يصور تتالي النساء على أحضان الرجال عند أولئك الإباحيين كتتابع الفراش على الضياء وكلها حياة عبثية زائلة، تستنزف الجمال وتهلكه:

لا تسألني عن المصير

ما دام في الدجى سرير

ينيره مصباح

كل الفراش هكذا

كل الفراش كائن ليحترق

بل كل شيء في الوجود يحترق

حتى الفراشات التي لا تعرف اللهب

حتى التي لا تعرف الحب ولا الحبيب

فراشتي ! لحكمة قد حفل

الوجود بالفراش..

وكل حجرة بها سرير
يقبع في جواره مصباح
وليس في القصة ما يهول
وكل ماض يهون .. يختفي
في ظلمة الدجي
فراشتي! لو ساقك الهواء ليلة
إلى فراغ حجرتي
لن تجدي السرير خالياً
فلم دائماً .. أكثر من فراشة
تطوف حوله لتحترق
وكل شيء في الوجود يحترق
أنا .. وأنت والكيان كله
حتى اللهب والجليد ...
ويختفي القديم، ويظهر الجديد
ويلد الفراش، دائماً فراش ..
فراشتي أنا حزين
لأن غاية الحياة .. غير غايتي وغير غايتك ...
لأن كل شيء ينتهي ... ويختفي
ولا يدوم
لأنه لو دام، لانتهى بقاؤه
وصارت الأحياء كلها جماد
نعم .. برغم ما فهمت
لم أزل حزين
لأن كل شيء في الوجود يحترق
مخلفاً وراءه رماد
تنثره الرياح

غاية الكلام

فليك الصمت إذا

لهذه المناسبة .. شرة الختام^(١)

حين تنضب الآمال، وتذوي الأحلام، ويتحلق اليأس، تسود النظرة السوداوية للأشياء، وتكون الحياة مكابدة ومعاناة وجحيماً، فلا وجدان يلفها، ولا أمل يستمطرها، ولا الأحلام تستعد بها، وإنما تضوى تلك الأوهام، فلا لذيذ للعيش ولا يرى الإنسان نجاة.

ما رأيت الحياة إلا عبابا
رب ماض لغاية لو تقرى
يا أماني القلوب، والأنفس الحد
للمساعي الأحرار فيك حريا
نحن فيه، على السلامة، غرقى
ما يليها، رأى التخلف أبقى
رى مضت تقضيك عدلاً وحقاً
ت بنجح، لو كان وعدك صدقاً

الإنسان في كبد ومعاناة دائمة، تطوف عليه السعادة أحياناً، نتيجة الكفاح ومكابدة ثم تطراً المعاناة مرة أخرى، وكلما تحقق أمل يحمل في طياته عملاً ومعاناة، ولولا تزكية الآمال والأحلام للحياة لتعكر صفو الحياة التي يزينها أحياناً فرح النجاح.

أيها الكادح الذي اتخذ الوعد
هي وهم مجدّد، أنت منه
وهي لغز، تمضي الحياة، ولا تك
كم سرينا على سناها حيارى
وانتشينا بها خيالاً من الرا
فإذا نحن في كفاح مرير
جل من الزم النفوس دواعي
فكان الحياة معركة الحي
ثم ضاقت به مساعيه، فارتنا
من دواعي آماله، وهي صرعى

برسبيلاً إلى السعادة، رفقا
في تضال، به تنوء، وتشقى
شفت عنه الظنون، خرقاً ورتقاً
تركب الوعر والمعاصف، خرقاً
حة احنى مهذاً، وأنضر أفقا
بين سار على الكلال وملقى
ها وأطماعها صراعاً وسبقاً
أذاقته ما أمضٍ وشقى
ع لما خلف الصراع وأبقى
أوبقايأ أحلامه، وهي شرقي

(١) حسين عرب، المجموعة الكاملة : ١، ١٢٠

(٢) حمزة شحاته، الديوان، ١٢٢، ١٢٣

بين قيدين من منى لا تواتي

وأسار لا يرتجى منه عتقا

وتأمل المفكر يتجسد في شعر حمزة شحاتة فهو يقارن بين المعالم سريعة الزوال مثل فقائيع الماء، والفراش والميكروبات وهشيم نبات الربيع يقارنها بحياة الإنسان الذي يظن طول حياته فإذا هو يماثل الأشياء سريعة الزوال:

من تجاربه، فما استطاع نطقاً

رحت أستنطق الحكيم عظات

نشرتھا الرياح غرباً وشرقاً؟

هل ترانا إلا فقائيع ماء

ج، رهيب الوجهين، سطحا وعمقا

فوق أثباج عليم صاحب المو

مة شقت عصا الأمان وشقا

تتلاقى فيه الأعاصير والظلا

ثم يختم بأن سهام المنايا، وسهام السعادة لا تخضع لمنهج العقلاء، ولا جد المجدين، فكم من مستكين مات قبل مقدم، وكم من ضعيف متهاون نال حظاً من المال لم ينله حريص جاد متعب:

ببر عليها، قد ارتضيت الأشقا

قل لمن يبتغي المذلة بالصدا

أن تخوض الغمار غير موقى

إنما الصبر-والمنية غيب-

وأصابت سهامها من توقى

كم نجا من كربة مستميت

ل حياة، لو أن حيا سيبقى

حكمة أن تصان بالصبر والذ

ت، أقيمت لنا، نسوراً، وورقاً^(١)

غير أن اليقضاء إحبولة المو

ويلجأ الشاعر فهد العسكر للتأمل الذي ينحى للتشاؤم فيجمع شتات الموبقات، والعثرات التي تعترض السعادة البشرية. والعسكر أشبه بالولد العاق الذي يرى مساوي والده وحزمه، ويولد منها أعداراً لانحرافه، وكذلك العسكر يلتمس تلك الأفكار السوداوية حول مجتمعه ووطنه ويحيل عليها كل عوامل منغصات الحياة، والعقبات التي تقف في مسيرته حياته، ولا أتخيل أنها عقبات ذات صعوبة وإنما هو جسدها وضخمها حتى ولجت به إلى اليأس بل إلى الإنحراف فالتأمل عند العسكر تأمل ذاتي لا يقوم على برهان كان باقتداره تجاوزها:

إحساسي وماذا تجني وراء خمولي

يا ضفاف الخليج أهدمت

وضروب التزمير والتطويل

غير حرق البخور في كل أن

كل ربع من الربوع مـحيل

فاطغ يا بحر أن تطغى واغمر

(١) حمزة شحاتة، الديوان ص ١٧٠، ١٧١

وانعبي يا غريان فوق الطلول
كالح وأعصفي بجفن الدخيل
لعاباً يعلى ببطن الأكلول
بي وطوفي بطغمة التذجيل
يا أفـاعى الخنا بكل رذيل
خصمي بقايا فؤاده المأكول
لوم على مذبح المرابي الكسول
على مضجع الداعي الملول
بالدمع فهو خير غسول
وابكيه فله قلب كل تكول
لي واثقلت كاهل المسؤول^(١)

وانعقي يا يوم أنعقي لا تخافي
وإصرخي يا جنوب في كل وجه
وقفي يا شمس الهجير وصُـبِّبه
واخرجي يا أشباح في غيب الغ
وارقصي وانثنيه سما زعافاً
وانهشي يا عقارب الحقد من
والفظ الروح يا فقير ولا
وانشر الشوك أيها الأرق المرُ
وأغسل النفس أيها الخائن النادم
والطمي الصدريا ابنة الطهر
يا ضفاف الخليج حطمت أما

والشاعر يتأمل في الكون من حوله فالبشر مع توحدهم في العقول وتقاربهم بالقدرات، وتشابه الفرص المتاحة لهم إلا أن هناك فروقاً كبيرة في الاكتساب، والتفاوت في الثروات، وطرائق السلوكيات، وإن المال لم يكن لأفضل العقول والجاه ولم يكن لأهل الفضل والعلم والخير، تلك الأمور لم يستطع الإنسان ولا فلاسفته ولا حكماؤه إصلاح البشرية فيها ومن هنا فإن لجوء الإنسان إلى تدبير الإنسان في أمور جاءت من الرحمن ضلال يدلّف إلى ضلال، فالملتزم بالتوجيه الرباني أهدى سبيلاً، والتوجيه دعامة للعقل ينتشله في زمن حيرته فهو يرفع صوته بصراحة أن لا إتجاه إلا بالتوجيه الإلهي:

يُحتسى الأدنى ويُنسى الأفضل
وشموع ضوءها مبتذل
يرخص التبر ويغلي الجندل
وعن المنبر يقرصى الأمثل
كثير يجري زلالاً جدول
بسراب واحتسوتهم ظلل
مهج صم فراغت مقل
خالق الكون وجاءت رسل

في الدنى شهد وفيها حنظل
ودياج يختفي الناس بها
عالم مضطرب ميزاته
يعتلي المنبر قدم أحرق
حماً يلعقه ناس ومن
فأرى بين الثورى من خدعوا
حجبت عن هالة الرشيد بها
قد آتاهم سلسبيل الحق من

(١) عبدالله زكريا، فهد العسكر ١٦٢

ويأمر الرسل لم يمتثلوا
ولدى الحق قلوب غافل
من سواقيه يطيب المنهل
وجهوا الركب فسالت سبل
باطل يؤتى وحق يهمل؟
نغماً فيه دموعي تهطل^(١)

فأداروا ظهرهم عن تبعه
أعين رمضاء عن نور الهدى
يتوارون عن الفيض الذي
وإذا ما مفسد صاح بهم
عجباً أمرهم حيرني
يا شفاه الصمت صوفي حيرتي

الشاعر محمد حسن فقي المولود عام ١٣٢١هـ ما زال يعيش حتى كتابة هذا البحث وقد تجاوز التسعين من عمره، هذا العمر الممتد قد اتخذ التأمل منه مساحة كبرى، فقد وهبه الله عقلاً انفعالياً سريع الإحساس بالموثرات من حوله، فهو إن نظر إلى السماء أطلال التبصر، وإن جال نظره إلى الكون تدبر وتأمل، وإن حدق في حوادث الإنسان المأسوية اهتز وجدانه، وأزداد انفعاله، وفاض إبداعه بتجارب إنسانية فياضة، فالشاعر كالاتي القوي المنحدر الذي يصطدم بالحجر والشجر، والهشيم، ويقذف الأحياء مع تأله الذي يصحبه، ولا نستشعر المأ من السيل الجارف، والشاعر يقف من تلك الفناء التي تزهو بشبابها وجمالها، وحسن قوامها وروعة منطقتها، فإذا بالمرض يداهمها، وتتحول إلى جثة هامدة، ثقيلة على أسرتها، ذات منظر مؤلم على سريرها، فهل يعتبر ويتعظ أولئك المتعالون المتكبرون، أو أولئك المتجبرون الظالمون:

تستعجل الضوت قبل الضوت
عجفاء كالطيف بلا صبوته
حسبتها مدرجة بالكفن
ترتد عنها العين وهي كدره
تضح بالفتنة والرغادة
وقد سرى فيها وخيم الداء
يفزع من رؤيتها الإنسان
قبحا فما نشكو إليه الغينا
وكان غصنا مائسا وعطرا
إياداه لم تبق حتى الذكرى

رايتها على فراش الموت
صفراء كالورس بلا نضرته
هامدة لولا اختلاج البدن
ككومة من العظام النخرة
ألم يكن هذا الرميم غادة
ما بالها أمست تخيف الرائي
كأنها من هولها الشيطان
تبارك الذي يحسيل الحسنات
هذا الذي أراه كأن بدرا
كيف أباد الدهر هذا السحرا

(١) يوسف عبداللطيف أبو سعد، تقاسيم على زوارق الأيام ٩٠، ٩١.

فليستوى الأقيال والرعاة
من بعد أن تكشف المصير
ولا تهيم مهجة أو طرف
عظيم مجد أو كثير مال
يخبط في الظلام كالمجنون؟
كأنه يعيشه محتفظ؟
ولا يبالي في سراه العطب
تدفع خسفا أو تنيل عظما
ليسمن العائش ممن قد هلك
قوتا ولا يرحمه من يأكل
وخالفوا القرآن والإنجيلا
تدين في أحكامها للسطوة
والثعلب استباح فيها الأرنبا
اليس في الغاية كان الأسد؟
فإنه الضائع في الحساب
وفي ضياء الحق قد عمينا
حتى تعيش الشاء والذئاب
وليس دنيا الوحش دنيا الناس؟

ويستوي الغني والفقير
فما تدوم قوة أو ضعف
وليس يحمميك من الزوال
فما لهذا العالم المفتون
أهذه العقبي وما يتعظ
يدور في التيه ويطوي الحقبا
ولا ارتضى شريعة وعرفا
فبعضه يأكل بعضا كاسمك
وبعد حين قد يعود الأول
قد أتعبوا المصلح والرسولا
واتبعوا شريعة الغاب التي
فالذئب لا يرجم فيها الثعلبا
والليث لا يرحم منها أحدا
ويح الضعيف من قوى الغاب
لكننا بالعقل قد شقينا
ومالهم كمثلنا ألباب
وكيف نستوى لدى القياس

وهو يحوقل ويسبح الله خالق هذا الكون، ومدبره، وحافظه، وعالم بمفارقاته وطبقاته،
وبجباره، وبوديعه، وبعادله وظالمه، تلك التي تعود عنها البصائر خاسئة وهي حسيرة، فلا
قدرة للإنسان ولا حول، وإنما يطلب منه المتأمل والتعقل والاعتدال:

سبحانه فيما اختفى وما ظهر
إحساسنا ويستريب العقل
وينتهي عنها بلا حلول
فيكره العقل على الإيمان
كأنه من مارج من نار^(١)

سبحان خالق الوحوش والبشر
من حكم في تيهها يضل
يحار في تعليلها المعقول
فما يريحه سوى الإذعان
وما لهذا المارد الجبار

(١) محمد حسن فضي، الأعمال الكاملة، ٢، ١٢٠.



لا حيرة في الكون إلا عند العقلاء المتأملون الذي يعتمدون على عقولهم، فهم أمام كون متحرك، متقلب الاتجاهات كالريح والعواصف والتيارات، إن التلاقي والتداخل والتفاعل الكوني والبشري أشياء لا قدرة للعقل البشري على استيعابها وتفسيرها تفسيراً كاملاً، ومن هنا يكون الإنسان السريع الانفعال، ذات الذبذبات الوجدانية المتيقظة، وذات النفس التصادمية، في حالة القلق والتوتر، فيصطدم بالموجات الكونية، ويتكون وجدانه وأحاسيسه كالموجات السريعة الأنحدار، ومن ثم يذهل العقل فلا يستقر له قرار:

ويلوب في نفسي سؤالا
لو أنني أدري الجواب
لكنني أنا كالمكبيل
أو كالمقامر.. قد يضل
ل حائر، من صده
لما خلت برده
راسفاً في قيده
بثبته ويسعه

أدرك أن شخصية محمد حسن فقي ذات مكانة اجتماعية، فأنا معاصر له، فله من الأنبياء، والصحافة تحفل به، وولادة الأمر يكرمونه، ولكن فكره يخالف واقععه، ففكره كالإبل الهائمة لا ترتوي من الماء رياً يعود ذلك لضخامة أمله:

لا تنشدي عوني.. فما أقوى عليه .. ولا آم
كيف السبيل إليه والدينا ظلام في ظلام
ولقد أعاني النقص.. لكنني أخاف من التمام
يا ويل من ركب الغمام .. إذا تمرغ في الرغام؟

ومن طول مجارة الشاعر لنفسه ولآماله، وأحلامه تلك التي لا ريب في استحالة تحقيقها فإن الشاعر يلوب في حيرة دائمة، لا تفتّر، ولا تخمد وإنما تشتعل بأمانى النفس:

ما حيلتي ... وأنا الذي.. يا نفس مثلك حائر
قد ساقني قدري.. وها أنا في المناهة سائر
أكف عن سيرتي؟ وكيف؟ وما يكف الزاجر
أم هل أسير.. ولو هلكت وما لدريني آخر
لا تعتبيبي، فلقد يغول الحرمر عتابه
ولقد يتسوه المرء بين خطائه وصوابه
كتب القضاء... وما أطيق سوى الرضى بكتابه

وتشتد حيرة الشاعر حتى تلغ الذروة، حتى تختلط الأمور عليه، ولا ضير في ذلك فما يكون في الظلماء لا يلبث أن يخرج إلى النور وما يكون في الضياء لا يلبث أن يكون في الظلام:

يا نفس.. هل أنا في الوجود.. وأنت إلا كالهباء
قدر يسيرنا.. فما ندري الوضوح من الخفاء
سيان من ذرف الدموع له.. ومن سفك الدماء
فلقد يكون النور في الظلماء.. والظلماء في وجه الضياء
ولقد نسير على التراب.. ونحن نخطر في السماء
ما تعرفين ولست أعرف.. ما يدبره القضاء
فإذا سخطت فإنه.. قدر يسير كما يشاء
وإذا رضيت، فقد يكون رضاك قنطرة النجاء^(١)

يذكرون أنه في شمال الأردن قبر من قبور القدامى منقوش عليه وترجمة هذا النقش كنا نسير كما تسيرون، وستكون أيها المار من هنا كما أنت الآن كنت أنا، وكما أنا الآن ستكون أنت، فتمتع بدنياك فإنك فان».

وقد التقى معه الشاعر محمد حسن فقي من باب وضع الحافر على الحافر أو تقارب الفكر البشري مهما تباعدت أزمانه، واختلضت أوطانه لكن كل فرد يدرك أنه صائر إلى ما صار إليه الأوائل، وشاعرنا من أولئك الذين تهتز جوانحهم للفكر العاصف، الذي يكون وقعه شديداً على الإنسان وكفى بالموت واعظاً.

وورائي يسير خلق كثير
عن عيوني.. ولضمهم ديجور
يخسر من جاهليه.. هذا المصير
تراباً - أم أنهم لم يغوروا؟
في هذه السماء الطيور؟

أنا في هذه الطريق أسير
وامامي قد سار خلق فغابوا
لست أدري مصيرهم ولقد
أتراهم غادروا فعادوا الأرض
أم هم يسبحون مثلما تسبح

والعقل البشري قاصر عن إدراك كنه الحياة المحدقة به وعلاقتها بالحياة الكونية، فكيف يدرك الحياة الغيبية التي لا يعلم أسرارها إلا الله، ولكننا نؤمن بها لقناعتنا بالقدرة الربانية وتصديقاً للوحي والسنة النبوية ونتيجة للتأمل العقلي فالقادر على النشأة والإحياء أو مرة

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة، ٢: ٨٩٥.

كان في حيرة من أمره:

ليت شعري .. لما الحجاب، فما تعرف نفس أي السبيلين أهدى
أتراها كل النفوس التي تنشد أن تستشف غيا ورشدا
أم بنفسي تلهف ليس في الأنفس، تتسقى به التواء وقصدا
أوشكت من سعاره أن ترى النور ظلماً.. وأن ترى الهزل جدا
فهي في تيهها تسيير.. وقد تغشى سماء به.. وقد تتردى



وأودى بيقـينها الظنون
تحوفت مصرعي أو جنوني
غاب في لجة الدجى من عيوني
فيه -كي أستريح- خطو منوني
من معاني الحياة.. غير الشجون

ويح نفسي تخبطت في دياجـيها
اي درب سلكت من هذه الأرض
كلما أبصرت عيوني شعاعاً
ملّ مني السرى فجاوز خطوي
هيكـل فارغ وما فيه معنى

فلاحت له سراباً كنوباً
اشقيا.. تهالكا .. ووثوباً
ومحيا.. بسمة بل قطوباً
الوهم لوجدانه .. وكانا ذنوباً
بكي، فكيف يخشى الحروباً

مرفي تيهه بشتى الأماني
كل مجد منها .. وكل متاع
ذهباً لم يخلص في حشاه
لم يكونا قداسه.. مثلما صور
إن أشلاءه يمزقها السلم في

من بعدها اختبرت الحياة
هن عزمي وما أضاع الثباتا
ردت النفس من نجبي النجاة
تل اهتماماً ولم يعرني التضاता
فأمسينا ما أطيق الفراتا

جبت دنياي.. ثم اخلدت للعزلة
إن فيها من المكاره ما أو
كل ما اخترت من رفاقي تحيا
لم أعره على التريض والخد
يا أجاجي عودت حلقي على الملح



منذ آزالنا انتصبت .. وما زلت كثيف الدجى .. شديد الصفاقة^(١)

يدعو الشاعر محمد حسن فقي إلى الاستهداء بالشرائع السماوية لأن العالم الذي جعلها وراء ظهره تاه في فيافي النفس والأهواء وضيق العقل، فالتشكل البشري مدعاة للتأمل، فيكون الإنسان ميالاً للخير، وتارة يرتكب أبشع الأخطاء ويعتذر لها بشتى المعاذير، لكن الإنسان على نفسه بصير ولو ألقى معاذيره:

هذا الضياع يلف ضائع لفظته أشتات المربع
لافي الكنائس ما يعيد له هداة.. ولا الجوامع
ويل امرئ ما يستنير دجاه .. من نور الشرائع
يمشى الهوينى للوراء .. وكان يركض في الطلائع
يُذري المدامع من يكفكف للورى غريب المدامع
قد كان للخير المسارع .. ثم لم يعد المسارع
متباطئاً بعد التوثب .. والتهلل .. للصنائع
جارت طبيعته عليه .. ولم تكن شر الطبائع
ولربما شقيت مصائر .. تطمئن إلى الذرائع

ويكثر في البشر الإنسان الذي يرنو إلى الخير ويبشر به، ويتمنى عمله لكنه إذا تمكن ربما تكون الوداعة شراسة، ويتناسى حب الخير ويكون من القلوب القاسية التي لا ترحم، ولا تلين:

كيف - استويت به؟ - وأنت من الكواسر - كالروافع
كيف انحدرت إلى الخسائس .. بعد مرتفع النوازع؟
جريت من حاليك أشتاتاً .. فماذا أنت صانع؟
أفأنت تحضل بالمأثر .. كاحتضالك بالمطامع؟
أم هل غدرت بحيث تنظر للتوافه كالروائع؟
وغدوت تؤثر في حياتك .. أن تكابر أو تصانع
وتطامن الذوق الرفيع تطامن الذوق المخادع
ليت الضمائر كالجسوم .. لها شفاه في المباحع
أو ليت من عاف الضواجع .. لم تطارده الضواجع

(١) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة، ٢: ٥٧٤

وأنت أيها المتكبر صائر إلى ما صارو إليه:

يا قاع .. يارب الغياهب.. كم طويت من اللوامع
سحرتهم الظلماء فيك فأوغلوا بين البلاقع
ممن يزينون العمائم .. أويزينُ البراقع..
هبطوا إليك فأطفأت أنوارهم منك الزوابع
فتخبطوا، ومشى الهوان بهم إلى شتى المصارع^(١)

ويكشف الشاعر محمد حسن فقي عن حالة إنسانية تلك حالته حين تقدمت به السن وهو ما يزال يفكر في التفاعلات البشرية، واضطراب الحالات الاجتماعية، وبرغم احتفاء الأسرة بالشاعر، وتقاطر الناس عليه طالبين منه المدد بالجاء والمال، إلا أنه يعيش في عزلة فكرية ووجدانية، فهو مثقل بهومومه التأملية، وبرؤيته الانفعالية لتصادمه مع الواقعية الاجتماعية ذات السلوكيات التي تعارض القيم الإنسانية متواصلًا بأثقال شرائح المجتمع:

هو في داره وحيد.. على فرط ضجيج الإخوان والأولاد
ساهم تستب في وجهه الهم.. كراج يخيب يوم الحصاد
شارد الطرف في عوائم تطويه.. وترمي عيونه بالسهاد
حائم ما نراه إلا تعجبت لصاح.. أضناه طول الرقاد
خدم حوله تروح وتغدو... وهو لاه عن رائح أو غاد



وهو في المنصب العظيم كتيب.. والأمانى ركُضُ كالجياذ
والأناسي بين ران إلى السيب.. وعان إلى طويل النجاد
يستमितون في رضاه.. وما يشعر إلا بغصة في الفؤاد
كل وجه باذي الطلاقة إلاه.. فمن وجهه المتجهم باد
أين منه الرضى.. وقد خالط الهم حشاه... من لحظة الميلاد؟
وهو إن سار في الطريق تبدي كاسير يجر في الأصفاد
وسواء عليه إن اسرع الخطو.. وإن كان خطوه في اتناد

(١) محمد حسن فقي، ٢: ٥٥٦.



فهو في حالتيه، أي اقتراب منه يشجى الرائي وأي ابتعاد

ما يرى منه غير صادٍ، وإن بل غليلاً.. وما يرى غير شادٍ
أي شاد هذا؟ فما أوجع الشدو، إذا ذاب منه قلب الجماد



وهو في صحبه بعيد عن الصحب شتيت الأفكار في كل واد
ذو وفاء، لكنه ألف الصمت.. فضع الوفاء.. رغم الوداد
ضع منهم.. لكنه منه ما ضاع.. فقد ظل خائباً في الرماد
يتباهون بالمقال.. وما ينطق رب المقال.. رب السداد
عبقري اليراع في معبد الفكر حضور اللسان بين النوادي^(١)

يتناول الشاعر حسين عرب أحوال الأمة العربية في قصيدة تأملية بعنوان «قال الحكيم»
يحكي فيها نتائج التاريخ وحصاد أحداثه التي هي عبرة لمن يعتبر، لمن له قلب يتعظ، ولمن له
قدرة على التأمل، وقراءة الأحداث، ولكن تجري الأمور أمام الشاعر على المسرح العربي
بالذات وكأنهم في غفلة عن الحكمة والعبرة، وقراءة الأحداث الغابرة، والرصد للواقع
المعاصر، فلا استباط، ولا معالجة لقضايا تؤدي إلى التدهور والانحدار، وأن البصائر لتجار
أمام الجمود الفكري الذي يسود بمن يعيقهم المرض، ولا معالجة، ولا حيطة، إنما هو الاندفاع
والانصياع لمجاورة الهوى، والتغافل عن الجاد المدقق بالمخاطر:

قال الحكيم: تأمل كل ما حكمت	به المقادير، أو دالت به الدول
تلك العروش، تهاوت من معاقلها	لما رمى أهلها الخذلان، فانخذلوا
عدا عليها طعام القوم، فاحتكموا	وراودتهم دواعي الشرفاقتلوا
في كل ناحية، للقوم طاغية	له زبانية، من شكله شكلوا
فاسألهمو، كيف كانت قبل محنتهم	واسألهمو كيف صارت بعد ما فشلوا
ومن يسوس أمور الناس معتديا	هوى به الجهل، واستهوى به النزل
فضي القلوب هموم ما تضارقتها	وفي النفوس جراح، ليس تندمل



وفي الحياة أمور تستبد بنا	ضل البصير بها، واستبهم الأمل
هذا الزمان تغشانا بطائفة	من الحوادث منها النفس تشتعل

(١) محمد حسن فتحي، الأعمال الكاملة، ٢: ٥٤٥

اهداء من شبكة الألوكة
تظل فيها، عقول الناس حائرة
أرى البغاث بأعلى الجو طائرة
وصار كل جبان، خائن بطلا
يا ساري الليل، هذا الليل منعطف
فانحره بالفجر، يطوي البيد منقظلا

www.alukah.net
ولا يراودها يأس ولا أمل
على البزاة علت، واستنوق الجمل
وغاب في كهفه، المقدام والبطل
عليك من كل صوب، ما له حول
من حيث جاء فلا يرجى له قفل



قال الحكيم: وخير القول أصدقه
بعض الرجال، سكارى في مضاجعهم

وليس في الصدق إسراف ولا جدل
بين الملذات نعيبهم وتنهمل^(١)

يجوب الشاعر فهد العسكر معالم الطبيعة هروباً من واقع الحياة المر، فيتأمل حياة الطائر فوق الأغصان حر في تنقله، أو هو نسمة صباحية تحي الزهور والورود، وينتقل ليكون فراشة رحيق الأزهار وكلها تمثل غريته عن الحياة البشرية المثقلة بهموم الحياة وأحزانها:

يا ليتني فوق الغصون حمامة
علي أرى في الروض من يضي
أو انني بين النسائم نسمة
وأطوف بعد الأرض آفاق السما

لأنوح بالأصقال والأسحار
إلى بسرّه وأبثه أسراري
لأبشر الأطيّار في آذار
لأرى مكان حبيبي المتواري



يا ليتني بين الورود فراشة
حتى إذا شفت الغليل تعطشت
أو انني يا فاجر قُبيرة أرف
لأردد النغمات سكرانا بخم

تروي الصدى من أكؤس الأزهار
للموت واندفعت بجوف النار
ررف في جناحي بالفضاء العاري
ر الحسن قبل تائق الأنوار



يا ليـتني بين الروابي ريوه
لأكون منبر كل طير صادح
أو انني وسط الحدائق جدول
لترفرف الأطيّار فوق مياهه

خضراء مشرفة على الوديان
ويكون سفحي مسرح الغزلان
ينساب بين الورد والريحان
سكرى ترجع أعذب الألحان^(٢)

(١) حسن عرب، المجموعة الكاملة، ٢: ٨٢ .
(٢) عبدالله زكريا، فهد العسكر، ٢٥٧ .

والشاعر العسكر يقترب من الشاعر السعودي محمد حسن فقي الذي لا يركن إلى ثبات وإنما تجول أحاسيسه في آفاق شتى لكن كثافة التأمل الشعري أكثر منها عند فقي، والمعاناة الحسية تتجلى في حياة العسكر وفي أشعاره.

يظل فكر الشاعر العواد مشتتاً متأملاً وفكره يعلو تارة للكون العلوي، ويتجول بين آفاقه ونجومه، وأقماره وشموسه وظلام ليله وكثافة سحبته، وتارة يكون بين السماء والأرض، فيعجب لتثقل الرياح بين شمال وجنوب، وغرب وشرقاً، وتارة يمد بصره مع سكون البحر وهدوئه، ويضطرب مع موجهه وتياراته وهو وإن أطال التفكير لكنه يقف عند الأقل من هذا الكون الذي لا يحيط بعلمه إلا الله: ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ «الكهف: ١٠٩» فكيف يدركها تأمل البشر، وإن اجتمعوا لكن التأمل ضرورة لكل فرد يتعظ ويعتبر:

وجنوباً تفترق الأمطارا
وإن شاء أرسل التياراتا
يتبع البدر تارة والسرارا
سطوح المياه يبغى منارا
الشمس دابة السرى أديارا
لم ذي الشمس تبهر الأبصارا
جبهة النيرين أو يتوارى؟
لا نرى في حيااله إلا قمارا؟
ونعيش السنين فيها حيارى؟
يسلب النفس عزة واقتمادا؟
أقامت للسالكين المنارا؟
هل شققنا من حيرة أستارا؟
ويحيا من بعدنا أعمارا
ارواليل والتهـار باردارا
وستلقى العقول بعد خمارا

لم هذى الرياح تدوى شمالاتاً
لم ذا البحر في هدوء إذا شاء
لم في البحر بعد جزر ومد
لم هذا البخار يصعد من فوق
لم تسرى سياراة الأرض حول
لم هذى الأجرام تشرق ليلاً
لم هذا الخسوف والكسف يعرفو
لم «نبتون» غامض السرعنا
لم نحيا على البسيطة جبرا
ولم الموت كالحياة بكره
أقرى الفلاسفات والدين والعلم
هل أفاقت عقولنا من سبات
نحن كالأولين نحيا دواليك
وتدور الحياة والشمس والأقم
وسيبقى سر الحياة معى

ملككت الظلام والأنوار

رب أمنت أنك القادر الفرد

واوهى من الحبباحب نار^(١)

ونهانا نار الحبباحب في الليل

تلك محمدة للعواد ومنجاة لكل مسلم بالعودة إلى الله سبحانه وتعالى وأنه الخالق والمدير، وهو على كل شيء قدير، وتكر لنا البصائر قانعة بقدره الباري عز وجل.

قدر الله القضاء والقدر على الإنسان لحكمة يعلمها، ولعلمه بالكون ماضيه وحاضره ومستقبله، وكان هذا القضاء والقدر في مجمله أو في كثير منه ناجم عن تصرفات الفرد فالله يعلم تصرفاته قبل أن يُخلق ومن هنا فلا تعارض مع حرية الفرد، وجني قدراته وما يضممر من نيات ولكن الإنسان يذهل أمام تأمل الكون وعلاقته بالقضاء التي خاض فيها الفلاسفة والمفكرون، واقترب فيها من الصواب العلماء الذين استعانوا بالتوجيه الرياني ولا غرابة من الشاعر المفكر العواد أن يجيل الفكر في تواصله مع الكون، فله أمانيه التي لم يبلغها في حياته، ولم يبلغها من سبقه ولا من يلحقه، ويريد استقامة الحياة ولا قدرة له، حتى مصادر الثراء لا تخضع للعقلانية ولا للاجتهد، تلك أسرار الحياة التي لم يسبر غورها عقل العقلاء، ولا تجارب الحكماء ولكن علماء التشريع يسلمون بنقص الإدراك، عن حكمة الرب جل جلاله، وقد خالف الشاعر التوجيه الرياني:

هكذا الوضع، هكذا الإنشاء
في مناهات ثور، وهي تساء
فهي نزاعة القوى، عسراء
وج، والعيش راحة وعناء
تب، والكون ليلة طيخاء
وي ولا ري، والجميع ظمءاء
سي إذا ما العذاب فيه غداء؟
لى من رؤية المسأوى داء؟
وفلان له يكون الثراء؟
د وقد يصحب الثري الخواء؟
نا ولم يدرك عقلنا ما القضاء؟

لا كما ابتغى أعيش، ولكن
خلقت لي -ولست أشعر- نفس
ركبت أصعب الطبائع فيها
لا تسيغ الرتيب، ولا تهضم الأعد
تكثر الفكر والسؤال عن الغا
وتنادي ولا مجيب، وتستر
أيما مسوجب لرقعة إحسا
ولماذا يظل يفتك في عسق
ولماذا كان الثرى لفلان؟
بينما ذا وذاك سيان في الجه
قال قوم هو القضاء، فأمر

قئنة: فإنما هي الأنصباء
 نع، وهو الغموض، وهو الغشاء
 به الجاهلون والعقلاء
 ملؤها السحر طامساً والخفاء
 حائر، أو حقيقة صماء
 أن ترى فيه حيرة وامتراء
 ناضج فيه دقة واعتناء؟
 واضطراب، وضجة، والتواء
 ن هو السلب صامتاً والإباء
 م ظنون عريضة وادعاء
 مل وليد مدلل بكاء^(١)

وتمازي المهوشون، فقالت
 وهي خبط الأحياء في العالم الما
 هو شيء متسفلق الضم قد ضل
 قوة مستسرة، ذات هول
 حكمة، أو تناقض، أو جنون
 تدع العاقل الأريب قمينا
 يمتري بالحياة هل هي فن
 أو هياط نظامها ومياط
 يقصد بالدين سائلاً فإذا الدي
 وإلى العلم يلتجى فإذا العد
 وإلى العقل ينتهي فإذا العق

وظف الشاعر الكويتي عبدالله الجوعان الرمز في قصيدته (مدينة الأموات). فالقارئ للقصيدة يستحضر واقع الأمة الإسلامية التي بنت حضارتها وارتفع شأنه، وعلا كيانها ثم ما لبثت أن اندثرت وتوارت وما حالنا اليوم في مقارنات الحضارات ومصارعات الأقوياء إلا كهذه المدينة الميتة التي لا حراك لها، فقد كنا أحياء ونبعث الحياة، واليوم نحن أطلال وأشباح، نتساقط ونتداعى إلى الهاوية:

يا صاحبي!!

إياك أن تراع معا تشهد

فأنت في مدينة انقطعت عن الحياة

تُدعى: مدينة الأموات

... مدينة نام السكون فوقها

وملا الظلام افقها

فلا تحس في تراها حركة

هواؤها جمد

تغيرت هيئته

(١) محمد حسن عواد، البراعم وبقايا الأمس ٢٤٠

حتى يلائم البلد!!

وهكذا الكلام

يسقط على قطع الزجاج!!

عن اللسان!!

◆ ◆ ◆

يا صاحبي!!

إياك أن ترع مما تشهد

إني سأروي لك ما يقوله الرواة

عن هذه المدينة

مدينة الأموات

ققالوا...

... لها شوارع سقوفها من الحجر

تمنع أن ينفذ من خلالها الضياء والهواء

وخيم الليل بها..

.. فما له انتهاء

وربما خيل للسايرين في دروبها

أشباح!!

مفزعة، قبيحة الأشكال

قد أفض الرواة عن أخبارها

الحكايات الطوال!!

وفي مدينة الأموات..

مجامع من الكهوف والسراديب

تكومت فيها القبور

وكل كوم، وحوله رمم

تحجرت منذ القدم

تزاول الكهانة^(١)

(١) خالد الزيد، ادباء الكويت، ٢: ٤٢٧

يتمازج الأسلوب الرمزي مع الصراحة في شعر الشاعر الكويتي عبدالله الجوعان عندما يتأمل واقع الأمم المعاصرة، وواقع أفرادها فمن الأمم ومن الأفراد ما تسمو به القيم، وتعلو همته، ويدبر عن صفائر الأمور، وينتصر على الشهوات والملذات التي ما تفتك تفتك بالأمم، وهناك من يستسلم للكل والتهاون والتخاذل فتتهدر به إلى الحضيض والسفوح:

وأرى تباشير الصباح منيرة
والعالم المنهار يبغخ نفسه
رفض الحياة هضابها وجبالها
وبني الجدار لكي يداجي بؤسه
وهذا إلى الأحلام دون حقيقة
وتهيب الأفكار أن تحيا به
ويروح للأحجار يستشفي بها
ويصرخ الشاعر أمام زحف المتخاذلين ومن يرغبون الحياة رخيصة محذراً لهم عواقبها، ويرفع الصوت لأولئك الذين تنبعت أرواحهم بالهمم العالية، وتدعوهم نفوسهم إلى القيم السامية، ويحدوهم الجد للأعمال النافعة:

قل للذي طلب الحياة رخيصة
خذ من حياتك جانباً تسمو به
واصعد إلى القمم الكبار مكرماً
إن الحياة سيولها وسحابها
همم الذين على المجاهل أقدموا
من خاف من لهب التجارب جذوة
هي ساعة حزن المسير إزاءها
إما ملكت على الزمان مداره
كُشف الستار، فكل من هاب الردى
تخشى الدمار عصابة أعطانها
إحذر خداع الهاجس الغرار
واترك هوان العمر للأغمار
أو عش حليف مهابة وصفار
جاءتك بالأمطار والأنهار
ذهبت حياتهم بكل فخار
دارت لياليه على التكرار
عند المصيرولات حين خيار
أو عدت محكوماً بكل مدار
أمسى يطالعنا بلا أستار
غصت مرابضها بكل دمار^(١)

(١) خالد الزيد، أدباء الكويت، ٢: ٤١٦.

ويمتزج الأسلوب السردي الصريح بالأسلوب الرمزي في قصيدة الشاعر الدكتور عبدالله الرشيد حين يرثي بستاناً فالأرض التي كانت تنعم بخير الجدول، وحفيف الأوراق، والأخضرار وقد أجدبت، وعطشت الجذور والجذوع، واغبرت الأرضين، وتتمنى تغريد الطيور، والمتلقي يستشعر أن الأمر يستدعي الرثاء للأمم الغابرة، وكون الحاضر يتضجر من واقعه ويتمنى حياة الأمة الإسلامية الغابرة لاسيما وقد أعقب الأبيات الوصفية الأولى بأبيات تشيد بالتمدن الذي لا تشوبه شائبه، ويقرّع ذلك للوجج المعاند الذي أعرتة الأقاويل الكاذبة والإعلام المفترى:

تعاور حسنهن ابا سمير	وأى الأرض لم يتعاوراها؟
تحن إلى ترنمك السواقي	ويحلم بالمساحي اخضراها
وتحت التراب كامنة عروق	تطل عليك شوقاً من ثراها
أم تحنن إلى سجع القماري	على السعفات، تدهش من يراها؟
ألم تحنن إلى سكن ومساء	إلى رطب جنني في ذراها؟
نديمي أنت، أيام التعمزي	وحين الأرض يبدو كاشراها
فكم شمت البروق وقمت تدعو	تكاد من الهوى تجري وراها
وكم ساقيتني فرحاً وبشراً	إذا ما غيمة أرخت عراها
أرقت لباب قلبك في حياة	أرى هما وغما ساوراها
هما أخوا التمدن والتباهي	إذا وردا الصافية كدراها
غلاما فتنة سمرا ضراما	فهل أمن الضريمة مسعراها؟
فلا تسمع لأفلاك لجاج	تأنق في الدعاية وافتراها
زوى عن روعة الماضي فؤادا	وعينا ليس تصحو من كراها
ولا تفرك أشباه غلاظ	يراهنا ناظرك ولا تراها ^(١)

ويتجلى أسلوب غير المباشر في شعر الدكتور عبدالله الرشيد فهو يقذف برق تراكيبه الفنية في أعماق المتلقي، لتكون العبارة مثقلة بكم من الدلالات التي تثير كوامن الأحاسيس وتستدعي المخزون الذهني، فالذي يخرج من رحم الشمس، يكون ذا إرث ضخم ومكانة سامقة، وتطلع يقده العزيمة.

وتارة يشير إلى الممارسة الفعلية التي نبني التجارب، وتصنع القوة في كيان الإنسان حين يعيش حياة الصحراء المحرقة القليلة الزاد والماء، في قوله «وشربنا ظمأ الصحراء أفقينا

(١) عبدالله الرشيد، حروف من لغة الشمس ٢٢

ضلع المستحيل» وبعد الممارسة الفعلية لبناء القوة وقد صنعت الأقوياء يرمي في سهام
العزيمة ويقدح في النفوس باستحضار الماضي، وينقلنا من إضاءة ولمعان برق إلى ظلمة داجية
لتحدث المفارقة التي تستحضر القديم والحاضر والمستقبل:

إننا من رحم الشمس خرجنا

وامتزجنا

بالغد القادم في أحشائه وعد جميل

وشرينا ظمأ الصحراء أفنينا ضلع المستحيل

وتشبثنا بأذيال المجرات

أمانينا انبثاق النور..

نجوانا .. حكايات تطول

نحن أبناء القرون الخضراء جننا

نحضن المجد ونجري

ما جرى الفلك وما امتدت ترانيم الفصول

نقف الليل إذا انسلت ذراعاً بطشه

نلقيه طعماً للأساطير

فيرتد نديماً للطلول

والذي خدش وجه الظهر

نسقيه من الكأس الوبيل

♦ ♦ ♦

كتم التاريخ أنفاساً واصفى

كل نجم كان يهضو للأفول

وأنا أحمل أحقادى..

على أرض تمطي فوقها ليل كسول

كلما دحرجت خطوي فوقها

هزئت بي

فتواريت، وللمت الخطأ الرعاء

في غيطد خجول

سحنتي ليل تناهي صمته

وبأضلاعي ارتعاشات النخيل

وشواطئ البيد يحشو مقلتي

والأمانى زهول في زهول

وحياتي عاصف، لا يثنتني

ماج يفترض بكارات الحقول^(١)

لم يفسح الشاعر عبدالعزيز الباطين لشعره إلا ما يتواصل مع الوجدان الذاتي في ديوانه (بوح البوادي) لكننا نميل إلى تمازج المرأة مع موجات الشعور فيه في موقفه من قضايا

الحياة، فما المرأة إلا رمز لأمانيه وإن احتلت مساحة كبيرة من معاناته الوجدانية:

فيه نوحى وعذابي

لم أبح إلا بما بي

ليلة العمرببائي

في انتشاء واضطراب

ريح نأي وأغستراب

هي عشر من شيبائي

هر في وهم السراب

بي كإخفاق الشهاب

بفراق أو عذاب

بين سحب وضباب

وأسقني مر الشراب

فما قشر اللباب؟

كعصافير بغاب

لرقاق في الروابي

فكلانا في احتراب

نوهاد وهضاب

يقرا العشاق شعري

فيميل القلب أني

يا ليالي الدهر وافت

ليلة فيها التقينا

بعهد أن هبت علينا

فتبعنا سنيانا

غير أني بعهد بغي الد

يخمد الإحساس في قل

لم تعد نفسي تشقى

فلقد ضلت همومي

إيه يا قلب تجلد

غاب عني جوهر الحب

أترى قلبي غنى

هدها الشقوق حنينا

يا سنين العمر مهلا

لا تحثي الخطو وثبنا

(١) د. عبدالله الرشيد، حروف من لغة الشمس ١٨

في شتات وانتهاج
صرخات كالثواب
ذكريات كالرضاب
باشتيق واكتئاب
بعد نأي واجتئاب
صبيوتي بعد الغياب^(١)

إن أيامي تقبضت
لم أعد اسكت فيها
قد كفاني اليوم فيها
يا زماناً قد تولى
هل أرجي منك وصلاً
يا زمان الصنف وأبت

(١) د. عبدالعزيز البابطين بوح البوادي ٦٦، ٦٧

- ١- إبراهيم المريض، نظرات جديدة في الفن الشعري، مطبعة الكويت.
- ٢- إبراهيم عمر صعباني، زورق في القلب، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣- إبراهيم محمد الدامغ، شرارة النار، دار العلوم.
- ٤- إبراهيم هاشم فلالي، طيور الأبايل، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥- د. أحمد درويش، تطور الأدب في عمان، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.
- ٦- أحمد سالم باعطب، عيون تعشق الشعر.
- ٧- أحمد صالح الصالح، عينك يتجلى فيها الوطن، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٨- أحمد فتيدل، مكتبي قبلي، منشورات دار الرفاعي، السلسلة الشعرية (٧).
- ٩- أحمد محمد عطية، أدب البحر، دار المعارف.
- ١٠- أحمد محمد عطية، كلمات من جذر اللؤلؤ، دراسة في أدب البحرين الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.
- ١١- حسني سرحان، الطائر الغريب، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، دار الزايدي للطباعة والنشر.
- ١٢- حسين عبدالله القرشي، فلسطين وكبرياء الجرح ١٩٧٠م.
- ١٣- حمد الحججي، عذاب السنين، دار الوطن للنشر والإعلام.
- ١٤- حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، بيروت ١٩٨٣م.
- ١٥- حمزة شحاته، الديوان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٦- خالد سعود الزيد، أدباء الكويت في قرنين، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- ١٧- رقية ناظر، خفايا قلب، مطابع دار البلاد، جدة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ١٨- زاهر بن عواض الأملعي، على درب الجهاد، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- ١٩- د، سعاد عبدالله المبارك الصباح، إليك يا ولدي، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.
- ٢٠- سعد البواردي، أبحار ولا بحر، دار الإشعاع، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ٢١- سعد البواردي، أغنيات لبلادي، دار الإشعاع الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- ٢٢- سعد البواردي، ذرات في الأفق، دار الإشعاع الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- ٢٣- سعد الحميد، ضحاها الذي، مطابع الشريف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٤- د، سعد ضاوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- ٢٥- سلطان العويس، الديوان، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، الطبعة الثانية.
- ٢٦- سهيل عثمان، المحصول الفكري للمنتبي، دار الإرشاد، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ٢٧- عبدالرحمن بن زيد السويداء، أشجان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- ٢٨- عبدالرحمن بن زيد السويداء لواعج، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٩- عبدالرحمن العبيد، الأدب في الخليج العربي، مكتبة النشاط الثقافي مطبعة الإنشاء ، دمشق.
- ٣٠- عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد، في موكب الفجر، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ٣١- عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد، يا أمة الحق.
- ٣٢- عبدالرحمن العجلان، أشياء من ذات الليل، مطابع الخالد، الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٣٣- عبدالرحمن بن عثمان الملا، أغاريد من الخليج، الدار الوطنية الجديدة للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٤- عبدالعزيز سعود الباطين، بوح البوادي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- عبدالفتاح الحلو، شعراء هجر، دار العوم بالرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٣٥- عبدالله أحمد الشباط، آفاق خليجية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٦- عبدالله بن إدريس، إبحار بلا ماء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ دار اشبيليا،
- ٣٧- د، عبدالله التطاوي الشاعر مفكراً.
- ٣٨- د، عبدالله القطاوي الشاكر مؤرخاً.
- ٣٩- عبدالله بن خميس، على ربي اليمامة.
- ٤٠- عبدالله زكريا الأنصاري، فهد العسكر، حياته وشعره، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.
- ٤١- عبدالله بن سليم الرشيد، حروف من لغة الشمس الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٤٢- عبدالله الصالح العثيمين، عودة الغائب، دار العلوم ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٤٣- علي أحمد النعمي، الرحيل إلى الأعماق، منشورات نادي جازان الأدبي، ١٤٠٥هـ.
- ٤٤- د، علي عبدالخالق علي، الشعر العماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية.
- ٤٥- عمران محمد العمران، الأمل الضامئ، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ط ٣ . ١٤٠٣هـ.
- ٤٦- غازي عبدالله القصيبي قصائد أعجبتني، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٧- غازي عبدالرحمن القصيبي، مرثية فارس سابق، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٨- ماجد بن صالح الخليفي، ديوان الخليفي، ١٩٨٣م.
- ٤٩- د، مانع سعيد العتيبة، خواطر وذكريات، الطبعة السابعة، ١٩٨٣م.
- ٥٠- د. مانع سعيد العتيبة، الرسالة الأخيرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.
- ٥١- د. ماهر حسن فهمي، تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٥٢- محمد إبراهيم جدع، المجموعة الشعرية الكاملة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٥٤- محمد حسن عواد، ديوان العواد، الجزء الثاني، مطبعة دار العلوم العربي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٧م.

٥٥- د. محمد سعد حسين، أصداء وأنداء الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٥٦- محمد حسين فقي، الأعمال الكاملة، المجلد الثالث، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

٥٧- محمد سرور الصبان، أدب الحجاز، الطبعة الثانية ١٩٧٨م مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية.

٥٨- محمد سعد الدبل، إسلاميات، متبة المعارف في الرياض - الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٥٩- محمد شفيق شيا، في الأدب الفلسفي، الطبعة الثانية، ١٩٨٦هـ.

٦٠- محمد بن عثيمين، العقد الثمين، جمعه وحققه سعد الرويشد، مطابع دار الهلال

بالرياض الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٦١- محمد حسن عواد، ديوان العواد، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٦٢- محمد فرج العطوي، بوح الروح، من إصدارات النادي الأدبي، بتبوك، ١٤١٨هـ.

٦٣- محمد هاشم رشيد، بقايا عبير ورماد، مطابع دار البلاد، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٦٤- محمود شوقي الأيوبي، الملاحم العربية، تقديم ودراسة وتعليق، محمد عبدالرحمن

الربيع، نشر دار الملك عبدالعزيز ١٤١٩هـ.

٦٥- محمود عارف، ترانيم الليل، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٦٦- مريم البغدادي، عواطف إنسانية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٦٧- د. مسعد عيد العطوي، أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، القسم الأول، الطبعة الأولى،

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٨- د. مسعد العطوي، الرمز في الشعر السعودي، التوبة ١٤١٢هـ.

٦٩- د. مسعد العطوي، تبوك قديماً وحديثاً، التوبة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٧٠- د. مسعد العطوي، الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية، الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٧١- د. مسعد العطوي، الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية- الرسالة الطبعة

الثانية، ١٤٢٠هـ.

٧٢- د. مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، مصر، الطبعة

الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٧٣- معيض البخيتان، ثرى الشوق، مطابع الشرق الأوسط، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧٤- معيض البخيتان - شلال قلب، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م مطابع الفرزدق

التجارية - الرياض.

٧٥- معيض البخيتان، شموع القرية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ / ١٤٠٠هـ.

الكتب المطبوعة للمؤلف:

- ١ - أحمد الغزاوي وأثاره الأدبية - ثلاثة مجلدات.
- ٢ - العاشق العفيف «عروة بن حزام».
- ٣ - تبوك قديماً وحديثاً.
- ٤ - المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام.
- ٥ - الرمز في الشعر السعودي.
- ٦ - الاتجاهات الفنية في الشعر إبان الحروب الصليبية.
- ٧ - الإتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية.
- ٨ - المجتمع في الشعر السعودي.
- ٩ - الغموض في الشعر العربي.
- ١٠ - الوجدان في الشعر السعودي.

المخطوطة:

- ١ - نثر الغزاوي في ثلاثة مجلدات.
- ٢ - العثابي حياته وأدبه.
- ٣ - الفكر والشكل في الشعر السعودي.

مطبعة الوسعة الأوانى



الرياض، ٤١٦٦١-٠١ / ٣٣٦٣٣٣-٠١